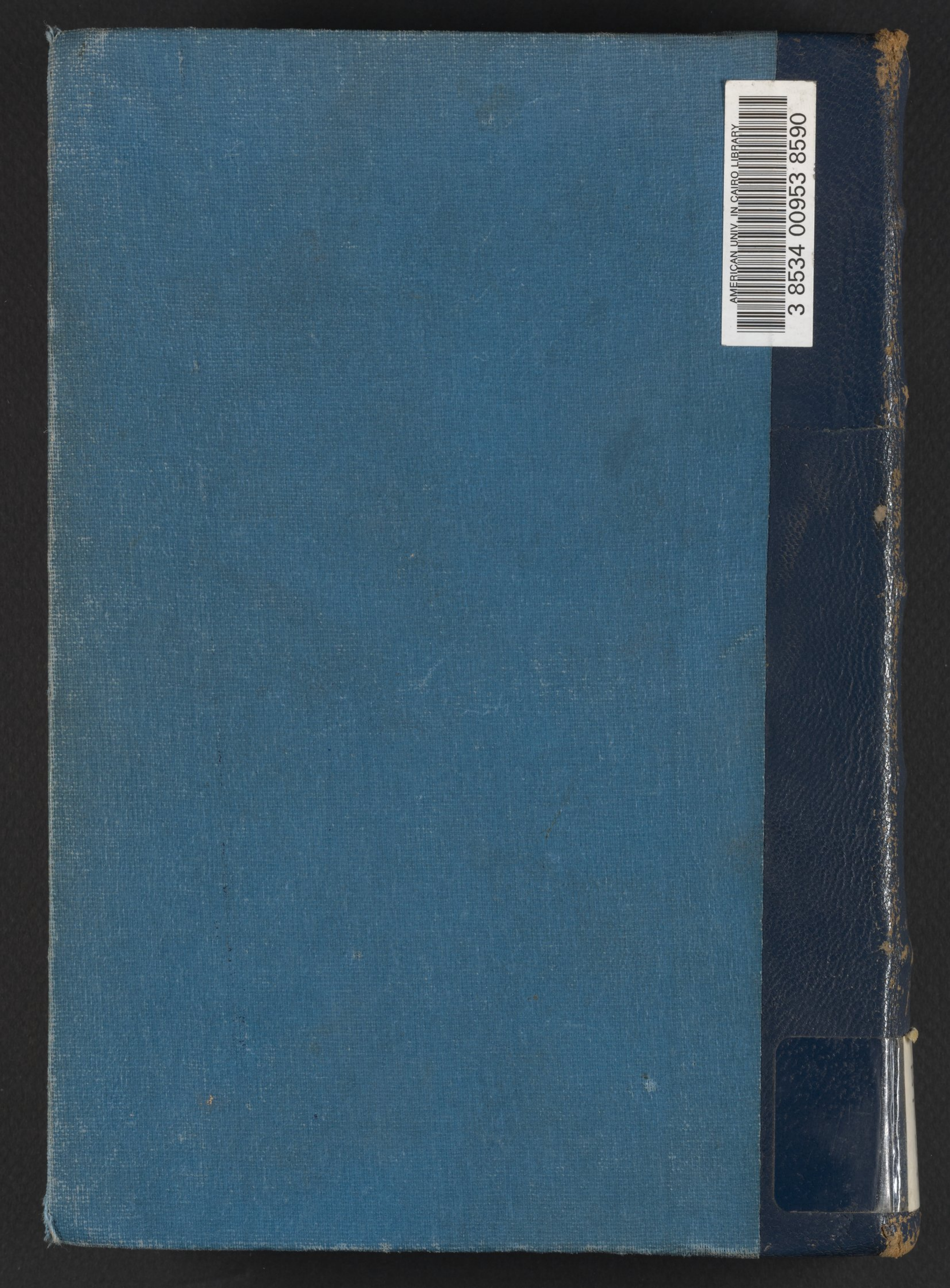
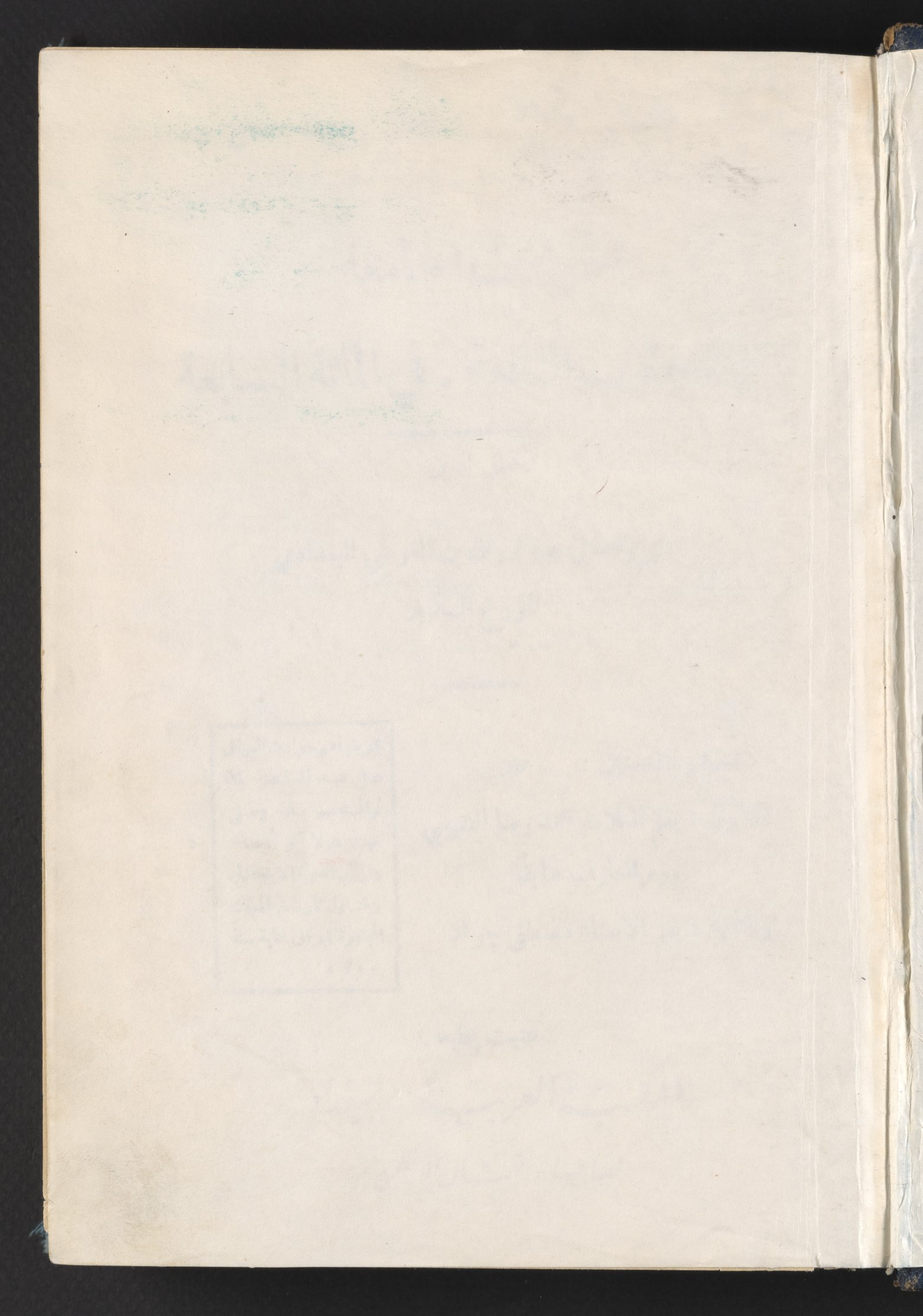
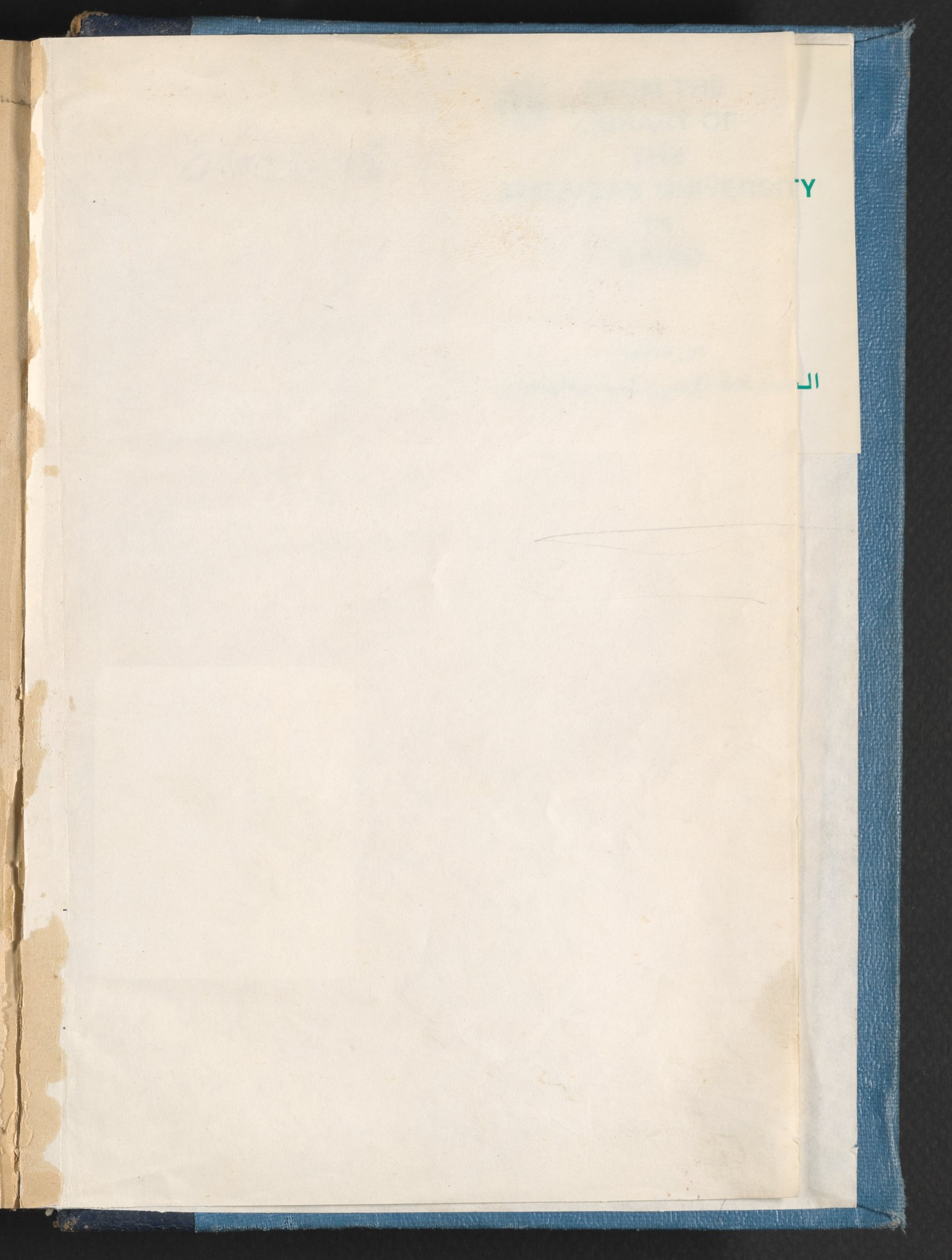



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO





الحوادث الجامعة

والتجارب النافعة . في المائة السابعة

لكمال الدين

ابى الفضل عبدالرزاق بن الفوطي البغدادي
المؤرخ الكبير

تاريخ اهم حوادث العراق على عهد المستنصر بالله والمستعصم بالله وعلى عهد هولاكو وابنائه وارباب الدولة الايلخانية . ويتناول تاريخ الممالك المجاورة للعراق لغاية سنة ٧٠٠ هـ

مصدر بمقدمتين :

الاولى : بقلم العلامة محمد رضا الشبيبي
وزير المعارف سابقاً

والثانية : بقلم الاستاذ مصطفى جواد

عنيت بطبعه

المكتبة العربية - ببغداد

لصاحبها : نعمان الاعظمي

اهداء الكتاب :

ارفعه هدية لصاحب الجلالة ملك العراق فيصل الأول المعظم . ايده الله تعالى . ولازالت دولة الآداب رفيعة الجانب في ظل عنايته وسوق العلوم رائجة في كنف رعايته ؟

الناشر

نعمان الاعظمي الكتبي

انموذج الصفحة (٢٠) من الكتاب المخطوط القديم ، توافق ص ٢٣ من المطبوع .

وقف على تصحيحه والتعليق عليه
الأستاذ (مصطفى جواد)

« طبع بمطبعة الفرات : ببغداد »

سنة ١٣٥١ هـ

كتاب الحوادث والتاريخ

« رأي العلامة محمد رضا الشبيبي وزير المعارف سابقاً في الكتاب »

الى الاديب الفاضل نعمان افندي الاعظمي الكتبي المحترم :

تلقيت رسالتكم المؤرخة ١ صفر سنة ١٣٥١ ومعها جزء مغفل في التاريخ وقد استطلعتم في الرسالة رأيي في مؤلف هذا الكتاب اولاً . ورغبتم بتعريف العلامة ابن الفوطي ثانياً . ومن رأيي – وقد تصفحت الكتاب – انه كتاب « الحوادث والتاريخ » لمؤلفه العلامة عبد الرزاق ابن احمد الفوطي البغدادي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ وهذا الكتاب من امتع مؤلفات المؤرخ المذكور شرع بتأليفه بعد فكاكه من الأسر في واقعة بغداد على عهد الحاكم في جميع العراق علاء الدين ابي الطيب بن عربشاه الخراساني المرتب من قبل هولاكو التتري سنة ٦٥٧ هـ اي بعد الواقعة بسنة وهو – اي الحاكم علاء الدين – الذي اعاد ابن الفوطي الى بغداد من اذربيجان حيث كان اسيراً من عهد الواقعة وفوض اليه كتابة الحوادث . كما نص عليه ابن الفوطي

نفسه في كتاب آخر له لا يزال مخطوطاً وهو الجزء الرابع من « تلخيص مجمع الآداب » اطلعت عليه خلال مكثي في الشام سنة ١٣٣٧ (سنة ١٩١٩) بين مخطوطات دار الكتب الظاهرية وهو من تحفها الثمينة لانه نسخة الأصل ومسودة المؤلف بخط يده، وان لدينا من الأدلة ما يكفي في نسبة هذا الكتاب المغفل الى العلامة المذكور فضلاً عما يلمس في كلا الكتابين من وحدة الفكر والأسلوب وتماثل الصيغ والعبارات وسرد الحوادث احياناً بنصوص واحدة لا يختلف بعضها عن بعض هذا ومما يحز في النفس الماً ان يمنى تاريخ العرب والأسلام وتاريخ بغداد والعراق خاصة بفقدان معظم آثار ابن الفوطي ومن جملتها اكثر اجزاء كتاب « الحوادث على التاريخ » اذ المرجح أن المؤلف بدأ هذا الكتاب الثاني باقدم عصور التاريخ الى ان انهاه بعصره وبذلك حفظت حوادث عصر المؤلف وهو من عصور الانتقال الخطيرة ففيه ملكت بغداد من قبل التتار واستولى هؤلاء الغزاة على الشرق والعراق بأسره ودالت على ايديهم دول عديدة منها دولة العباسيين الى هذا وما بعده من الماجريات التي دونها

للمؤلف بكفاية نادرة عرف بها في تتبع الحوادث والاحاطة بها
مع لطف في الطبع وسلامة في الذوق وابداع في اسلوب التأليف .
وبالجملة فالعلامة ابن الفوطي من نوابغ العراق في صدر القرن الثامن
سام في كثير من المعارف والفنون ولكن غلب عليه التاريخ
والانساب — فرع من فروع التاريخ — وهو ذو اسلوب خاص
مبتكر في هذا الشأن لم يفتر عن التأليف والتدوين من شرخ
صباه الى ان شاخ وقد لقي مئات من الشيوخ والأعلام آخذاً
عنهم الى ان عد من حملة الآثار ورجال الاسانيد العالية وطبقت
شهرته الاقطار ، مع انه لم يبرح العراق الا الى اذربيجان مكرهاً على
ذلك فكوتب من الجهات وارسلت اليه الاجازات العلمية عن
طريق المراجعة من الحجاز والشام وغيرها من البلدان .

اما مؤرخو ابن الفوطي كالصلاح الكتبي . وصاحب الدرر
الكامنة وغيرهما فلم يذكروا الا ما اتصل بهم من احواله وهو نزر
يسير مع ان سيرته حافلة بالجليل الجليل من الوقائع والأحداث ولم
يوردوا الا آحاداً من شيوخه مع انهم يعدون بالمئات . ثم انهم لم يسموا
الا بعض مؤلفاته وهي اكثر مما ذكروه بكثير . والخلاصة

لا مطمع للمؤرخ بالاطلاع الكافي على سيرته الا عن طريق الرجوع الى مؤلفاته وآثاره وما اورده فيها عرضاً عن نفسه — وكثيراً ما فعل ذلك — ولكن اكثر آثاره مفقود عدا هذا الكتاب الذي وجد غفلاً وعدا الجزء الرابع من كتابه — تلخيص مجمع الآداب — وهو كما تقدم من مخطوطات الخزانة الظاهرية في الشام ومن تهيأ له درس هذا المخطوط النادر من مؤلفاته عثر على شيء جديد ممتع من سيرته واحواله ومن تاريخ بغداد والعراق الضائعين الى هذا ونحوه مما لا مظنة له في كتاب آخر على ما نعلم . ولنا في هذا الموضوع رسالة ربما آثرنا نشرها في المستقبل . والله ولي التوفيق ؟

٦ صفر سنة ١٣٥١ : ١١ حزيران سنة ١٩٣٢ الشبيبي

محمد رضا



تصدير الكتاب

الحوادث الجامعة :

تحفة من تحف القرون الخالية وأثر باهر من آثار السلف العظام وعمل صالح من أعمال حملة العلم والعرفان ودرة واسطة في قلادة التاريخ العراقي بل نور شعشعاني منير لعصور ذلك التاريخ المظلم تاريخ عصر عزت فيه التواريخ ، وقل المحققون ونزر الصادقون، تحرى فيه مؤلفه — رحمه الله — :

وفيات العلماء والأطباء والسياح والفلاسفة والمنجمين والمؤرخين والنحاة والفقهاء والمحدثين والكتاب والشعراء والخطاطين والمتصوفة والوعاظ والملوك والسلاطين والأمراء والوزراء والحكام والزعماء والنواب والقواد والساسة . فكشف عن مآثرهم ومعايبهم ووقائعهم ومسالماتهم وفتوحهم وانكساراتهم ومدحهم وقدحهم وأخلاقهم وعاداتهم وعدلهم وجورهم ، مما يجعل ظامئ التاريخ ريان

وفي خلال ذلك يذكر لك المناصب ودرجاتها والاحتفالات وعاداتها والحكم وقوانينه ، والتدريس وانواعه والمدارس، ومراسيم الخلافة العباسية والدولة الايلخانية والضرائب وأنواعها والجزية وطريقة استيفائها والنقود وأنواعها وسكها وتاريخ رزق النقد والجند ونظامهم، والناس وخرافاتهم والجهاد والحج وجلادة البشر واحراقهم وحرية الافكار اذ ذاك، وحوادث الصيد وحفلاته والرمي بالبندق وقتل السباع والوحوش ، وخراج العراق ومصدره ومآله والجوامع والمساجد والربط والاسوار وتجديدها وبناءها وخزائن الكتب ، وكيفية الخلع على الوزراء والنقباء والأمراء والصوفية والمدرسين ، والخلفاء وظهورهم للرعية وعزل الأمراء وانواع الدواوين وحال أهل الذمة من زمن عمر بن الخطاب — رض — الى سنة «٧٠٠» هـ والدور العظيمة والقصور الفخمة والطرق والمحلات والجداول الجديدة والبلدان المستحدثة ، وعادات الخلافة في شهر رمضان والرمي بالمقاليع والمناجيق والساعات المائية وآلاتها وعجائبها وزفاف الأمراء وعاداته والسعاة وغرائبهم والفتوة (أي الكشف عند المعاصرين) وأخبار الفتيان والشمبذة وأصحابها ، والشعر وتطوره

والتجارة والتجار والتأديب والتهذيب وألوانهما، والطيور وتربيتها والمراسلة بها والعزاء وصورته . والعيارين والعيارات والطرارين والطرارات وأحوالهم والغناء والغيار والغرق ، وفتح المدارس واحتفالاتها وطعامها ، وشروط تعيين القضاة والانشاء وكتابته ، والتأليف في العصر السابع وغالب الكتب المؤلفة فيه والمخطوطة ، واللحية ونظم حلقها واخبار المدعين بالمهدية أو النبوة والمشاهد وتاريخ تعميرها والمكوس والتقسيطات ، والنساء وأحوالهن والحوادث الطبيعية الخارقة كالصواعق والزلازل والبرد الكبار والوفر والحريق ، وغلاء الاسعار وتراخيها ، والفتن وحوادثها وسقوط بغداد في يد هولاكو وما يتبعه من نشوء الدولة الايلخانية الى سنة « ٧٠٠ » الآنف ذكرها .

كان تاريخ العراق ناقصاً نقصاً فاحشاً فأكمله ويزيده فضلاً تطرقه لحوادث الأقطار المجاورة ، فهو كتاب لا يستغني عنه عراقي اذا كان قارئاً ولو مبتدئاً ولا أديب متتبع فكيف المؤرخون والكتاب والمدرسون وباقي الطبقات الخاصة فانه رائق الاسلوب بديع الالفاظ جذاب المطالعة واضح التحقيق كثير التدقيق بتسلسل في حوادثه

تسلسل الجدول المطرد الرائق الماء .

التعريف بالكتاب

هو كما عنوناه « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » للشيخ كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد الشيباني الفوطي واول من نسبه في عصرنا الى مؤلفه المذكور صديقنا المفضال المحقق يعقوب نعوم سركيس البغدادي فانه رأى في (١١ « ١٣٤٥ = ١٩٢٦ » : ٦٢٥) من مجلة العرفان الصيداوية قول المحقق الفاضل عيسى اسكندر المعلوف « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة للشيخ كمال الدين عبدالرزاق المعروف بابن الفوطي » فرأى عنوانه وقرنه منطبقين كل الانطباق على هذا المخطوط المغفل اسم مؤلفه الذاهب منه حوادث « خمس وعشرين سنة وبعض سنة ست وعشرين منه » بعوارض الزمان ، وقد جاء في مجلة المشرق (٥ « ١٩٠٢ » : ١٦٤ الى ١٦٥) مقالة للقانوني جرجس صفا عنوانها « كتبي المخطوطة تطرق فيها الى ذكر المستنصرية ووصف ساعتها

العجيبة بخصوص بحث عن مؤلف لابن الساعاتي ، وكان نقله عن الحوادث الجامعة الا انه لم يذكره ، ونشر الأب شيخو في المشرق ايضاً (١٠ « ١٩٠٧ » : ٨٠) تكامل بناء الايوان الذي انشئ مقابل المدرسة المستنصرية للساعات وذكر أن مصدره « كتاب قديم » ولم يكن ذلك الا الحوادث الجامعة ، ثم نشر جرجس صفا مقالة ثانية سماها « تعريف بعض مخطوطات مكتبتي » وذلك في المشرق (١٦ « ١٩١٣ » : ٤٤٢) فوصف فيها كتاباً في التاريخ وما ذلك الكتاب الا هذا ، وكان قد قال في وصفه :

« تاريخ خط جميل قديم ، قطع كامل نحو مائة ورقة مخروم من أوله ومؤلفه مجهول وقد قابلت هذا الكتاب على عدة كتب تاريخية فلم أجد انه واحد منها ، وظاهر منه أنه بخط مؤلفه بدليل الضرب على بعض أسطر منه وكتابة بدلها بالخط نفسه والصاق بعض أوراق على ما كان كتب ، والكتابة عليها غير ما كان وترك بعض الصفحات أو فسحة بياضاً مما يؤكد أن الكتاب مسودة المؤلف نفسه ... وفي آخر الكتاب نبذة قال المؤلف : انه نقلها من كتاب مناقب بغداد الذي الفه الشيخ جمال الدين ابو الفرج

عبد الرحمن الجوزي » ثم نشر الأب شيخو في المشرق (١٨ « ١٩٢٠ » : ٥٩٦) مقالة بعنوان « شذرات تاريخية من صحائف منسية » وقال : انه نقلها من تاريخ قديم كان قد وصفه جرجس صفا في مخطوطاته ، وروى أن الكتاب في يد الفضال المرحوم أحمد باشا تيمور بمصر (١) ولم تكن تلك الصحائف المنسية الا الحوادث نفسها : وسبب تملك أحمد باشا تيمور لهذا الكتاب هو ان الفاضل يوسف أليان سركيس الكتبي بمصر اشتراه له من جرجس صفا ، وفي سنة « ١٩٢٠ » أهدى الباشا المذكور الى العالم اللغوي الأب انستاس الكرملي نسخة من هذا المخطوط واستنسخها عليه فانتسخ عليها نسخات عدة جماعة من المعنيين بالتاريخ من لإفادة ومنها نسختنا . ثم أهدى الباشا — رح — نسخة فتوغرافية الى مكتبة الأوقاف العراقية ببغداد (٢) وهي التي كنا نقابل نسختنا بها عند الالتباس والتحريف والتصحيف ، ونشر الأب شيخو ثالثة مقاطيع لابن زطينا النصراني في المشرق (١٤ « ١٩٢١ » : ٧٣٦) ومرة رابعة باجابته لأحد السائلين عن

---

(١) راجع لغة العرب « ٥ : ٢١٨ وما بعدها » .

(٢) وقد اخذت صفحة منها بالفتوغراف ووضعناها في صدر هذا الكتاب .

زمن ظهور الأوراق النقدية كما في المشرق (٢٥، ١٩٢٧ : ٤٠٠) وذكرت مجلة الزهراء شيئاً عن هذا المخطوط كما في (٣ : ١٣٤٥ : ٢٥٤) وما يليها .

ونقل عنه أحمد باشافي كتابه «اليزيدية» خبر احراق بدر الدين لؤلؤ لعظام الشيخ عدي بن مسافر .

ومن ادلة المحقق يعقوب نعوم سركيس على نسبة هذا الكتاب العظيم الى مؤلفه المذكور ما ورد في حوادث سنة «٦٤٠» هـ = ١٢٤٢ م من أخبار أبي المظفر باتكين بن عبد الله الرومي المملوك الناصري من قول المؤلف عن باتكين هذا «وله نظم حسن منه ما قاله حين قتل بنو معروف بتل المقير في بطائح واسط وكان حاضراً الوقعة وقد تقدم ذكرها» ولكنها ليست مذكورة في ما بقي من الكتاب ، فراجع هو عنها تاريخ ابن الاثير فوجدها في «١٢ : ١٤٧» منه مع حوادث سنة ٦١٦ هـ مما يويد أن الكتاب حوادث «مائة سنة» ولا سيما وانه ينتهي لسنة «٧٠٠» قلنا : ومما يؤكد نقصه في حوادث ما بعد سنة «٦٠٠» قوله في حوادث سنة «٦٣٠» ماصورته «وفيها وصل الأمير حسام الدين أبو فراس

بن جعفر بن أبي فراس الذي كان أمير الحاج في الأيام الناصرية وقد تقدم ذكر مفارقته للحاج ومصيره الى الشام ومصر » فهذا يقتضي وقوع مفارقته قبل سنة « ٦٢٦ » لأنها غير مذكورة في ما بعدها من الكتاب ، وكذا قوله في حوادث سنة « ٦٤٦ » عن غرق بغداد ما نصه « ولم تبلغ هذه الزيادة التي كانت سنة أربع عشرة وستمائة » وليس في الكتاب حوادث تلك السنة المشار اليها كما هو معلوم ، ومما يؤيد أن هذا الكتاب له قوله في حوادث سنة « ٦٩٦ » عن السلطان غازان بن أرغون بن أبا قان هولاكو وزيارته المدرسة المستنصرية « فدخل خزانة الكتب ولمحها » فان المؤرخين ذكروا أن عبدالرزاق بن الفوطي كان اذ ذاك خازن كتب المستنصرية ، وانت ترى أنه لم يذكر خزانة الكتب دون مواضع المدرسة المهمة الا للنكتة التي قدمناها ولا يذكر هذا اللمح الا من له مقصد لأن التخصيص يخرجها عن الذكر المتعارف . وان الذي سهل معرفة صاحب الكتاب هو كشف الظنون للحاج خليفة فقد قال في « ١ : ٤٥٥ » منه « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لكمال الدين عبدالرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي البغدادي المتوفي

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وقال في ص٢١٦ منه « تاريخ ابن الفوطي متعدد : كالذيل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي « والحوادث الجامعة في الوفيات ، ومجمع الآداب » وقال في « ١ : ٢٣٧ » : الحوادث الجامعة ، وذكر السيد مرتضى في كتابه تاج العروس رجالاً يعرف كل منهم بابن الفوطي فقال « ومؤرخ العراق كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد الشيباني الفوطي مصنف عالم مات سنة ٧٢٣ » وذكر المؤلف للحوادث الجامعة كما في ص٣٨ من هذه الطبعة « ابن فوطي » آخر فقال « وكان الموفق عبدالغافر بن الفوطي من جملة تلامذته » وهو رجل زاهد على ما ظهر من شعره ، فألقاب الناس وكناهم واسماؤهم كثيراً ما تتشابه ويحصل التمييز بينها بالنسب والاعمار والآثار .



ترجمة مؤلف الكتاب

هو عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي المعالي محمد بن محمود بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الفضل بن عباس بن عبدالله بن معن بن زائدة الشيباني الصابوني المعروف بابن الفوطي والفوطي جده لأمه ، أبو الفضل كمال الدين المروزي الأصل البغدادي ، كان يقول انه من ذرية معن بن زائدة كما تقدم في نسبه ولد سنة « ٦٤٢ » هـ وذكر عن نفسه أنه سمع من محي الدين الجوزي والمبارك بن المستعصم بالله المقتولين سنة « ٦٥٦ » هـ باستيلاء هولاكو على بغداد ومن غيرهم يبلغ عددهم خمسمائة وأسر في هذه الواقعة ثم لقيه نصير الدين محمد الطوسي واتصل هو به فاشتغل عليه بعلوم الأوائل المعروفة بالفلسفة وبالآداب وبالنظم وبالنثر وله شعر كثير بالعربية والفارسية ومهر في التاريخ وله يد صناع في تحرير التراجم وقلم سريع بخط بديع غاية البداعة ، كان يكتب من ذلك الخط الفائق الرائق أربع كراريس في اليوم ، قال الصفدي:

« اخبرني من رآه ينام ويضع ظهره الى الأرض ويكتب ويده الى جهة السقف » وكان له بصر بالمنطق وفنون الحكمة بدرسه على نصير الدين وباشر له خزانة الرصد بمراغة مدة عشر سنين وكانت كتبها « ٤٠٠ » ألف مصنف او مجلد على ما نقل هو نفسه ، فاطلع على كتب نفيسة وألف تآليف بديعة مهمة منها « الحوادث الجامعة » هذا وكان بعد مباشرته خزانة الرصد قد رجع الى بغداد وصار خازن كتب المستنصرية الى أن مات ، عني بالحديث وقرأ بنفسه وكتب بخطه المليح كثيراً من الكتب القديمة ، قال ابن حجر « ملكت بخطه خريدة القصر للعماد الكاتب في اربع مجلدات في قطع الكبير قدمتها لصاحب اليمن فاثابني عليها ثوابا جزيلاً » فقد كان روضة معارف وبحر أخبار ، ذكر في مؤلفاته أنه طالع تواريخ الاسلام وسرد اسماءها . ومنها تاريخ خوارزم . وتاريخ اصبهان لحمزة . وتاريخها لابن مردويه ولابن منده . وتاريخ قزوين للرافعي . وتاريخ الري للأبي . وتاريخ مراغة . وتاريخ أران . وتاريخ البصرة لابن دهجان وتاريخ الكوفة لابن عبدالله . وتاريخ واسط للدبيثي . وتاريخ سامراء وتاريخ تكريت . وتاريخ الموصل . وتاريخ ميافارقين . وتاريخ

العماد بن القلانسي . وتاريخ صقلية . وتاريخ اليمن، قال الذهبي « ويقال انه كان يتناول المسكر ثم تاب وصلح حاله في الآخر » وقال ابن رجب « تكلم في عقيدته وعدالته سمعت من شيوخنا ببغداد شيئاً من ذلك » روى عنه ابنه ببغداد وسمع منه محمود بن خليفة ومات في المحرم سنة ٧٢٣ (١) كما قدمنا عن كشف الظنون وتاج العروس ونقلنا آنفاً أن ابن الساعي كان من شيوخه ، وقال الذهبي في « ٢ : ١٧٩ » من دول الاسلام بحوادث سنة « ٧٢٣ » ما صورته « توفي العلامة الأديب، مؤرخ العراق عبد الرزاق بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن الفوطي الشيباني صاحب التصانيف عن احدى وثمانين سنة »

(١) لغة العرب « ٦ : ٦٤٧ » عن الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني وفوات الوفيات « ١ : ٢٧٢ » .



مؤلفاته

١ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة. وقد اسلفنا انه ذكر في كشف الظنون ثلاث مرات واشرنا في ص ٢٥٨ من طبعة الحوادث هذه الى أنه ألف الحوادث بعد سنة «٦٩٧» هـ لأنه نقل عن تاريخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني وقال « رحمه الله » والكازروني كانت وفاته في سنة « ٦٩٧ » فالتأليف كان بعد هذه السنة ، وتظهر هذه الحقيقة لقارىء الكتاب من كونه لم يذكر الحوادث ذكر مشاهد بل ذكر ناقل ماعدا بعضها كدخول غازان في المستنصرية ولحه خزانة الكتب التي كان فيها ابن الفوطي نفسه خازناً لكتبها .

٢ ـ مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب في خمسين مجلداً وقد ذكره كشف الظنون غير مرة وذكره في فوات الوفيات والدرر الكامنة ، قال الشيخ محمد الزهري الغمراوي في آخر المجلد الرابع من شرح عبدالحميد بن أبي الحديد « نقلت من كتاب معجز الآداب في معجم الألقاب تأليف الشيخ الامام أحمد بن

محمد بن أبي المعالي الشيباني القوطي (كذا) الذي فاق في معرفة التاريخ جميع أقرانه وأربى في علم الآداب على ابناء زمانه، قال» ملخص حال الشيخ الامام السعيد عز الدين عبدالحميد : هو عز الدين عبدالحميد بن أبي الحسين بن أبي الحديد المدائني الحكيم الأصولي ... » قلنا : هو الفوطي لا القوطي كما ذكره الشيخ ولا الفوطي كما جاء في طبع فوات الوفيات ومؤلفه عبدالرزاق لا أبوه أحمد كما ذكر الشيخ .

وذكر محمد باقر الخونساري في ص ٤٢٢ من روضات الجنات في ترجمة عبدالحميد المذكور مثل ما نقل الشيخ الغمراوي ثم قال « وقد ذكره الشيخ أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الشيباني الفوطي الأديب المؤرخ المشهور بنسبه الذي تصدر به العنوان الى قولنا « الأصولي » ولم يذكر اسم كتابه الذي نقل عنه وذلك تفريط منه ، اما الشيخ الغمراوي فكان يحسن به الاشارة الى مظنة النسخة التي تزود منها الترجمة .

٣ ـ درر الأصداف في بحور الأوصاف مرتب على وضع الوجود من المبدأ الى المعاد وقدره عشرون مجلداً . ذكر في الفوات

وفي الدرر الكامنة وجاء في الوفيات « غرر الأوصاف » والأول أصح وأوفق للذوق .

٤ - الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة . ذكر في الفوات والدرر الكامنة .

٥ - تلقيح الأفهام في المؤتلف والمختلف . وهو مجدول جاء ذكره في الفوات .

٦ - التاريخ على الحوادث من آدم الى خراب بغداد .

٧ - تلخيص مجمع الألقاب وهو اختصار مجمع الآداب في معجم الاسماء والألقاب المذكور آنفاً ذكره ابن عتبة كما في ص ٢٣٤ من عمدة الطالب طبعة بمبي قال « وذكر الشيخ الفاضل قوام الدين عبد الرزاق بن الفوطي المؤرخ البغدادي في كتابه تلخيص مجمع الألقاب « زين الدين أبا محمد حبيب بن عبد المهيمن بن سپاه سالار ابن سفيان بن انس بن يحيي بن أحمد ذنيب وذكر أنه رآه ببغداد وهو كيلاني حنبلي المذهب والأكابر يطايبونه كيف أنه حنبلي » هذا كلامه وقال في ص ٢١٩ « ومن ولد القاسم الشبيه : يحيي الزاهد... منهم بنو ماصي ... منهم تقي الدين ... وابنه شرف الدين أبو المناقب

محمد ذكره الشيخ جمال الدين الفوطي » فترى أن لقبه جاء في العمدة على صورتين « قوام الدين » أولاً و « جمال الدين ثانية » والمشهور « كمال الدين » وفي الخزانة الظاهرية بدمشق اليوم المجلد الرابع من تلخيص مجمع الألقاب لا يزال مخطوطاً كما تقدم .

عقيدة المؤلف ومذهبه

نقلنا آنفاً قول ابن رجب فيه « تكلم في عقيدته وعدالته سمعت من شيوخنا ببغداد شيئاً من ذلك » فالظاهر من هذا القول أنه كان يذهب مذهب المعتزلة من وجوب العدالة على الله — تعالى — أو الى الجبر ولم نر في كتابه الحوادث الجامعة ما يستوجب القدح في عقيدته فانه كثيراً ما استعاذ بالله من سوء التوفيق واستنزل رحمات الله على الموتى الصالحين وذكر النبي — ص — بالتعظيم والأئمة والصالحين بالخير ووصف الشرع بالمطهر وهو في كل ما سرد من الحوادث والتراجم منصف معتدل العواطف طلاب للحقائق ورع اللسان سليم الجنان ولكون ابن الساعي شيخه ولاشارته بمذهب الشافعي غير مرة ولنصه على شافعية المترجمين من الشوافع في كتابه واغفاله مذاهب غالب المترجمين من غير الشوافع . ولاستقامة

تاريخه ونزاهة لسانه اذهب الى انه كان شافعيا ومن الذي حققناه أنه لم يكن حنبليا فقد نقلنا لك عنه ذكره لزين الدين أبا محمد حبيبا الجيلاني العلوي وكيف كان الناس يطايبونه في اجتماع العلوية والحنبلية فيه . وسترى في ص٤٢٦ ذكره فقدان ظهير الدين بن عبد القادر الجيلي وأنه « حكى بعض أصحابه : أنه رآه في المنام بعد فقده بثلاثة أيام فسأله عن حاله فقال له « يضرب المثل عن يده تحت الرحى فكيف بمن قد حصل كله تحت الرحى » فمثل هذه الأمور لايذكرها حنبلي في حنبلي أبداً ، وتحققنا أيضا انه لم يكن شيعيا لأنه عند ذكره الرسول عليه — الصلاة والسلام — يقول « صلى الله عليه وسلم » وهو ليس بمتعارف عند الشيعة ولأنه قال في ترجمة أبي الطليق معتوق المعروف بابن شقير المنكر « وكان يتشيع » وليس هذا مما يذكره شيعي عن شيعي بل هو اصطلاح غير الشيعة في ذكرهم الشيعة كما هو مشهور، فأما ذكره بعض الائمة الاثني عشر بـ « عليهم السلام» فهو أسلوب معروف متبع عند غير الشيعة ولا سيما الشافعية كما ترى في الوفيات لابن خلكان الشافعي وليست الحاجة ماسة الى الاسهاب في هذا الباب .

بيان اعتذار

كنا قد أعددنا تعاليق جمة لالحاقها بهذا الكتاب لتفسير المبهم وتفصيل للمقتضب واستدراك للغفل ومطابقة المواضع الحديثة على القديمة لكن الأستاذ الجليل (نعمان) الاعظمي الكتبي المنفق على طبعه خدمة للأدب والتاريخ العربيين لم يشأ تضخم الكتاب وتصعيبه على التاريخيين والطلاب فاكتفينا بايراء القارئ من التفسير وبعض التفصيل ونادر الاستدراك وقليل الاعجام للمواضع، ونقطنا واصلحنا كثيراً من الكلمات المهملة المصحفة ولم نشر الى ذلك اللهم الا الى ما يقتضي تبديل الكلمة تماماً فاننا لم نر بداً من اللمح اليه، ويظهر فضل ذلك التنقيط والاصلاح للذي سيقابل بين نسختنا المطبوعة وبقية النسخ المخطوطة، فليس ما قمنا به متيسراً الا للمختصين بالتاريخ البالغين أطوريه ولا سيما وأن زمان الحوادث الجامعة زمان مهمل حوادثه قليل تواريخه، ومع ما تقدم من استفراغنا الطاقة والمجهود نعتذر الى القراء مما يرونه من التقصير أو الغفلة أو سبق القلم فالله الهادي الى السبيل السوي وله الكمال وحده .

الكتب التي استعنا بها

(١) الوفيات لابن خلكان طبعة ايران (٢) رحلة ابن جبير الاندلسي (٣) بهجة الأسرار للشطنوفي (٤) كشف الغمة في معرفة الائمة لعلي بن عيسى الأربلي (٥) معجم البلدان لياقوت الحموي (٦) مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق الحنبلي (٧) صحاح الاخبار لسراج الدين الرفاعي دفين بغداد (٨) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين ابي نصر عبدالوهاب السبكي (٩) مناقب بغداد لابن الجوزي (١٠) قاموس الفيروزآبادي (١١) سيرة جلال الدين منكوبرتي خوارزم شاه للكاتب محمد بن أحمد المنشئ النسوي (١٢) كامل ابن الأثير (١٣) مختصر الدول لابن العبري (١٤) السنون الضائعة من الحوادث الجامعة وهو من تآليفنا لا يزال مخطوطاً (١٥) ارشاد الأريب الى معرفة الاديب لياقوت الحموي ايضاً (١٦) كتاب الف ليلة وليلة (١٧) خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الاربلي (١٨) عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب

لابن عتبة (١٩) شرح عبد الحميد بن أبي الحديد لنهج البلاغة (٢٠) فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي (٢١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٢) مختصر تاريخ ابن الساعي لرجل من أهل القرن الثامن للهجرة (٢٣) تاريخ الحكماء للقفطي (٢٤) الفخري لابن الطقطقي (٢٥) أخبار الدول للقرماني (٢٦) بغية الوعاة للسيوطي (٢٧) تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي الذي طبع حديثاً بمصر (٢٨) نفح الطيب للمقري (٢٩) تاريخ الطبري الكبير (٣٠) بغداد على عهد الخلافة العباسية بالانجليزية للسترنج الانجليزي (٣١) التاريخ الغياثي لعبد الله بن فتح الله البغدادي ولا يزال مخطوطاً (٣٢) فرجة الهموم والحزن (٣٣) طبقات الحنفية لمحمد بن عبد الحي اللكنوي (٣٤) مجلة لغة العرب (٣٥) روضات الجنات لمحمد باقر الخونساري (٣٦) الاعلام باعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي (٣٧) الكشكول لبهاء الدين العاملي (٣٨) دول الاسلام لشمس الدين محمد الذهبي (٣٩) كشف الظنون للحاج خليفة (٤٠) صبح الاعشى للقلقشندي .

بغداد مصطفى جواد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

تابع لسنة ٦٢٦هـ

أحد خدم (١) الخليفة الى المارستان العضدى (٢) ومعهم عبدالعزيز (٣) ابن القبيطى واعتبرت الحوائج التي في المخزن فسأل صاحب المخزن خازن المارستان والطبيب والقوام كم تكفي هذه الحوائج مرضى المارستان ؟ فاتفقوا على ان يكفيهم سنة ، فقال قد أنهى ابن القبيطى أن المارستان خال من حوائج وانه يشترى

---

(١) هذا الخبر مبتور الاول وقد تلف في ما تلف من الكتاب وهو حوادث « ٢٥ » سنة وكثير من حوادث سنة « ٦٢٦ » ويعرف اول الخبر بآخره

(٢) منسوب الى عضد الدولة ابي شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ابي علي الحسن بويه الديلمي امر ببنائه في الجانب الغربي من بغداد وفرغ من بنائه سنة « ٣٦٨ » هـ كما في وفيات الاعيان لشمس الدين احمد بن خلكان « ١ : ٤٥٦ » وفي سنة « ٣٧١ » هـ فتح للاستشفاء راجع مختصر الدول لابي الفرج ابن العبري « ص ٢٩٩ » وكان على ماحققناه على شاطىء دجلة مما يقابل مقبرة المنطقة اليوم بين الكاظمية وبغداد لان المنطقة كانت تسمى « مسجد العتيقة » وكانت من مواضع السريان ويسمونها « سونايا » على ما في معجم البلدان لياقوت الحموي و يمر بها سوق العتيقة ويميل السوق نحو اليمين الى شاطىء دجلة وعلى الشاطىء المارستان العضدي راجع رحلة ان جبير الاندلسي ص ٢٠٤ و « فناخسروا » بفتح الفاء وتشديد النون وضم الخاء وتسكين السين وضم الراء

(٣) سيرد في حوادث سنة « ٦٤٧ » هـ من هذا الكتاب - انشاء الله - اسم ما

مايحتاج اليه المرضي ثم امر به فصفع الى ان وقع الى الارض وتقدم بحمله الى حجرة المجانين فحبس بها مسلسلا وأفرج عنه بعد شهر.

وفي غرة رجب المبارك فرقت الرسوم بالبدرية (١) وفتح الرباط المستجد بدار «الروم» الذي انشأه الخليفة المستنصر بالله مجاور المسجد ذي المنارة الذي أمر بعمارته واسكنه جماعة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ أباصالح نصر (٢) بن عبدالرزاق بن عبدالقادر وخلع عليه وعلى الجماعة وعملت به الدعوة.

وفيه استدعي شهاب الدين محمود (٣) بن أحمد الزنجاني مدرس

صورته «عبدالعزيز القحيطي» ويتكرر نص «ابن القحيطي» فلعله هو لان الظن واجب في مثل هذه الشبهة وجاء في «ص ١٤» من كتاب بهجة الاسرار ومعدن الانوار لعلي بن يوسف الشطنوفي «اخبرنا الشيخ ابو طالب عبد اللطيف ... الحراني الاصل البغدادي الدار التاجر المعروف بابن القبيطي ببغداد سنة «احدى وثلاثين وستمائة» وورد في كشف الغمة فقد كان ببغداد يسمى الواحد منهم «ابن القبطي» او «ابن القبيطي» من اهل القرن السابع للهجرة، والمخزن وكان بمثابة «بيت المال وديوان الخراج ووزارة المالية»

(١) البدرية نسبة الى «بدر» مولى المعتضد بالله ابي العباس احمد. وهي محلة كانت في الجانب الشرقي من بغداد راجع الوفيات «ج ١ : ص ١٧٤ - ١٧٥» ه ومن ابواب دار الخلافة المسورة بالجانب الشرقي «باب بدر» والمحلة كانت قريبة منه وبازائه

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في سنة «٦٣٣» وراجع (ص ١١٥ - ٦) من بهجة الاسرار و (ص ١٧ وما بعدها) من كتاب صحاح الاخبار للسيد سراج الدين الرفاعي المدفون في الجامع المسمى باسمه ببغداد وفي المحلة التي اضيفت اليه عند الصدرية

(٣) سيذكر المؤلف وفاته بعد سقوط بغداد بايدي التتار سنة «٦٥٦» وراجع طبقات

النظامية (١) الى دار الوزارة فاخذ وهو على المدة يذكر الدروس وعزل وتوجه الى داره بغير طرحة (٢) . ورتب عوضه عماد الدين ابو بكر محمد بن يحيي السلامى المعروف بابن الحبير (٣) وخلع عليه وأقر على تدريسه بمدرسة فخر الدولة (٤) ابن المطلب بعقد المصطنع وعلى المدرسة الاسبهبذية (٥) بين الدربين .

وفيه احضر أبو القاسم علي (٦) ابن البوري الى باب (٧) النوبي وضرب مائة عصا وقطع لسانه وحمل الى حبس المدائن وكان شاباً حسن الصورة تام الخلقة جميلا نقل عنه مااقتضت السياسة ان

الشافعية الكبرى لتاج الدين ابي نصر عبدالوهاب ن تقي الدين السبكي (ج ٥ : ص ١٥٤)

(١) منسوبة الى نظام الملك ابي علي الحسن ابن علي قوام الدين الطوسي

(٢) الطرحة : هي كالطيلسان واختص بها المدرسون في هذه العصور

(٣) الحبير بضم الحاء: وكان اماما عارفا بمذهب الشافعي دينا خيرا مجادلا مناظرا توفي سابع شوال سنة (٦٣٩) وكان حنبليا ثم انتقل الى الشافعية : راجع طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ : ص ٤٤

٤ هو أبو المظفر الحسن بن هبة الدين المطلب راجع كامل ابن الاثير ١١ : ١٨٠ ، ٢٠٠ ومناقب بغداد ص ٢٣ وسيذكر المؤلف نقل رفاته من المسجد الى مشهد الامام موسى بن جعفر في سنة ٦٤٧ لان حائط المسجد وقع ، واما عقد المصطنع فقد كان على تحقيقنا بمحلة قاضي الحاجات اليوم قرب الشورجة وتسمى هذه المدرسة ايضا دار الذهب كما سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٣١

٥ مانعرف موضع هذه المدرسة وقد ذكرها الفيروز آبادي في القاموس

٦ منسوب الى بوري كدنيا قرية قرب عكبرا واطلال عكبرا اليوم في شرق السميكه

٧ النوبي بضم النون وتسكين الواو

يعمل به ذلك . نعوذ بالله من طوارق الليل والنهار :

وفي شعبان تكامل بناء المسجد المستجد المعروف بقمرية (١) بالجانب الغربي على شاطئ دجلة المقابل للرباط البسطامى (٢) ونقل اليه الفرش والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك ، وفتح في شهر رمضان ورتب فيه مصلياً الشيخ عبد الصمد ابن أحمد بن أبي الجيش وأثبت فيه ثلاثون صبياً يتلقنون القرآن عليه . ورتب فيه معيد يحفظهم التلاقين ورتب ايضاً فيه الشيخ حسن بن الزبيدى محدثاً يقرأ عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخميس . ورتب ايضاً قارئ للحديث وجعل في المسجد خزانة للكتب وحمل اليها كتب كثيرة ،

وفيها انفذ فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدامغانى والشيخ أبو البركات عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ والامير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل الى جلال الدين منكوبري (٣) بن خوارزمشاه محمد بن تكش مع

١ لايزال جامع قمرية معمورا في الضفة الغربية من دجلة وفي هامش الاصل ما يدل على ان عبد الصمد كان حنبليا ولم ينتقل مع اشتراط الواقف للشافعية

٢ على ماتقدم يكون موضوع الرباط البسطامى ، في السراي اليوم وهو يقابل جامع قمرية

٣ هو منكوبرتى ، بتاء قبل الياء ، الف سيرة له محمد بن احمد بن علي بن محمد المنشئ النسوي وكان من كتابه المشهورين؛ وقد طبعت هذه السيرة في ديار الافرنج وترجمت الى الفرنسية

رسول كان وصل منه وهو يومئذ على خلاط محاصراً لها ونفذ له معهم تشريفات (١) وكراع ولباس الفتوة (٢)
ووكل فخر الدين بن الدامغاني في فتوته من الخليفة المستنصر بالله والشيخ أبو البركات نقيب الفتوة وكان ذلك بموجب سؤاله

وكان مع هؤلاء الموفدين سعد الدين حسن بن الحاجب علي كما جاء في ص ١٨٧ من سيرة منكوبرتي وكما سيذكره المؤلف في سنة ٦٢٧ بقوله فيها وصل . . . وسعدالدين حسن بن الحاجب علي المقدم ذكر توجيهم في السنة الخالية الى جلال الدين منكوبرتي

١ كانت هذه الهدايا لاجل رفع الحصار عن خلاط ولاجل الخطبة والدعاء للمستنصر بالله في بلاد خوارزم شاه جلال الدين فان اباه علاء الدين اسقط الدعاء للناصر لدين الله في كثير من بلاده ولاجل امور اخرى. واما هي فيصص استقصاؤها منها خلعتان للسلطان خوارزمشاه احداهما جبة وعمامة وسيف هندي قد رصع نجاده والاخرى قباء وفرجية وهي التي تلبس على الكتف والظهر وسيف قراجولي محلى بالذهب ومرصع الحياصة بالدنانير وقلادة مرصعة ثمينة وفرسان بأحسن العدد الملوكية بثماني تطبيقات اي نعال طبقت على حوافرهما وزن كل تطبيقة مائتا دينار وترس ذهب مرصع بنفائس الجوهر فيه احد واربعون فصا من الياقوت . وبدخشاني وفي وسطه فيروزج كبير وثلاثون فرسا من الخيل المسومة مجللة بالاطلس الرومي مبطنة الجلال بالاطلس العراقي البغدادي وعلى رأس كل جنيب مقود حرير قد ضربت عليه ستون دينارا خليفية ، وثلاثون او عشرون مملوكا بالعدة والمركوب وعشرة فهود بجلال الاطلس وقلائد الذهب . وعشرة صقور مكللة الاكمة باشياء ثمينة . ومئة وخمسون بقجة في كل واحدة عشرة ثياب . وخمس كرات من العنبر الاشهب مضلعة بالذهب عود وشجرة طولها خمس اذرع اوست تحمل بين رجلين واربع عشرة خلعة برسم الخانات جمع خان كلها مع الخيل المطهمة وحوائص الذهب جمع حياصة ومنهم داعي خان و وآلغ خان و اوترخان و طغان خان ولتفصيل خبر الهدية يراجع ص ١٨٧ وما بعدها من سيرة منكوبرتي

٢ لباس الفتوة : هو سراويل والفتوة بمثابة الكشافة عند المعاصرين ولنا مقالتان مفصلتان اعظم التفصيل فيها ، احداها في لغة العرب والاخرى في مجلة العرفان الصيداوية

وقد ذكر ابن الاثير حصار خوارزم شاه جلال الدين لخلاط راجع الكامل ج ١٢ : ص ٢٠١ - ٢٠٢ واوضحها ابن الخلكان في وفياته ج ٢ : ص ١٦١ : ٢٦٥

وفي غرة ذي القعدة خلع على الامير شمس الدين أصلانتكين واخرج نائباً عن امير الحاج فورد الخبر الى بغداد ان قوما من عرب البطنين (١) خرجوا على الحاج وعدلوا بهم عن الطريق المسلوكة في كل سنة وطلبوا منهم خفارة (٢) واختطفوا من أطرافهم واسفرت الحال الى تقرير اثنى عشر الف دينار تسلم اليهم وينصرفون عنهم فصححت (٣) لهم من نفقات السبل ومال المخزن المعد للصدقة من غير الزام احد من الحاج بشئ وانفصلوا عنهم فتقدم الخليفة بالتعيين على الامير جمال الدين قشتمر وان يخرج معه خمسة الآف فارس ويقصد الاعراب المذكورين فتوجه في ثاني عشر ذي الحجة فلما وصل الكوفة عين على جماعة نفذهم طلائع فلما وصل لينة (٤) عاد منهم من اخبره ان مددهم من الثعلبية (٥) الى زرود وهم يرقبون وصل الحاج فرحل من لينـة على غير

١ هكذا في نسخة الاصل ولعله الطائيين من قبيلة طيء المشهورة وهم من طريق مكة

٢ الخفارة اجرة الخفر اي المحافظة كالجعالة

٣ صححت: معناه جمعت وحققت وهو مولد

٤ بكسر اللام وتسكين الياء وفتح النون ، منزلة في طريق الحاج من جهة العراق الوفيات ج ٢ : ص ٩

٥ هي من منازل طريق مكة ايضا بعد زرود للمتوجه من الحجاز الى العراق

الطريق المسلوك فوصل من الطوالع من أخبره ان بينه وبين العرب نحو مرحلتين وهم نزول بالحضرا (١) والثعلبية فجمل امراء العسكر ومشايخ العرب وعين لهم وقت اللقـآء ثم ركب وسار ليلته اجمع حتى وصل اليهم فاقتتلوا اشد قتال فانهزمت العرب وقتل منهم خلق كثير فاحتوى العسكر على اموالهم دون اولادهم ونسائهم واقاموا بالموضع المذكور الى ان وصل الحاج الثعلبية واجتمعوا بهم واصطحبوا راجعين الى بغداد .

وفيها عزل محي الدين يوسف ابن الجوزي عن النظر بخزانة الغلات بباب المراتب ورتب عوضه كمال الدين عبدالرحمن (٢) بن ياسين ثم عزل ايضا عن ديوان الجوالي (٣) ورتب عوضه محي الدين (٤) محمد بن فضلان وتقدم اليه باعتماد .

---

١ كذا مافى الاصل ولعله القصر قال ابن الجبير ثم اسرينا منها اي من البيداء ونزلنا ضحوة يوم الاربعاء بزرود وهى وهدة في بسيط من الارض فيها رمال منهالة وبها حلق كثير داخله دويرات صغار شبه الحصن يعرف بهذه الجهات بالقصر والماء بهذا الموضوع في آبار غير عذبة فنزلنا ضحوة يوم الخميس . . بموضع يعرف بالثعلبية فبقرب القصر من الثعلبية يترجح قولنا السابق راجع الرحلة ص ١٨٥

٢ سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٩٣٣ استطرادا ولكنه لم يذكر وفاته راجع طبقات الشافعية ٥ : ٧٢

٣ قال في مختار الصحاح واستعمل فلان على الجالية اي على جزية اهل الاذمة والجمع الجوالي

٤ سيذكر المؤلف وفاته في سنة ٦٣١ وهو ابن واثق بن علي بن الفضل بن هبة الله راجع طبقات الشافعية السكبري ٥ : ٤٤

الشرع المطهر في اخذ الجزية من اهل الذمة فزاد على من عليه
دون الدينار لانه لايجوز في مذهب الشافعي رضي الله عنه ان
ان يؤخذ من احد اقل من دينار اذا كان فقيراً وان كان متوسطاً
اخذ منه ديناران وان كان غنياً اخذ منه اربعة دنانير ، لايجوز ان
ان ينقص احد من اهل هذه الطبقات الثلاث عن هذه المقادير
اقتداء بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه جعل اهل السواد ثلاث
طبقات على ماتقدم شرحه (١) اقتداء برسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه لما بعث معاذاً الى اليمن قاضيا امره ان يأخذ من كل
حالم ديناراً وفي رواية ومن الغنى اربعة دنانير ومن المتوسط دينارين
ولا تقدير لاكثر الجزية فانه لو طالب الامام اونائبه اضعاف ذلك جاز حتى
لو امتنعوا من اداء الزيادة كانوا ناقضين للعهد ،

وفيها توفي يعقوب (٢) بن صابر الحراني الاصل البغدادي المولد
المنجنيقي . كان شيخا فاضلا مقدما على اهل صناعته وعنده
ادب ويقول الشعر فمن شعره :

هل لمن يرتجي البقاء خلود   وسوى الله كل حي يبيد

١ اي من قوله لانه لايجوز في مذهب الشافعي . . .
٢ ترجمه شمس الدين احمد بن خلكان في الوفيات ٢ : ٥٠٥ وما بعدها

والذى كان من تراب وان عا ش طويلا الى التراب يعود
ومصير الأنام طراً الى ما صار فيه آباؤهم والجدود

ومنها :

اين حواء اين آدم اذ فا تهما الخلد والثوى والخلود
اين عاد بل اين جنة عاد ارم اين صالح وثمود

وهي طويلة ، آخرها :

لا الشقى الغوي من نوب الأ يام ينجو ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنايا سيوفا فالموالي حصيدها والعبيد

ومن شعره :

كلفت بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصياصي وافتتاح الرابط
ونظم القوافي والمديح لشقوتي (١)
فلم اخل في الحالين من قصد حائط

وكان كثير الدخول على الوزير ناصر (٢) بن مهدي ، ثم صار اذا جاء يجلس ظاهر الستر ، فقال :

قولوا لمولانا الوزير الذي اضاع ودي ونوى هجري

١ في الوفيات « وحدت الى نظم القريض لشقوتي »
٢ توفي سنة ٦١٧ وهو علوي وقد ترجمناه في السنين الضائعة

وصرت ان جئت الى بابه اجلسني في ظاهر الستر

ان كان ذنبي انني شاعر فاصفح فقد تبت من الشعر

ثم انقطع عنه مدة ، فلما دخل اليه انكر عليه انقطاعه، فقال :

وقالوا قد صددت وملت عنا فقلت ابيت تكرار المحال

انفت من الوداد الى اناس رأوا حالي ولم يرثوا لحالي

ثم هجاه فقال :

خليلي قولا للخليفة احمد توق وقيت السوء ما انت صانع

وزيرك هذا بين امرين فيهما صنيعك(١) يا خير البرية ضائع

لئن كان حقاً من سلالة حيدر فهذا وزير في الخلافة طامع

وان كان فيما يدعي غير صادق فأضيع ما كانت لديه الصنائع

وله في غلام ثقيل الروادف :

يقعده في النهوض ردف قيامتي دونه تقوم

افديه من مقعد مقيم عندي به المقعد المقيم

وله في زامر

وزامر بات نديما لنا ما بين سكران ومخمور

تقتلنا الخمر ونحيا به كأنه ينفخ في الصور

١ في الكامل: فمالك

وانشد يوماً قول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (١)

القني في لظى فان غيرتني ... فتيقن ان لست بالياقوت

شمل النسج كل من حاك لكن ... نسج داود ليس كالعنكبوت

فقال في جوابها .

ايها المدعي الفخار دع الفخر ... لذي الكبرياء والجبروت

نسج داود لم يفد صاحب الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت

وكذاك النعام يبتلع الجمر ... وما الجمر للنعام بقوت

وبقاء السمند في لهب النار ... مزيل فضيلة الياقوت

وفيها ، توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان اولاً نصرانيا واسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله وكان ذا فضل وادب ، وله نظم ونثر واشياء مستحسنة ، ومن شعره

ان سهرت عينك في طاعة ... فذاك خير لك من نوم

امسك قد فات بعلاته ... فاستدرك الفائت في اليوم

وان قسا القلب لأكداره ... فصفه بالذكر والصوم

---

١ قاله ابن خلكان ، ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره وقد اجاد في كل ما نظمه ورايت فيها البيتين المشهورين المنسوبين الى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما : القني في لظى فان احرقتني ... الوفيات ٢ : ٥٠٧ والقاضي الفاضل المذكور مترجم في الوفيات ١ : ٣٠٨ الى ٣١٠ وكامل ابن الاثير ١٢ : ٦٧

وله :

اذا اعيا عليك الامر فارجع　　الى رب عوائده جميله

فكم من مسلك مع ضيق سلك　　تجلى واستبان بغير حيله

وله :

اريد من نفسي نشاط الشباب　　ودون ما ابغيه شيب الغراب

فكيف والسبعون جاوزتها　　ومذهب العمر رمي بالذهاب

ومطلبي عز وما دونه　　تأباه نفسي واموري صعاب

وقد تحيرت ولا غرو أن　　يحار من يطلب ما لا يصاب

وفيها ، توفي الاستاذ سعد الدين محمد بن جلدك خازن دار التشريفات ، كان شيخاً عاقلا تولى خدمة الخليفة الناصر لدين الله مدة عمره وصحبه سفراً وحضراً وكان يتولى حمل مطالعاته الى الوزير وغيره ممن تبرز اليه مطالعته ،

وفيها ، توفي الملك المسعود ابو المظفر يوسف ابن الكامل الملك محمد ابن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب بن شادي ، لما ملك ابوه الملك الكامل اليمن ، واستولى على مكة ، ولاها ابنه الملك المسعود هذا فاستناب بها اميراً ، وكان هو يتردد اليها ومقامه باليمن ولم

تكن سيرته حسنة ولا طريقته محمودة ، قيل انه دخل بمكة في هذه السنة فاساء السيرة في اهلها ثم رمى طيور الحرم الشريف بالبندق فشلت يده وادركه اجله بها، فمات ودفن بالمعلى، وكان شابا

سنة سبع وعشرين وستمائة

في غرة المحرم ، جلس محي الدين ابو عبدالله محمد بن فضلان في ديوان الجوالي واستوفى الجزية من اهل الذمة ، فكان احدهم يقف بين يديه الى ان توزن جزيته ويكتب له رور وهو صاغر فلقوا من ذلك شدة وكان ابو(١) على ابن المسيحى رئيس الطب . له اختصاص ودخول الى دار الخليفة فاظهر المرض واعتذر وسأل ان تؤخذ جزيته من يد ولده ، فلم تقبل منه ، فحضر . وأداها ومضى ابن الشويح رأس مشيئة اليهود الى داره ليلا وسأله ان يأخذ الجزية معه فلم يلتفت اليه، وقال له لا بد ان تحضر نهاراً الى الديوان وتؤديها ، وشدد في ذلك ولم يسامح احداً .

وفيه، ولي شمس الدين ابو الازهر احمد بن الناقد استاذية الدار، وخلع

---

١ قال ابن العبري في ترجمة ابيه المسيحي : وخلف ولدا طبيبا : راجع مختصر الدول ص ٤١٩ ـ ٢٠

عليه وذلك اضافة الى وكالة الخليفة المستنصر بالله .

وفيها، وصل فخر الدين احمد بن الدامغاني وشمس الدين عبد الرحمن شيخ الشيوخ، والامير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل، وسعد الدين حسن بن الحاجب علي المقدم ذكر توجههم في السنة الخالية، الى جلال الدين منكوبرتي، وكان اجتماعهم بظاهر خلاط وهو نازل عليها ومحاصر لها، فخلعوا عليه والبسوه سراويل الفتوة، ووصل بعدهم بايام، رسول منه برسالة، (١) مضمونها شكر الانعام عليه والاخبار بفتح خلاط وملكها. فخلع عليه وعلى خواصه، وانزل دار الامير محمد بن الأنباري على دجلة فاقام اياما ثم عاد .

وفيها، نقل عن عبد الله (٢) بن اسماعيل صاحب ابن المنى الواعظ ما اقتضى انه احضر الى دار الوزارة وضرب مائة عصا وقطع لسانه وحمل الى المارستان العضدي، وحبس في حجرة المجانين وافرج عنه بعد ثلاثة اشهر .

وفي غرة شهر رجب المبارك، فرقت الرسوم من البر على اربابها

---

١ الرسول هو طوطق بن ايناج خان، كما في سيرة منكوبرتي

٢ هو ابن اسماعيل فخر الدين الحنبلي الفقيه ويعرف بغلام ابن المنى ايضا وقد ذكرنا ترجمة والده المذكور ووفاته في حوادث سنة ٦١٠ من كتابنا السنين الضائعة، وهي سنة وفاته .

جاري العادة، وابرز من دار الخليفة الى استاذ الدار شمس الدين احمد بن الناقد مالا بتفرقته على الفقراء والمحتاجين ببغداد .

وفيها، قلد قاضي القضاة عبدالرحمن بن مقبل الواسطي ابا عبدالله محمد بن ابي الفضل الحنفي ويعرف بربيب الأبرى، قضاء واسط وولاية الوقوف بها .

وفيها، تقدم الخليفة المستنصر بالله الى فخر الدين احمد بن نائب الوزارة مؤيد الدين القمي، بعمارة مساجد (١) الكرخ فشرع في ذلك فلما تكاملت عمارتها، رتب بها الائمة والمؤذنون .

وفيها، تكامل بناء قصر مبارك، الذي امر بعمارته بباب البصرة المشرف على الصراة .

وفيها، نقل ظهير الدين الحسن بن عبدالله، من اشراف الديوان الى صدرية المخزن، ورتب العدل فخرالدين احمد بن الدامغاني عوضه في اشراف الديوان .

وفيها، وصل رسول من محمد بن يوسف ابن هود، يخبر

---

١ وذلك لان هذه المساجد تهدمت في غرق بغداد شرقيها وغربيها سنة ٦١٤ وقد فصلنا حادثة الغرق، في كتابنا السنين الضائعة

باستيلائه على معظم بلاد الغرب واستعادتها من ايدى غصابها بني عبد المؤمن ، واقامة الدعوة بها للدولة العباسية ، فاكرم الرسول ثم كتب على يده شيء الى مرسله وخلع عليه واذن له في العود .

وفيها ، تكامل بناء سور الرصافة الذي ، امر بعمارته الخليفة المستنصر بالله .

وفيها ، ولي الامير شمس الدين اصلان تكين الناصري ، امارة الحاج وحج بالناس في هذه السنة .

وفيها ، توفى عضد الدين ابو نصر المبارك بن الضحاك وكان شيخا دينا فاضلا اديبا ، وكان من المعدلين بمدينة السلام ، ورتب ناظرا بديوان الجوالي ، وكتب ديوان الانشاء ، ثم نفذ رسولا الى صاحب الشام ، فلما عاد رتب استاذ دار الخلافة ، فكان على ذلك الى ان توفي ، وكان له شعر حسن ، فمما نسب اليه مارثي به بعض اصحابه وهو :

لئن مضى احمد حميداً ما الموت في أخذه حميد

أو بخلت مقلة بدمع فهي على مثله تجود

وفيها ، توفى الامير نور الدين كگسنقر التركي المعروف بالحلقي

كان اولا لبعض امراء العراق ، فلما توجه الوزير بن القصاب الى هناك واستولى على تلك الأماكن ، حضر عنده بعض الامراء فشاهد معه ككسنقر المذكور فاستحسن صورته واعجبه قده وهيفه ، فاشار الى بعض المماليك بان يتحدث اليه ويطمعه في سيده بحيث يطلب منه الانفصال عنه وبعده ان ينفذ به الى بغداد ويصير بها اميراً اكبر من سيده ، فاجتمع به المملوك ، وفاوضه في ذلك ورغبه فشافه سيده بذلك ، فقلق قلقاً شديداً وتضرع اليه في ان لايفارقه فلم يرق له فمنعه سيده من الخروج فالقى نفسه من الدار ومضى هارباً الى الوزير واستجار ببابه فادخله اليه وسمع كلامه ، واحضر سيده وتحدث معه في بيعه فلم يجب الى ذلك ، فامر الوزير بانفاذ ككسنقر الى بغداد مع ثقة ، فلما وصل ، ورآه الخليفة فاحسن اليه وتلقاه بالقبول ، ولم يزل في ارتقاء وعلو منزلة ، وقربه حتى ولاه الأمارة وجعله امير السلاح واقطعه معاملة الحدادية ، من اعمال واسط ثم اقطع قوسان ، واضيف اليه جماعة من الامراء ولم يزل يداوم على الشراب حتى غلب عليه البلغم وسمن سمناً عظيماً ، عطله عن الحركة وامتنع من الركوب ، فلم يزل على ذلك الى ان توفي . واما

سيده فانه لم يزل بعد فراقه مشغوفاً به هائماً عليه . مفكراً فيه ، حتى اخذه السل فاحرقه ومات .

وفيها ، عاد الأمير مجير الدين جعفر بن ابي فراس الحلي الى بغداد وكان مقيماً بمصر عند ولده ، فلما وصل ، وقع الرضا عنه من الخليفة المستنصر بالله ، وكان سبب توجهه الى مصر ، ان الخليفة الناصر كان قد امره وجعل اليه شحنكية واسط والبصرة ، ثم عزله عن ذلك ولم يوله فانقطع الى التعبد وحج في امارة ولده حسام الدين على الحاج ، فلما فارق ولده الحاج ، وتوجه الى مصر ، مضى صحبته واقام الى الآن ، وعاد الى بغداد في غرة رجب ، واقام بداره فادركته المنية في آخر ذي الحجة ، فصلي عليه في جامع القصر (١) وحمل الى مشهد امير المؤمنين علي عليه السلام

وفيها ، توفي احمد بن ابي السعود الرصافي الكاتب ، كان يخدم ولي العهد ابا نصر محمد بن الخليفة الناصر لدين الله وكان يكتب له انساب الطير والحمام ، وكان يكتب خطاً مليحاً على طريقة ابن البواب (٢) وكان معجباً بخطه . كتب نهج البلاغة بخطه ونادى عليه فدفع فيه خمسة دنانير فلم يبعه ، ثم نودي في الحال على قوائم ، بخط

(١) هو جامع سوق الغزل اليوم (٢) هو ابو الحسن علي بن هلال الخطاط ، راجع الوفيات ١ : ٣٧٦ ومعجم الادباء ٥ : ٤٤٥ وما بعدها ، ومختصر الدول ص ٣١٤

ابن البواب خمسة عشر ديناراً ، فاستشاط وقال يدفع في نهج البلاغة بخطى خمسة دنانير ويدفع في قوائم بخط ابن البواب خمسة عشر ديناراً ! . وليس بين الخطين كبير فرق ولا سيما هذا التفاوت ، ثم ذكر قصة ابن حيوس لما اجيز على قصيدة عملها ، الف دينار وتسامع الشعراء فحضر منهم جماعة وعرض كل منهم قصيدة ، فلم يعط احد منهم شيئاً ، فكتب احدهم الى الممدوح :

على بابك المعمور منا عصابة　　　مفاليس فانظر في امور المفاليس
وقد رضيت هذه العصابة كلها　　　بعشر الذي اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله　　　ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فعجب الحاضرون منه .

سنة ثمان وعشرين وستمائة

في المحرم ، وصل الى بغداد مظفر الدين ابو سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب اربل ، ولم يكن قدم بغداد قبل ذلك ، وكان معه محي الدين يوسف بن الجوزي ، وسعد الدين حسن ابن الحاجب علي ، وكانا قد توجها اليه في السنة الخالية فخرج الى لقائه فخر الدين احمد بن مؤيد الدين القمي نائب الوزارة ، والامراء

كافة والقضاة والمدرسون وجميع ارباب المناصب ، فلقوه على نحو من فرسخ ، ولقيه فخر الدين بن القمي بظاهر السور (١) واعتنقا راكبين ثم نزلا ، فقال له فخر الدين لما انتهى الى مقار العز والجلال ومعدن الرحمة والكرم والأفضال : لا زالت الابواب الشريفة ملجأ للقاصدين ، والأعتاب المنيفة منهلاً للواردين ، وصولك يامظفر الدين رسم اعلى الله المراسم الشريفة واسماها ، وانفذ أوامرها في مشارق الارض ومغاربها وامضاها ، قصدك وتلقيك واحماد مساعيك اكراماً لك واحتراماً لجانبك ، فيقابل ماشملك من الأنعام بتقبيل الرغام ، والدعاء الصالح الوافر الاقسام المفترض على كافة الأنام والله ولي امير المؤمنين . فقبل الارض حينئذ مراراً ، ثم دخلوا جميعاً الى البلد فلما وصل باب النوبي ، ساق فخر الدين ونزل مظفر الدين وقبل الارض ، وعضده الاجل نور الدين ابو الفضل بن الناقد احد حجاب المناطق بالديوان ، ثم ركب وقصد دار الوزارة فلقى مؤيد الدين القمي وجلس هناك ، وركب نائب الوزارة وولده وجميع ارباب الدولة والامراء ، وتوجهوا نحو دار الخلافة .

---

١ هو السور الممتد من شمالي قلعة بغداد الدائر حول بغداد حتى ينتهي الى دجلة بالباب الشرقي .

فاما مؤيد الدين وولده وخواصه ،فدخلوا من الباب القائمي بالمشرعة . واما الولاة والامرآء فدخلوا من باب عليان وباب الحرم ، وانتهى الجميع الى تحت التاج على شاطئ دجلة ، ووقفوا تحت الدار الشاطئية ذات الشبابيك ، ثم استدعى مظفر الدين من دار الوزارة بالامير عز الدين الب قرا الظاهري وبأحد خدم الخليفة ، فحضر فرفعت الستارة فقبل الجميع الارض ، وكان قد نصب تحت الشباك الاوسط كرسي ذو درج ، فرقي عليه نائب الوزارة واستاذ الدار ابن الناقد ، ومظفر الدين ، وسلم مظفر الدين مشيراً بيده الى الشباك تالياً قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي » فرد الخليفة عليه السلام . فقبل الارض مراراً ثم شكر الخليفة سعيه ، فاكثر من تقبيل الارض والدعآء فاسبلت الستارة وعدل بمظفر الدين الى حجرة ، فخلع عليه فيها ، وقلد سيفين وقدم له فرس بمركب ذهباً ومشدة(١) ، ورفع وراءه سنجقان مذهبان وخرج من الباب القائمي المعروف بباب النوبي بالمشرعة ، وبه كان قد دخل ومضى والناس في خدمته الى حيث انزل بدار شمس الدين علي ابن سنقر . بدرب فراشا وانزل جماعة من الامرآء الواصلين معه

---

١ المشدة : مما تزين به الفرس في عنقها

في دور، في عدة محال، وباقي عسكره في المخيم ظاهر البلد. واقيمت له ولأصحابه الأقامات الوافرة، ثم سأل زيارة المشاهد والربط ببغداد فعمل له في كل مكان وليمة، وصلى في جامع القصر جمعتين داخل الرواق الى جانب المنبر، ثم حضر في منتصف صفر مؤيد الدين القمي نائب الوزارة وولده والجماعة الذين حضروا يوم دخوله وجرت الحال على ماتقدم شرحه، وخاطبه الخليفة بما طابت به نفسه، فقبل الارض وابتهل بالدعاء وتلا قوله تعالى «ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين» ثم اسبلت الستارة وخلع عليه في تلك الحجرة، واعطي كوسات واعلاما وخمسين الف دينار، برسم نفقة الطريق، وبرسم حاشيته، واصحابه عشرة آلاف دينار.

وخرج من هناك الى دار الوزارة وحضر جميع اصحابه فخلع عليهم بحضوره، واقام بعد ذلك اياما ثم خرج الى مخيمه بظاهر سور سوق السلطان (١) وتوجه الى بلده، وكانت مدة مقامه ببغداد عشرين يوما، ومضي معه محي الدين بن الجوزي، وسعد الدين حسن بن

١ باب سوق السلطان هو باب المعظم اليوم ، وسوق السلطان يبتدئ من الميدان وينتهي الى المحلة نصرية ويسمى : سوق الثلاثاء .

الحاجب علي ، وعادا في ربيع الاول واخبرا ان مظفر الدين حلف امرآءه واعيان اهل بلده ، على طاعة الخليفة وتسليم البلد عند وفاته اليه

وفيها ، عزل قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل . ابا عبد الله محمد بن ابي الفضل الحنفي عن قضاء واسط ، وكان قد قلده القضاء في السنة الخالية فاقام بها شهوراً فلم يحمد مجاورة اهلها ، واصعد ليقرر قاعدة تمكنه المقام بها من توفير الجاه ، فلم يتهيأ له ذلك .

وفي صفر ، دخل بعض الاتراك الى دار الوزير مؤيد الدين القمي وطلب غفلة الستري (١) وانتهى الى مجلسه فلم يصادفه جالساً ، وكان بيده سيف مشهور وكان آخر النهار ، وقد تقوض الجماعة من الديوان فصاح عليه خادم ، فتبادر الغلمان وامسكوه ، وانتهى ذلك الى مؤيد الدين فجلس واحضر التركي بين يديه وسأله عما حمله على ذلك ؟ فلم يقل شيئاً ، فضرب ضربا مبرحا ، فذكر ان له مدة لم يصله شيء من معيشته وهو ملازم الخدمة وقد اضر به ذلك ، فحمله فقره وحاجته وغيظه على ما فعل ، فامر بصلبه فصلب وحط بعد يومين .

وفيها ، انهي الى الديوان . ان انسانا يهوديا اسلم وتزوج مسلمة ثم

---

١ الستري : هو الموكل بالستار لرفعه واسباله عند الايعاز . وابن البواب يعرف بابن الستري لهذا السبب

ارتد الى دين اليهود، فامر بقتله، فاحضر وصلب .

وقطع لسان انسان جيء به من همذان تحت الاستظهار، نقل عنه انه ادعى هناك اتصالا بالخليفة المستنصر بالله ثم حمل الى المارستان فحبس به .

وفيها ، اجتاز رجل بباب مسجد قد نصب عليه خشب ليجعل عليه اضواء لأجل الختمة فوقع عليه جذع فمات وحمل الى بيته فقال الجيران . هذا تخاصم هو وزوجته اليوم فخرج وهو يقول . اشتهيت ان يقع علي شيء حتى اموت واستريح منكم .

وفي ليلة عيد الفطر، فتح باب في حائط دار الوزارة وجعل عليه شباك حديد وجلس فيه مؤيد الدين القمي نائب الوزارة واستعرض العسكر .

وفي شوال ، تكامل بناء المدرسة التي انشأها شرف الدين اقبال الشرابي بسوق العجم بالشارع الاعظم بالقرب من عقد سور سوق السلطان مقابل درب (١) الملاحين ، وكان المتولي لبنائها شمس الدين ابو الازهر احمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله

---

١ درب الملاحين: يوافق درب مستشفى المجيدية اليوم . الممتد من باب المعظم الى دجلة: واحرى به ان يكون دربا للملاحين

وشرط الواقف «له النظر فيها وفي اوقافها ، ثم بعده الى من يلي وكالة الخلافة ، وفتحت في آخر شوال ورتب بها الشيخ تاج الدين محمد بن الحسن الارموى مدرساً ، وخلع عليه وعلى الفقهاء والمعيد وجميع الحاشية ومن تولى عمارتها ، وحضر جميع المدرسين والفقهاء على اختلاف المذاهب ، وقاضي القضاة عبدالرحمن بن مقبل ، فجلس في صدر الايوان وجلس في طرفي الايوان محي الدين محمد بن فضلان ، وعماد الدين ابو صالح نصر ابن عبدالرزاق بن عبد القادر فكلاهما قد كان قاضي قضاة وعمل من انواع الأطعمة والحلواء ماتعبي في صحنها قباباً ، وحمل من ذلك الى جميع المدارس والاربطة ، وقرئت الختمة وتكلم الشيخ محمد الواعظ ثم جلس المدرس بعده ، وذكر دروساً اربعة فاعرب عن غزارة فضله وتوسع علمه .

وفيها خلع على الامير شمس الدين اصلان تكين ، خلعة امارة الحاج ، وحج بالناس ،

وفيها ، توفى بركة بن محمود الساعى المشهور بالسعي والعدو وكان من اهل الحربية (١) سعى من واسط الى بغداد في يوم وليلة .

١ الحربية : محلة كانت في جنوب غربي الكاظمية ، على ماحققناه وراء قصر الهندي المنفرد اليوم

ومن تكريت الى بغداد، في يوم واحد، وحصل له بسبب ذلك مال كثير وجاه عريض ، واتصل بخدمة الخليفة الناصر لدين الله وجعله اخيراً مقدما لرجال باب الغربة ،فكان على ذلك الى ان توفى

وفيها، توفى الملك الأمجد ابو المظفر بهرامشاه بن فروخ شاه ابن شاهنشاه بن ايوب شاه بن شادي صاحب بعلبك ، كان قد ملكها بعد ابيه فانتزعها الملك الأشرف موسى بن العادل ابى بكر محمد بن ايوب منه قهراً، واخرجه عنها فرحل الى دمشق واقام بها. فاتهم بعض مماليكه بسرقة منطقة وحبسه، فبوثب عليه ليلا وقتله فاخذ المملوك وقتل ، وكان الملك الأمجد اديبا فاضلا شاعراً . فمن شعره يقول :

يؤرقني حنين وأذكار ... وقد خلت المعاهد والديار

تناءى الظاعنون فلي فؤاد ... تسير مع الهوادج حيث ساروا

وليلي بعد بعدهم طويل ... فاين مضت ليالي الغضار (١)

فمن ذا يستعير لنا عيوناً ... تنام ومن رأى عيناً تعار

---

١ كذا مافي الاصل : والصواب القصار لان ليالي السعادة قصيرة

سنة تسع وعشرين وستمائة

في هذه السنة ، وردت الأخبار بانتشار عساكر المغول في بلاد اذربيجان وتطرقهم الى مايقاربها من النواحي والاعمال الى نحو شهر زور ،فاخرج الخليفة المستنصر بالله الأموال وجهز العساكر وارسل الى سائر البلاد للجمع والاحتشاد، فورد كتاب مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل يسأل انجاده بالعساكر ، ليتفق معهم فتقدم الخليفة بخروج العساكر ، فبرزوا الى ظاهر البلد وتجهزوا وساروا ومقدمهم جمال الدين قشتمر الناصري ، ومعه من الامرآء ، شمس الدين قيران ، وعلآء الدين ايلدكز وبهاء الدين ارغش ، وفلك الدين زعيم البيات . فساروا قاصدين مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل فالتقوا به في موضع قريب من الكرخيتي (١) فاقاموا هناك بقية شهر رجب وشعبان ، فجرى بين بعض مماليك الخليفة وبيطار من اصحاب مظفر الدين صاحب اربل خصومة ،فعاونه جماعة من اصحابه فانتشب بسبب

---

١ الكرخيتا: قلعة على تل عال قرب مدينة اربل (القاموس) (٢) شهر زور : كانت بلدة كبيرة من اعمال اربل . قال ابن خلكان بناها روز الضحاك وهي لفظة اعجمية معناها بالعربي بلد روز

ذلك بين العسكرين فتنة أدت الى قتل وجراح ، فركب مظفر
الدين بسلاحه وكذلك اصحابه ، ثم وقف في باطن دهليز سرادقه ،
وكادت الحرب تنشب بينهم ، فركب جمال الدين قشتمر بغير
سلاح ولا مداس ، ومنع غلمانه ومماليكه من متابعته ، ودخل في غمار
الوقعة وقصد خيمة مظفر الدين صاحب اربل ، فوجده راكبا بالعدة
الكاملة ، يحرض اصحابه على القتال فلاطفه وخجله وقبح له ذلك ،
فعرف وجه الصواب ، فرجع عما كان عزم عليه ، وسكنت الفتنة ،
ثم اتفقوا على الرحيل الى مدينة شهر زور لانهم بلغهم ان المغول
قد وصلوا ساميان (١) وحاصروا حاصبك ، فنفذ جمال الدين قشتمر
جماعة طلائع ، وجعل مقدمهم ارتر العراقى ، ثم رحلوا في ثامن
شهر رمضان ونزلوا في موضع يعرف بالاكراد ، فورد الخبر اليهم
بوصول امين الدين كافور خادم الخليفة المستنصر بالله فركب جمال الدين
قشتمر ومظفر الدين صاحب اربل ، وجميع الامرآء ، للقائه فاجتمعوا
به وعرفهم ماامر به الخليفة ثم عاد فى سحرة تلك الليلة الى بغداد
واحضر في تاسع رمضان عند جمال الدين قشتمر ، ثلاثة نفر وامرأة

---

١ هكذا ورد ، وفي معجم البلدان «سامين» من قرى همذان

من المغول فسألهم عن اخبارهم ، فذكروا انهم فارقوهم راجعين من مراغة (١) فاخذ عليهم شروط الاسلام فاسلموا فضمهم اليه ثم رحلوا وساروا حتى عبروا الدربند، فوصل اليهم الدكز مخبراً انهم صادفوا يزكا (٢) منهم على غرة ، وجرت بينهم هوشة وان المغول استظهروا عليهم لكثرتهم ومعرفتهم بالارض ، وقتلوا مقدم الطلائع وجماعة من العسكر ، فعند ذلك جدوا في السير فوصلوا شهرزور ونزلوا بقرية يقال لها موغان غربي شهرزور فلم يمكنهم المقام هناك لعدم الماء العذب فيه . ومات في ذلك المنزل خلق كثير بهذا السبب فعند ذلك اظهر مظفر الدين صاحب اربل المرض وشدته ، فدخل اليه جمال الدين قشتمر عائداً فوجده ملقي على ظهره ، فقال لا غناء لي عن التوجه الى بلده ، وطلب منه ولده شرف الدين علي وقال يكون معي اذا مت يتسلم البلد ، وطلب ايضاً الامير سعد الدين حسن بن الحاجب علي ، ليسلم اليهما خفيتان (٣) ، فاجابه الى ذلك فتوجه مظفر الدين قاصدا بلده وتوجه قشتمر الى الكرخيتي . واما مظفر الدين فانه

---

١ مدينة مشهورة في بلاد آذربيجان عظيمة الاهل غزيرة الاشجار كثيرة الانهار ولا تزال اليوم من المدن العامرة

٢ اليزك : عند الترك : كالسرية عند العرب

٣ خفيتان : قلعة حصينة مشهورة في بلدة اربل ويقال لها خفتية ، كان صارم الدين ، الوفيات ١ : ٦ : ٣٤

وصل الى اربل واقام شرف الدين وسعد الدين عنده اياما ثم سرحهما
فاعاد الى الكرخيني، واخبراه انه في اتم عافية وان ذلك كان حيلة
منه، وكان جمال الدين قشتمر قد نفذ الامير ابن حسام الدين طرغل (١)
ونور الدين الدكز الى الدربند يزكا، فذهبا يتصيدان فما احسا الا
وقد احاط المغول بخيمهما فاخذوها ومافيها، فلما بلغ ذلك جمال الدين
قشتمر ركب بمن معه وصعد رأس الجبل هناك واعتبر العساكر فلم
يجد الا الأمراء والمماليك ومتميزي الأجناد، وترقب وصول
المغول فاسفرت الحال عن يزك كان لهم، وان قطعة منهم بالدربند
فاقتضى رأيه الرجوع، والنزول في المنزل تطييبا للناس من النفور
والانزعاج، فحضر جميع الأمراء عنده وظهير الدين الحسن بن
عبدالله عارض الجيش، ودارت المشورة بينهم في كيفية لقاء عدوهم
فكل منهم اشار بشيء، الا عارض الجيش فانه قال: الرأي معكم
فاتفقوا على الرحيل ليلا من غير طبل ولا شغل، والمسير الى شهر كرد
فهناك وطأة واسعة وارض فسيحة تصلح للحرب فرحلوا همسة من
من غير حركة تسمع، فصبحوا اشهر كرد: واما من كان معهم من

---

١ لعله طغرل؛ فهو المتعارف في تسميتهم

من العساكر الغرباء فانهم رحلوا متفرقين كل منهم طلب بلده، واقام جمال الدين قشتمر ومن معه من العساكر فلم يقدم احد المغول الى محاربته فانهى ذلك الى الديوان فتقدم اليه بالعود فرحل قاصداً مدينة السلام فلم يؤذن له في دخول البلد، فاقام بظاهره الى صفر سنة ثلاثين وستمائة، ثم أذن له الدخول .

وفي هذه السنة، نقل عبدالله بن ذبابه، ما اقتضى ضربه على باب النوبى، وقطع لسانه واحداره الى البصره، والزامه المقام بها .

وفيها، جرت فتنة بين اهل باب (١) الأزج وبين اهل المختارة وتراموا بالبندق والمقاليع والآجر وتجالدوا بالسيوف فقتل من الفريقين، وجرح جماعة فتقدم في عشية اليوم التالي بخروج الجند وكفهم عن ذلك، فخرج نائب باب النوبي ومعه جماعة من الجند وكفهم وقبض على جماعة منهم فضربهم وقطع اعصابهم، فسكنت الفتنة .

وفيها، صعد انسان الى الشيخ محمد الواعظ وهو على منبر وعظه بباب بدر ومعه سمان وقال له انى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

---

١ باب الأزج : محلة ببغداد الشرقية وكانت بموضع باب الشيخ عبد القادر الجيلي اليوم الممتد الى دجلة .

٢ محلة في شرق الميدان اليوم. وذكرها التسترنج بخريطة كتابه: غرب باب الظفرية اي باب الوسطاني

في المنام ،وقال لي لا احمل هذا السمان (١) الي محمد الواعظ وقل له يعطيه الخليفة،فاستيقظت وهو في يدي،فقال له امسكه معك الى حين فراغ المجلس، فانهيت الحال الى الخليفة فتقدم بان يعزر ويوكل به على كذبه على النبي صلى الله عليه وسلم .

وفيها ، قلد قاضي القضاة عبدالرحمن بن مقبل الواسطي احمد ابن عنتر الهمامى (٢) ،قضاء واسط وخلع عليه فخرج والبسملة بين يديه متوجها الي داره فاجتاز على دار الوزارة وكان مؤيد الدين القمي جالسا في الشباك فانكره وسأل عنه فعرف الصورة ولم يكن قاضي القضاة استأذنه في ترتيبه، فانكر الحال على قاضي القضاة، فنفذ في الحال الى المذكور وكيلا شافهه بالعزل، ثم انه بعد ذلك شفع الى الوزير فى ابن عنتر فتقدم الى قاضى القضاة باعادته ، فاعاده .

وفيها،أذن الخليفة المستنصر بالله لولده الأمير المؤيدي احمد عبدالله ان يوكل العدل ،عبدالوهاب بن المظفر وكالة شرعية فوكله ،واشهد على نفسه بذلك العدلين على بن النيار مؤدبه ،ومحمد بن حديد .

---

١ السمان :هو طائر معروف

٢ الهمامي منسوب الى الهمامية وهي: بليدة في انحاء واسط سيذكرها المؤلف في حوادث سنة ٦٣١

وفيها، تقدم الخليفة الى الامير شمس الدين باتكين زعيم البصرة بعمارة جامعها وتجديده واحكامه وتشييده، وانشاء مارستان هناك وان يكون الغرامة عليه من خالص مال الخليفة وان توقف عليه وقوفا سنية موفرة الحاصل .

ذكر عزل الوزير مؤيد الدين القمي

وولاية نصير الدين ابي الأزهر احمد بن الناقد

في يوم السبت سابع عشر شوال ، تقدم الى مؤيد الدين ابي طالب محمد بن احمد بن العلقمي مشرف دار التشريفات يومئذ ان يحضر عند استاذ الدار شمس الدين ابي الازهر احمد بن الناقد ويتفقا على القبض على نائب الوزارة مؤيد الدين القمي فجمع استاذ الدار رجال النوبتين وامرهم بالمبيت في دار الخلافة ولم يشعر احداً منهم بشيء فلما اغلق بابا النوبي والعامة ، عين على جماعة مع ابن شجاع مقدم باب الأتراك، بالقبض على القمي اذا فتح باب النوبي، وعين على جماعة مع

حسن بن صالح المعمار(١) للقبض على ولده في الساعة المعينة، وعين جماعة للقبض على اخيه وجميع اصحابه وخواصه، فلما فتح باب النوبي خرج الجميع بالسيوف وهجموا عليه وعلى ولده واخيه وجميع اصحابه في ساعة واحدة فلم يفلت منهم صغير ولا كبير . فاماهو وولده فنقلا ليلا الى باطن دار الخلافة فحبسا هناك. واما بناته ونساؤه فنقلن الى دار بالقصر من دار الخلافة .واما اخوه ومماليكه واصحابه فحملوا الى الديوان .

وفي يوم السبت المذكور، استدعي استاذ الدار شمس الدين ابو الأزهر احمد بن الناقد الى دار الخلافة ،وخلع عليه نيابة الوزارة وقلد سيفاً وقدم له مركب بمركب ذهبا وركب من باب البستان المقابل لدار التشريفات وبين يديه جميع الحجاب وقد تقدمه الى الديوان جميع ارباب الدولة فدخل اليه وجلس في الموضع الذي جرت عادة نواب الوزارة بالجلوس فيه ، وكتب الأنهاء وبرز الجواب فقرأه قائماً على الحاضرين ، وامر الخليفة بان يخاطب بخطاب الوزير ابي الحسن ناصر بن المهدي العلوي وهو المولى الوزير الاعظم

---

١ المعمار : هو الكثير التعمير واطلق على البناء هنا، وسيرد بهذا المعنى في حوادث فتح المستنصرية سنة ٦٣١

الصاحب الكبير المعظم ، العالم العادل ، المؤيد المظفر المجاهد نصير الدين صدر الاسلام ، غرس الأمام ، شرف الأنام ، عضد الدولة ، جلال الملة ، مغيث الأمة ، عماد الملك ، اختيار الخلافة المعظمة محيي الأمامة المكرمة ، تاج الملوك ، سيد صدور العالمين ، ملك وزراء الشرق والغرب ، غياث الوري ، ابو الازهر احمد ابن محمد ابن الناقد ظهير امير المؤمنين ، ووليه المخلص في طاعته ، الموثوق به في صحة عقيدته ،

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال . ولي مؤيد الدين ابو طالب محمد بن احمد بن العلقمي استادية الدار ، وخلع عليه في دار الوزارة وركب في جمع كثير واسكن في الدار المقابلة لباب الفردوس ، ولما قبض على القمي . قال الشعراء في ذالك اشعاراً كثيرة منها ماقاله الحاجب محمد بن عبد الملك الوظائفي وحرض الخليفة على قتلهما بالفاظ رمات البندق . وهو :

لقد انتحى المستنصر المنصور	يوم المكين (١) كما انتحى المنصور
ملك الخراساني ذاك ببغيه	وكذا خراسانينا المأسور
لاتبقه ياخير من وطئ الحصا	فالحزم ان لايهمل الموتور

(١) المكين : هو مؤيد الدين محمد القمي ، كان لقبه قبل توليه نيابة الوزارة للناصر لدين الله مكين الدين ، فلقب مؤيد الدين : السنون الضائعة :

وافصم عرى عنق القصير فدونه — في المكر والكيد الوكيد قصير
مولاي فى وجه العداة صرعت — مصطحباً وطير المخر فيه وكور
اخليت منه الجو في ندب وكم — حامت عليه ولم تنله نسور
خيشته لكن مفيقاً فاتبع — ماسنه في البندق الجمهور
والرأى تذكية المفيق فانه — مازال يملك روعه ويطير
فالكي نخلفه لديه واضح — في حده عضد له وظهير
لاتأمنن عليهما في محبس — ضنك فعندهما له تدبير
كم هارب من قلة في قلعة — ولكم نجا بقيوده مطمور
فاقتلهما بالسيف احوط حارس — لهما وهذا أول وأخير
ضل المكين بكل ماصنعت به — آراؤه في دسته المغرور
وتر الخلافة بالخلاف ولم يكن — قد رد تدبير الملوك وزير
فعزمت فيه عزمة نبوية — كادت لسطوتها السماء تمور
حرست ثغور المسلمين بعزله — وتبسمت للعالمين ثغور

وفيها ، ولي جمال الدين علي ابن البوري حجابة باب النوبي ،
وفيها ، قطع الشيخ محمد المعروف بالواعظ عن الوعظ ومنع من الجلوس
بباب بدر ، وكذلك العدل اسماعيل ابن النعال الواعظ .

وفي ذي القعدة، أستناب نصير الدين ابو الأزهر احمد بن الناقد نائب الوزارة اخاه جمال الدين عبد الله في الوكالة (١) ليتوفر هو على امر الوزارة ، وفيه، انعم الخليفة على الامير علاء الدين الطبرسي المعروف بالدويدار الكبير بالدار المقابلة لباب الحرم المجاورة لداره، وانتقل عنها معلى بن الدباهي .

وحج بالناس في هـذه السنة الأمير شمس الدين اصلان تكين الناصري .

وفيها ، توفي ابو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة (١) كان على طريقة حميدة وقاعدة جميلة، عني بعلم الحديث وسماعه، وسافر البلاد في طلبه .

وفي خامس شوال ،توفي جمال الدين محمد بن علي بن خليد الكاتب شيخ فاضل عالم بالسير والأخبار، كتب بخطه كثيرا وجمع عدة مجاميع، واختصر كتاب الأغاني للاصفهاني وخدم في عدة اعمال . منها كتابة المخزن وخزانة الغلات بباب المراتب ،وأشراف البلاد الحلية

١ تقدم انه وكيل المستنصر بالله

٢ ابن نقطة : بظم النون وسكون القاف راجع ترجمته في الوفيات ٢ : ١٠٠ ،وجاء ذكره في ص١٢ من بهجة الاسرار: مشوها

وغير ذلك ، وصنف كتابا في علم الكتابة وسماه جوهر اللباب في كتابة الحساب .

سنة ثلاثين وستمائة

في المحرم ، قلد العدل مجد الدين ابو القاسم هبة الله بن المنصوري الخطيب ، نقابة نقباء العباسيين والصلاة والخطابة وخلع عليه قميص اطلس بطراز مذهبا ودراعة خارا اسود ، وعمامة ثوب خارا اسود مذهب بغير ذؤابة ، وطيلسان قصب كحلي ، وسيف محلى بالذهب وامتطى فرسا بمركب ذهبا ، وقرئ بعض عهده في دار الوزارة وسلم اليه ، وركب في جماعة الى دار انعم عليه بسكناها في المطبق من دار ، الخلافة وأنعم عليه بخمسمائة دينار ، وهو من اعيان عدول مدينة السلام وافاضل ارباب الطريقة المتكلمين بلسان اهل الحقيقة . كان يصحب الفقراء دائما ويأخذ نفسه بالرياضة والسياحة والصوم الدائم والتخشن والتباعد من العالم ، وكان الموفق عبد الغافر ابن الفوطي من جملة تلامذته فعمل فيه ابياتا طويلة ، لما انتهى حالها الى الديوان انكر ذلك عليه ووكل به اياما ولم يخرج الا بشفاعته : واول الابيات

ناديت شيخي من شدة الحرب   وشيخنا في الحرير والذهب

في دسته جالساً يبسملة بين يديه ان قام في أدب
وركبة منه كنت اعهده يذم اربابها على الرتب
وكان ابناؤها لديه على سخط من الله شامل الغضب
اصاب في الرأي من دعاك لها وانت لما أجبت لم تصب
اول صوت دعاك عن غرض لبيته مقبلا على السبب

ويقول فيها :

قد كنت ذاك الذي تظن به لو لم تكن مسرعاً الى الرتب
شيخي اين الذي يعلمنا الز هد ويعتده من القرب
اين الذي لم يزل يسلكنا الى خروج عن كل مكتسب
اين الذي لم يزل يعرفنا فضل التعري بالجوع والتعب

ومنها :

اين الذي لم يزل يرغبنا في الصوف لبساله وفي الجشب
واين من غرنا بزخرفه متى اعتقدناه زاهد العرب
واين ذاك التجريد يشعرنا ان سواه في السعي لم يخب
واين من لم يزل يذم لنا الدنيا وقول المحال والكذب
واين من لم يزل بادمعه يخدعنا باكيا على الخشب

وابن من كان في مواعظه يصول زجراً عن كل مجتنب
ويقطع القول لايتممه منغلوباً بالسماع والطرب
ويقسم الغمر انه رجل ليس له في الوجود من أرب
لوكانت الارض كلها ذهباً اعرض عنها اعراض مكتئب
اسفر ذاك الناموس مختيلا عن راغب في التراث مستلب
وكان ذاك الصراخ يزعجنا شكوى فقير على الدنا وصب
شيخي بعد الذم الصريح لما ايته جئته على طلب
نسيت ماقلته على ورع عني لما اكتسبت بالدأب
ويل له ان يمت بخدمته يمت كفوراً ولبس بالعجب
ما كان مال السلطان مكتسبا لمؤمن سالم من العطب
هذا ورزقي من وقف اربطة قدر طفيف اعطاه بالتعب
ولست في ثروة اسر بها دنياي منها موفورة النشب
فليت شعري ماذا اقول وقد حلات منها في مرتع خصب
اعطيت كراثة فتهت بها عن طلب كان اشرف الطلب
لو انها نجمة (١) خشيت على دينك شركا يكون عن كثب

١ لم ترد النجمة في ما عندنا من كتب اللغة، ولكنها معروفة في كلام العامة: كتاب الف ليلة وليلة ٠

وان ذاك الحنيك منعطفاً لجام من يدعي ولم يذب
شيخي بعد التفضيل منتقيا ثوبا قصيرا يجاوز الركب
اختلت في ملبس ذلاذله تسحب من طولها على الترب
برفعها كل شادن غنج يفتن نساكنا على الرهب
واعتضت من عصي الزهادة من حولك مشي الغلمان بالقضب
لو كنت والله زاهداً ورعاً لم ترض دنيا الغرور باللعب
وكان في الله شاغل ابداً عما تراه بعين محتجب
لا يغتر بعد ذا اخو ثقة بحسن في جميل مطلب
وليتعظ مدعي تقربه بحال شيخي المفتون وليتب

فكتب النقيب قطب الدين الحسن(١) بن الأقساسي الى النقيب مجد الدين المذكور ابياتاً كالمعتذر عنه والمسلي له، يقول في اولها:

ان صحاب النبي كلهم غير علي وآله النجب
مالوا الى الملك بعد زهدهم واضطربوا بعده على الرتب
وكلهم كان زاهداً ورعاً مشجعاً في الكلام والخطب

فأخذ عليه فيها ما أخذ فيما يرجع الى ذكر الصحابة والتابعين

(١) هو الحسين كما في عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٢٣٥ وشرح عبدالحميد ابن ابي الحديد لنهج البلاغة ٢ : ٤٦.

وتصدى له جماعة وعملوا قصائد في الرد عليه ، وبالغوا في التشنيع عليه ، حتى ان قوما استفتوا عليه الفقهاء ونسبوه الى انه طعن في الصحابة والتابعين ونسبهم الى قلة الدين فافتاه الفقهاء بموجب ماصدرت به الفتيا .

وفيها ، قدم راجح (١) بن قتادة مكة شرفها الله تعالى في جمع كبير ودخلها واستولى عليها ، وطرد من كان بها من عسكر الكامل ابي المعالي محمد بن العادل صاحب مصر ، فلما بلغ الكامل ذلك ارسل الى مكة عسكراً فلما علم راجح بقدومهم نزح عنها فدخلها العسكر بغير محاربة ، وطيبوا قلوب اهلها واحسنوا اليهم ، بخلاف مافعل راجح لما وليها ،

وفيها ، حصر الكامل ابو المعالي المذكور مدينة آمد ، وضيق على اهلها واضعفهم بقلة الميرة وغيرها ، واستولى عليها وملكها عنوة ، وكان صاحبها الملك مسعود الدوادار الملك .

وفيها ، رد النظر في اوقاف مدارس الحنفية والربط وجامع

---

١ راجع عمدة الطالب ص ١٢١ والقرماني ص ٢٢٦ : وقتادة هو الجد العشرون لجلالة ملك العراق اليوم فيصل المعظم الاول .

السلطان ، الى فخر الدين ابي طالب احمد بن الدامغاني مشرف الديوان وكفت يد نواب قاضي القضاة ابن مقبل عنها .

وفيها ، وصل الامير حسام الدين ابو فراس بن جعفر بن ابي فراس الذي كان أمير الحاج في الأيام الناصرية وقد تقدم(١) ذكر مفارقته للحاج ومصيره الى الشام ، ومصر ، ملتجئا الى الكامل ابي المعالي محمد بن العادل ، هربا من الوزير القمي وحذراً من قصده اياه ، فلما بلغه عزله كاتب الديوان واستأذن في العود فأجيب سؤاله فلما وصل الى مدينة السلام ، حضر عند نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة فخلع عليه ومضى الى داره بسوق العجم ثم استدعى بعد ايام وخلع عليه واعطي سيفا محلى بالذهب واعطي فرسا واعطي سبعة احمال كوسات واعلاما ، وضم اليه جماعة من العسكر واقطع بلد دقوقا (٢) .

وفيها ، صرف تاج الدين ابو الفتوح علي بن هبة الله بن الدوامي ، عن أشراف دار التشريفات وخرج راجلا الى داره ، ورتب عوضه تاج الدين ابو المظفر محمد بن الضحاك .

---

١ هذا يدل على بعض ماتلف من اول الكتاب

٢ هي طاووق الحالية

وفي جمادى الآخرة ، فرج عن ولد مؤيد الدين القمي وجميع اصحابه واتباعه .

وفي شهر رمضان ، فتحت دور الضيافة (١) بجانبي مدينة السلام جرياً على العادة في كل سنة وزيد فيها داران احداهما بدار الخلافة لأولاد الخلفآء المقيمين في دار الشجرة ، والأخرى بحربة ابن جردة ، للفقرآء الهاشميين .

وفى هذه السنة ، سير الامير جمال الدين بكلك الناصري الى قلعة زرده ومعه عدة من العسكر ، فحصرها وضيق على من بها وجرت بينهم حروب كثيرة وقتال شديد ، فملكها عنوة وقهراً واستولى عليها وارسل الى الخليفة يعرفه ذلك ، فاستبشر به ونظم الشعرآء في ذلك اشعاراً كثيرة .

ذكر فتح اربل

في سابع (٢) عشر شهر رمضان ، ورد الخبر الى بغداد بوفاة مظفر الدين ابي سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب اربل

---

١ كان من اوقافها نهر دجيل الحالي راجع مراصد الاطلاع مادة عكبرا .

٢ سياق التاريخ الآتي بعده : يستوجب أن يكون . رابع عشر شهر رمضان .

فتقدم الخليفة بتعيين جماعة من الأمراء يكون مقدمهم الأمير ارغش الناصري الرومي، وعلاء الدين الدكز الناصري للتوجه الى اربل وتقدم الى ظهير الدين ابي علي الحسن بن عبد الله عارض الجيش بالتوجه ايضاً فتوجهوا مصعدين في خامس عشر الشهر .

وفى ثالث شوال ، توجه شرف الدين ابو الفضائل اقبال الشرابي بالعسكر فوصلوا فى ثالث عشر شوال ، وكان فى القلعة خادمان احدهما اسمه برنقش والآخر اسمه خالص كانا قد كتبا الى الخليفة والى عماد الدين زنكي صهر مظفر الدين والى بني أيوب حيث ثقل مظفر الدين فى المرض يعرفانهم ذلك وقالا : من سبق الينا كانت منتنا عليه . وكتبا الي الملك الصالح ايوب بن الكامل ابي المعالى محمد يعلمانه بموته ويحثانه على المجيء فلما شاهدا عساكر الخليفة سقط فى ايديهما وعلما انه قد انتهى الى الخليفة ما فعلا فامتنعا من فتح البلد فلما رأى الشرابي انهم اغلقوا ابواب المدينة دونه، استدعى الامير جمال الدين قشتمر وقال له : ما لهذا الأمر سؤال واذا فعلت شيئا لا يسع غيرك الا موافقتك فركب فى الحال من غير استراحة ودار ليله اجمع حول البلد وهم على السور : بالأضواء والطبول ثم قسم ابواب

البلد على الامراء وضرب هو خيمه مقابل باب عمكا واللونه اعظم الأبواب واكثر المقاتلة هناك، ونصب البيت الخشب مقابل الباب بالقرب منه بحيث يسمع كلامهم ويسمعون كلامه، ويصل نشاب الجرخ اليه ولم يزل نهاره اجمع يرقب مايعملون ويشاهد مايصنعون وفي الليل يدور على العساكر ويحرض على الحراسة والحفظ، والشرابي يراسل الخادمين المذكورين ويخوفهما عاقبة العصيان فسألا ان يؤخرا يومين فاجيبا وكان غرضهما ان يصل الملك الصالح ايوب المقدم ذكره، فلما انقضى الأمد نفذ جمال الدين قشتمر الى احد زعمائهم وقال له: أخلفتم الوعد، وخوفهم وحذرهم، فرد عليه جوابا غير مرضي ثم رمى وراء رسوله بالنشاب فوقع قريبا من الأطناب فقال قشتمر لجماعة من مماليكه اقربوا منهم وتحرشوا بهم فاخذوا في سبهم ورموا بالنشاب الى جهتهم فما زال الأمر يزداد حتى وقع الزحف على البلد وقت العصر واشتد الرمي من فوق السور بالنار وانواع السلاح، وكثر في الفريقين القتل والجراح وسار قشتمر حتى وقف على الخندق فاشتد القتال حينئذ وقوي جأش المقاتلين بوجوده فركب الشرابي في لامة حربه ووقف على نشز

فاخبر قشتمر بر كوبه فقصده ووقف الى جانبه ، فساعة اجتماعهما اخبرا بالنصر والفتح وتسليم القلعة ، ونهب اوباش العسكر بعض دورها، واستولى العسكر على البلد عنوة، وكتب الشرابي على جناح طائر الى الخليفة بصورة الحال فحصل الأستبشار بذلك وضربت الطبول على باب النوبي ، وافرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان واوردوا قصائد تتضمن الهناء بهذا الفتح والنصر. فممن اورد .القاضي أبو المعالي القاسم بن ابى الحديد المدائني قصيدة اولها :

ما يثبت الملك بين الخوف والخطر … حتى يقام ويسقى من دم البشر

لكل شيء طريق يستفاد به … وليس للعز غير الصارم الذكر

ومنها :

مافتح اربل عن بخت لذي دعة … ولا اتفاقا كبعض النصر والظفر

لكنه كان قصد القادرين وأع … مال المطيعين عن قصد وعن فكر

فليسمح الأشعري اليوم لي فانا … في فتح أربل لا الوي على القدر

وقال أخوه عز الدين عبد الحميد(١) الكاتب قصيدة، اتفق له فيها ان

١ راجع الوفيات ٢ : ٢٨٩ وروضات الجنات في ترجمته. نقلا من معجز الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي مؤلف هذا الكتاب .

الوزير كان ترتيبه يوم سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وفتح
أربل يوم سابع عشر شوال سنة ثلاثين فقال :

يايوم سابع عشر شوال الذي رزق السعادة اولاً وأخيرا
هنئت فيه بفتح أربل مثلما هنئت فيه وقد جلست وزيرا

وتقدم الخليفة ،باحضار الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة
فكوتب بالحضور فوصل من البصرة الى رابع ذي القعدة ، وحضر
نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة فشافهه بولاية أربل وتقدم اليه
بالتوجه اليها على فوره ، فتوجه من وقته فوصلها في تاسع عشر الشهر
وحضر عند شرف الدين اقبال الشرابي في المخيم بظاهر أربل، فخلع
عليه وقلده سيفاً واعطاه فرساً واعطاه كوسات واعلاماً، فركب في
جمع كثير من الأمراء والأجناد ودخل الجامع فقرئ عهده به
بمحضر من أهل البلد وغيرهم، تولى قرأته ظهير الدين الحسن بن
عبدالله ، وكان قد عين عليه لوزارته، وركب الى القلعة ونزل في دار
الأمارة التي كان يسكنها مظفر الدين ، ثم خلع الشرابي على ظهير
الدين الحسن بن عبدالله ثم على ظهير الدين الحسن بن المصطنع
وجعله مشرفاً عليه، ورتب معهما كاتباً. الأجل ابن عبدان النصراني

ثم رتب جمال الدين ابن عسكر الأنباري عارضاً الجيش هناك ،
وجعل عليه مشرفاً عز الدين محمد بن صدقة وخلع عليهما فلما قرر
القواعد وفرغ مما يريده ، رحل عائداً الى بغداد والأمراء والعساكر
في خدمته ، فوصل الى الخالص في عاشر ذي الحجة فنزل بقرية
تعرف « بقرية ابي النجم » فخرج الخلق الكثير الى تلقيه فصلى هناك
ونحر وضحى ومد سماطاً عظيماً ، ثم رحل في حادي عشر ذي الحجه
متوجهاً الى بغداد ، فلما وصل ظاهر سوق السلطان خلع على جميع
اصحابه ومن كان في خدمته من النواب والأتباع والحاشية ، وخرج
اليه جميع الولاة وأرباب المناصب والأماثل والأعيان فلقوه بظاهر
السور ولم يتخلف احد من الخروج سوى الوزير ، ثم سار حتى وصل
دجلة ونزل عند المسناة في شبارة الخليفة وقبلها وتضرع بالدعاء وبكى
فخشع الحاضرون لبكائه ثم نزل فيها وانحدر الى دار الخلافة فتلقي
بالأكرام ثم خلع عليه وقلد سيفين وقدم له فرس فركبه من باب
البستان ورفع وراءه سنجقان ، واما الأمراء جميعهم فانهم دخلوا البلد
وقصدوا دار الخليفة ، ودخلوا من باب الحرم بموجب مارسم لهم

وجلسوا في باب الأتراك الى ان خرج راكبا فقبلوا يده ومشوا بين يده الى باب الباتني (١) ثم ركبوا وساروا في خدمته الى داره بالبدرية فلما نزل عن مركوبه خدموا وعادوا قاصدين دار نصير الدين نائب الوزارة فلقوه فخلع عليهم اجمعين ، وأعطى كل واحد فرساً بمركب وخمسة آلاف دينار وانعم على من دونهم على قدر مرتبته من الألفين الى الخمسمائة، ثم خلع على جميع المماليك الناصرية والظاهرية والمستنصرية وأعطى كل واحد خمسين ديناراً ، ثم انعم على جميع الجند ومماليك الأمراء والعرب من ثلاثين الى خمسة عشر، ثم احضر علاء الدين أبو طالب هاشم بن الأمير السيد العلوي وولي عارض الجيش، وخلع عليه بدار الوزارة عوضاً عن ظهير الدين بن عبدالله، وولي الأمير أرغش الرومي الناصري أمارة البصرة وخلع عليه وتوجه اليها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ، دخل قوم على رجل يعرف بابن اللؤلؤي داره بالمنوتين وقتلوه ، ضناً ان معه ذهباً فلم يروا معه شيئاً ولم يعرف لهم خبر .

---

١ لعله القائمي

وفيها ، خنق انسان يعرف بمحمد الخياط نسيب لبني ياسين نفسه بحبل في داره باللوزية (١) قيل انه كان شديد الضائقة وعنده تعفف وعزوف نفس عن الطلب .

وفيها ، توفى ابو محمد عبدالله بن الشيخ أبي النجيب (٢) السهروردي ، من بيت التصوف وأولاد المشائخ ، ذكر أنه خرج عن جميع ماله ووقفه ، فلما قدم الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي (٣) قدم على غاية الفقر مجرداً من الدنيا فضاق صدر الشيخ ابي النجيب كيف لم يرضخ له في الوقف بنصيب ، فسأل ولده ان يعطيه شيئا من نصيبه فلم يوافق فقال له الشيخ أبو النجيب وقد احتد : والله لتحتاجن اليه ، ومضى على ذلك برهة فتقدم الشيخ شهاب الدين وأثرت حاله وفتحت عليه الدنيا فاحتاج عبدالله هذا اليه واسترفده فأرفده وما زال يواصله الى ان مات .

وفيها ، توفي أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاري المعروف بابن

---

١ راجع مادة قراح . من معجم البلدان ومراصد الاطلاع

٢ هو عبدالقاهر . راجع الوفيات ١ : ٣٢٤ وبهجة الأسرار ص ٢٣٣

٣ ترجمته في الوفيات ١ : ٤١٤ وطبقات الشافعية الكبرى ٥ : ١٤٣ وذكر كثيرا في بهجة الاسرار

عنين الكوفي أصلا ، ولد بدمشق ونشأ بها ، وهو شاعر مشهور
سافر الى الآفاق في التجارة ومدح الأكابر في كل البلاد، وكان
ظريفا حسن الأخلاق جميل المعاشرة ذا ثروة ، وكانت وفاته بدمشق
وحج بالناس في هذه السنة ، الأمير شمس الدين اصلان تكين .

سنة احدى وثلاثين وستمائة

في المحرم، أعيدت الحلة السيفية الى الأمير جمال الدين قشتمر
الناصري وتوجه اليها .

وفيها ، نفذ الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري أمير آخور
الخليفة المستنصر بالله الى الموصل ومعه خلعة السلطنة وتقليد لبدر
الدين لؤلؤ الرومي الأتابكي صاحب الموصل ، فخلع عليه وامطاه
فرسا بمركب ذهبا ، وكنبوش(١) ابريسما ، وسيف ركاب ومشدة
في عنق الفرس ، ولقب الملك المسعود وأذن له ان يذكر اسمه على
المنابر ببلده ونقشه على سكة العين والورق .

وفيها، ولي تاج الدين ابو الفتوح علي بن هبة الله بن الدوامي، عارض

١ الكنبوش: برذعة توضع تحت السرج وهي معربة وعربيها : الحلس كشبر

الجيش ، عوضاً عن علاء الدين هاشم بن الأمير السيد ، وعزل الأمير شمس الدين اصلان تكين عن أمارة الحاج ، وولي شمس الدين قيران الأمارة مرة ثانية .

وفيها ، عزل يحي بن المرتضى النيلي (١) عن النظر بواسط ، وولي عوضه قوام الدين علي بن غزالة المدائني .

ذكر فتح المدرسة المستنصرية (٢)

في جمادي الآخرة ، تكامل بناء المدرسة المستنصرية التي أمر بأنشائها الخليفة المستنصر بالله ، وكان الشروع فيها في سنة خمس وعشرين وستمائة ، وانفق عليها اموال كثيرة ، فركب نصير الدين ابن الناقد نائب الوزارة في يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة وقصد دار الخلافة واجتاز بها الى دجلة ، ونزل في شبارة من باب البشرى مصعداً الى الدار المستجدة المجاورة لهذه المدرسة ، وصعد اليها وقبل عتبتها ودخلها وطاف بها ودعا لمالكها ، وكان معه

---

١ منسوب الى نيل العراق والبلدة المسماة باسمه. كان يأخذ من الفرات فوق الحلة ، وقبل ان الحجاج كراه وسماه باسم نيل مصر وكان عليه قرى كثيرة

٢ راجع تصويرنا ؛ خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الاربلي ص ٢٢٢

استاذ الدار مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي ، وهو الذي تولى عمارتها ، ثم عاد متوجهاً الى داره في الطريق التي جاء بها وخلع على استاذ الدار وعلى اخيه ابي جعفر وعلى حاجبه عبدالله بن جهور وعلى المعمار والفراشين المرتبين في الدار المذكورة المستجدة وعلى مقدمي الصناع ، ونقل في هذا اليوم الى المدرسة من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ماحمله مائة وستون حمالاً ، وجعلت في خزانة الكتب (١) ، وتقدم الى الشيخ عبدالعزيز شيخ رباط الحريم بالحضور بالمدرسة واثبات الكتب واعتبارها ، والى ولده العدل ضياء الدين احمد الخازن بخزانة (٢) كتب الخليفة التي في داره أيضاً فحضر واعتبرها ورتبها احسن ترتيب مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها.

وفي بعض هذه الأيام ، حضر الخليفة هناك ، وحضر الشيخ عبدالعزيز بين يديه وسلم عليه ، وأعقب دعاءه بان تلا قوله تعالى

---

١ قال في عمدة الطالب وكان المستنصر قد اودع خزانته في المستنصرية ثمانين الف مجلد على ماقيل ص - ١٨٢ .

٢ قال في خلاصة الذهب المسبوك ومن محبته للعلوم . انشأ خزانة الكتب ..... جمع فيها من أنواع العلوم .....

« تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار و يجعل لك قصورا » فبدأ خشوع الخليفة وتقاطرت دموعه.

وفي يوم الخميس خامس شهر رجب ، حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقرآء والشعرآء ، وجماعة من من اعيان التجار الغرباء الى المدرسة ، وتخير لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفسا، ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس اما المدرسان فمحيي الدين ابو عبدالله محمد بن يحيي بن فضلان الشافعي ورشيد الدين ابو حفص عمر بن محمد الفرغاني الحنفي ، وخلع على كل واحد منهما جبة سوداء وطرحة كحلية وأعطي بغلة بمركب جميل وعدة كاملة ، واما النائبان فجمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن ابن يوسف بن الجوزي الحنبلي ، نيابة عن والده لانه كان مسافراً في بعض مهام الديوان ، والآخر ابو الحسن علي المغربي المالكي وخلع على كل واحد منهما قميص مصمت وعمامة قصب ، ثم خلع على جميع المعيدين وهم لكل مذهب اربعة خلعاً بالحكاية ، ثم خلع على المتولين للعمارة والصناع والحاشية وعلى المعينين للخدمة بخزانة الكتب ، وهم

الشمس علي بن السكتي الخازن وعماد علي بن الدباس المشرف والجمال ابراهيم بن حذيفة المناول ، ثم مد سماط في صحن المدرسة أجمع فكان عليه من الأشربة والحلوآء وانواع الاطعمة ما يجاوز حد الكثرة فتناوله الحاضرون تعبئة وتكويراً ثم أفيضت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعيدين بالمدارس والشعرآء والتجار الغربآء ، ثم انشد الشعرآء المدائح فيها وفي منشيئها : فمن اورد العدل ابو المعالي القاسم بن ابي الحديد المدائني الفقيه الشافعي :

مامثل الفلك العظيم لمبصر ... في الارض قبل أيالة المستنصر

هـذا بناء معرب عن قـدرة ... رفعت قواعده بفعل مطهر

حسدت به الأرض السمآء ولم يزل ... حسد الفضا آثل فى طباع العنصر

انظر تجـد نظم الثريا فى ذرى ... شرفاته وضيآء نور المشتري

ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه ... ورأى الصواب وذاك بعد تحير

فالافق بين مفضض ومذهب ... والجو بين مكوفر ومعنبر

والأرض حاسرة القناع كأنها ... خود تبرج فى ردآء اخضر

تزهو بما عمر الخليفة فوقها ... علماً لأحكام البشير المنذر

بالجانب الشرقي بالشاطي الذي ... هو طور سينا كل صاحب منبر

ومنها :

ماحق دجلة ان تفوه بلفظة — قهرت وأي مساجل لم يقهر

غلب العطآء الماء فيها وانثنى — سدا يفوق صناعة الاسكندر

ان اصبحت بحراً فان بنانه — بأفاضة المعروف خمسة أبحر

وضع الامام بها أساس بنائه — والموج بين مجمجم ومزمجر

قصراً ومدرسة لمن طلب الغنى — أو رام شأو العالم المتبحر

هي جنة الفردوس يجري تحتها — من ماء دجلة ماء نهر الكوثر

حصباؤها در النظام وتربها — مسك الجندب؟ وطينها كالعنبر

اضحى سليمان الزمان وأهله — مستخدماً فيها بجنة عبقر

لبس الغبي بها شهامة ماهر — وغدا المقل مزاحماً للمكثر

لم تخل من حبر وشيخ فاضل — يروي الحديث وساجد ومعفر

قدكانت الفقهاء قبل بنائها — في كل قطر واحد لم يذكر

فرقى يشق على المريد طلابها — في الشرع والمطلوب كالمتعذر

فاليوم قد جمعت أمور الدين في — ارجائها وأزيل عذر المقصر

واورد بعده جماعة كثيرة ، ثم ذكر المدرسان المقدم ذكرهما الدروس كل واحد منهما على سدته ، والنائبان كل واحد منهما تحت السدة ثم

قسمت الأرباع فسلم ربع القبلة الأيمن الى الشافعية ، والربع الثاني يسرة القبلة للحنفية ، والربع الثالث يمنة الداخل للحنابلة ، والربع الرابع يسرة الداخل للمالكية، وأسكنت بيوتها وغرفها وأجري لهم الجراية الوافرة . عملاً بشرط الواقف، ثم نهض نصير الدين وأرباب الدولة والحاضرون وكان يومئذ الخليفة جالساً في الشباك الذي في صدر الأيوان ، ينظر جميع ماجرت الحال عليه .

تلخيص شروط هذه المدرسة

شرط . أن يكون عدة الفقهاء مائتين وثمانية واربعين متفقهاً : من كل طائفة أثنان وستون بالمشاهرة الوافرة والجراية الدارة واللحم الراتب والمطبخ الدائر الى غير ذلك من الحلوآء ، والفواكه ، والصابون والبزر ، والفرش ، والتعهد ، وشرط . ان يكون في دار الحديث التي بها . شيخ عالي الأسناد وقارئان وعشرة انفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي ، وان يقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل اسبوع ، وشرط لهم الجراية ، والمشاهرة ، والتعهد أسوة بالفقهاء وشرط . ان يكون في الدار المتصلة بالمدرسة ، ثلاثون صبياً ايتاماً

يتلقنون القرآن المجيد من مقرئ متقن صالح ، ويحفظهم معيد معه ولهم من الجراية ، والمشاهرة ، والتعهد ، ما للمشتغلين بعلم الحديث ، وشرط . ان يرتب بها طبيب حاذق مسلم ، وعشرة أنفس من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ويوصل اليهم مثل ما للمقدم ذكرهم ، وان يكون الطبيب يطب من يعرض له مرض من أرباب هذا الوقف ، ويعطى المريض مايوصف له من ادوية وأشربة وغير ذلك ، وشرط . ان يكون بها من يشتغل بعلم الفرائض والحساب الى غير ذلك ، مما اذا أستقصي ذكره ، طال تعداده .

ذكر عدة حوادث

في تاسع رجب ، رتب القاضي ابو النجيب عبدالرحمن بن القاضي يحي بن القاسم التكريتي ناظراً في مصالح المدرسة المستنصرية ، ورتب العدل عبدالله بن ثامر مشرفاً عليه ، ورتب معهما العدل ابو منصور الفاضل بن محمد كاتباً ، ورتب العدل بن ابي البدر خازناً ، وخلع على الجميع .

وفي شهر رمضان ، وصل محي الدين يوسف بن الجوزي من مصر

وخلع عليه بدار الوزارة ، خلعة التدريس على الحنابلة ، بالمدرسة المستنصرية ، وحضر المدرسة بالخلعة ومعه جميع الولاة والحجاب فجلس على السدة وخطب وذكر دروساً .

وفي ذي القعدة ، توفي محي الدين ابو المظفر بن البوقي ، اصله من واسط من اولاد الفقهاء ، أحب التصرف ودخل فيه فخدم عدة خدمات ، آخرها صدرية بلاد خوزستان ، بقي على ذلك مدة ثم عزل .

وفيها ، وصل الأمير مظفر الدين بهتام الرومي الناصري زعيم تستر معزولا ، وولي عوضه الأمير علاء الدين الدكز الناصري شحنة بغداد ، وولي ظهير الدين الحسن بن عبدالله ، ناظراً في أعمال خوزستان ومتولياً لديوانها .

وفيها ، خلع على أمير الحاج شمس الدين قركان (١) وتوجه بالحاج ، فلما وصلوا بعض المنازل (٢) بلغهم أن العرب الأجاودة طموا الآبار في منزل سلمان ، وعزموا على أخذهم ، فاشاروا على أمير الحاج بالعود الى بغداد ، فاستفتى من كان في الحاج من الفقهاء في ذلك ، فأفتوا بجواز الرجوع ، فرجع بالناس فلما وصلوا ذكروا

---

١ تقدم اسمه بصورة « قيران »

٢ هو لينة ، راجع الوفيات ٢ : ٦

أنهم طلبوا منهم المصالحة على مال، وتجاوزوا حد الكثرة فيه، وطلبوا أطلاق محبوسين لهم ببغداد، وأخذ وجوه الحاج رهائن على أطلاقهم وترددت الرسل بينهم في ذلك، هذا كله : والحاج نازلون على ماء قليل يصل الى بعضهم بالقوة والجاه، وتمادت الأيام وتحقق فوات الحج، فعدلوا عن مصالحتهم، وتوجهوا عائدين، فمات منهم خلق كثير، ومعظم الجمال، وأحرقوا من أزوادهم وأمتعتهم قبل رحيلهم شيئاً كثيراً لئلا تأخذه العرب، فقال الفقيه ابو الحسن علي (١) بن البطريق قصيدة : كتبها الى الخليفة يحرضه على قتال العرب، هذه الأبيات منها :

الكفر في الترك دون الكفر في العرب ... أليس منهم اذا عدوا ابو لهب
أليس منهم ابو جهل و بنتهم ... عدوة المصطفى حمالة الحطب
فيا أمام الهدى ياخير من نظمت ... له المدائح . يابن السادة النجب
يا أيها القائم المنصور أنت اذا ... حضرت وجه رسول الله لم تعب
فاغز الأعاريب بالأتراك منتقما ... منهم ولا ترع فيهم حرمة النسب
فقد غزاهم رسول الله في حرم ... الله المنيع بأذن الله وهو نبي
وما رعى فيهم الاً ولا نسباً ... ولم يقل ان أمي منهم وأبي

١ ورد اسمه في شرح ابن ابي الحديد « ٣ : ٣٠٩ » و « ٤ : ٤٧٠ » توفي سنة ٦٤٢ وترجمته، في فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ٢ : ٩٤

أي ادعوا أنهم قد اسلموا فقد ارتدوا بمنعهم الحج عن كذب

وكان قد وصل تابوت مظفر الدين كوكبري صاحب أربل ونفذ صحبة الحاج ليدفن في مكة فلما رجع الحاج، دفن في مشهد علي عليه السلام.

وفيها، نقل تاج الدين معلى من صدرية المخزن، الى صدرية ديوان الزمام، ونقل عميد الدين بن عباس من الأشراف عليه هناك، وجعل مشرفاً عليه في الديوان.

وولي جمال الدين عبدالله بن الناقد صدراً بالمخزن نقلا من الحجبة به، وخلع عليه في دار أخيه نصير الدين، ورتب فخر الدين احمد بن الدامغاني مشرفاً عليه نقلا من أشراف ديوان الزمام، وخلع عليه.

وفيها، توفى ابو عبدالله العباس بن الخليفة الظاهر، وتوفي أيضا الشيخ أبو العباس احمد بن ثبات الهمامي الواسطي، كان أحد عدول واسط، وتولى قضاء الهمامية مدة ثم ترك ذلك، وقدم بغداد، وأقام بالمدرسة النظامية نحواً من اربعين سنة، يقرئ الناس علم الحساب والفرائض، وصنف في ذلك كتبا، وكان لايخرج من المدرسة الا لصلاة الجمعة، مضى على ذلك عمره الى ان توفي، وكان

شيخاً بارد الكلام جداً ، من يسمع كلامه يخاله أبله ، فاذا أملى مسائل الحساب اتى بكل حسن .

وتوفي مجد الدين محمد بن زعرور ، كان اولاً يتصرف فى أعمال السواد ، ثم رتب نائباً بالجانب الغربي مدة ، ثم ولي نظارة واسط وأقام بها سنين ، ثم فصل عنها فأقام ببغداد مدة ، ثم عين عليه صدراً بنهرعيسى . ونهر الملك . وهيت والأنبار ، وجعل له ديوان مفرد ، فكان على ذلك الى ان توفي .

وتوفي ، تاج الدين ابو الحسن علي بن الأنباري الواسطي ، ولد بواسط وخدم في اعمالها ، ثم قدم بغداد وخدم ناظراً في ديوان العقار ، ثم رتب ناظراً بديوان واسط ، ثم عزل ورتب مشرفاً في البلاد الحلية مدة ، ثم ناب في أعمال المخزن ، ثم ولي أشراف الديوان ثم نقل الى صدرية ديوان الزمام ، فلم يزل على ذلك الى أن مات ، وكان ظالماً متحيفاً .

وفيها ، توفي ابو عبدالله محمد (١) بن يحيى بن فضلان ، كان فقيهاً عالماً ، درس بعد أبيه بمدرسة فخر الدولة بن المطلب ، ورتب كاتباً

---

١ ترجم في طبقات الشافعية الكبرى ٥ : ٤٤ وكانت وفاته في شوال من السنة

بدار التشريفـات ، ثم تولى تدريس المدرسـة النظامية والنظر في اوقافها اضافة فى دار التشريفات ، ثم عزل عن النظاميـة خاصة ، وتوفر على خدمته بدار التشريفات وتدريس « دار الذهب » ورفع الطرحة ، ثم قلد قضاء القضاة ، ورد اليه النظر في ديوان الحسبة والنظر في أوقاف المدارس والأربطة ، فلم يزل على ذلك الى ان توفي الخليفة الناصر لدين الله ، فلما بويع الظاهر بأمر الله ، عزله فلزم منزله لايخرج منـه الا لصلاة الجمعة ، ثم استدعي وولي نظارة المارستان العضدي ، فكان على ذلك شهوراً ، ثم عزل نفسه ولزم بيتـه الى ان أستدعي وولي النظر بديوان الجوالي واستيفاء ثروات اهل الذمة ، ثم ولي تدريس « مدرسة الأصحاب (١) » فتردد اليها مدة ثم تركها ، وتوفر على ديوان الجوالي ثم نفذ فى رسالة الى ملك الروم ، فلما عاد ، رتب مدرس الطائفة الشافعية : بالمدرسة المستنصرية فكان على ذلك الى ان توفي .

حكي عنه : انه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولى ديوان الجوالي رقعة طويلة يقول فيها : مذهب الشافعي رضي الله

---

١ بناها ثقة الدولة بن الانباري كما في الكامل ١١ : ٨١ والوفيات ١ ، ٢٤٥

يقضي أن المأخوذ من أهل الذمة، أعني اليهود والنصارى في كل سنة أجرة عن سكناهم في دار السلام، والارتفاق بمرافقها لا يتقدر في الشرع بمقدار معين في طرف الزيادة ويتقدر في طرف النقصان بدينار، فلا يؤخذ من احد منهما على الاطلاق أقل من دينار ويجوز أن يؤخذ مايزيد على الدينار الى المائة، حسب امتداد اليد عليهم مهما امكن، فان رأي أن يتضاعف على كل شخص منهم مايؤخذ منه، فللآراء الشريفة علوها في ذلك، وهذا لا يبين عليهم لا في احوالهم ولا في ذات أيديهم لأن الغالب على الجميع التخفيف في القدر المأخوذ منهم، وهم ضروب وأقسام، منهم من هو في خدمات الديوان وله المعيشة السنية غير بركة يده الممتدة الى أموال السلطان والرعية من الرشا والبراطيل، ولعل الواحد منهم ينفق في يومه القدر المأخوذ منه في السنة، هذا مع مالهم من الحرية الزائدة والجاه القاطع والترقي على رقاب خواص المسلمين، وقد شاهد العبد وغيره من الفقهاء الحاضرين في المخزن لتناول البر المتقبل: أن ابن الحاجب قيصر، أقام ابن محرز الفقيه من طرف موضع كان به، وأقعد مكانه ابن زطيفا كاتب المخزن لمكان

خدمته وقد روي عن علي عليه السلام انه قال : أمرنا ان لا نساويهم في المجالس ولا نشيع جنائزهم ولا نعود مرضاهم ولا نبدأهم بسلام وقد كان ابن مهدي استفتى العبد وغيره ، في تولية ابن ساوا النظر بواسط ، فقال له العبد : لا يجوز ذلك ، وذكر له قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابي موسى الأشعري وذلك أنه عرض عليه حسبة عمل من الأعمال فأعجبته ، فقال من كاتب هذه ؟ وكان عمر جالساً في المسجد ، فقال له أبو موسى : رجل بباب المسجد ، فقال عمر . ما باله لا يدخل المسجد أجنب هو ؟ قال : لا انما هو نصراني ، فغضب عمر وقال : أتقربونهم وقد ابعدهم الله وتأمنونهم وقد خونهم الله وترفعونهم وقد وضعهم الله لا يعمل لي هذا عملا في بلد من بلاد الاسلام ، ثم ليس لهم في بلد من الحرمة والجاه والمكانة مالهم في مدينة السلام ، فلو تضاعف المأخوذ منهم مهما تضاعف ، كان لهم الربح الكثير ، ومنهم الأطباء أصحاب المكاسب الجزيلة ، بترددهم الى منازل الأعيان ، وأرباب الاحوال ودخولهم على المتوجهين في الدولة ، والناس يتحملون فيما يعطون الطبيب زائداً على القدر المستحق ، وهو أمر من قبل المروآت فلا ينفكون عن الخلع

السنية والدنانير الكثيرة والطرف في المواسم والفصول مع ما يحطون في المعالجات ويفسدون الأمزجة والأبدان، ويخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين؛ وخمس قوائم من تذكرة الكحالين وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يعرف ، وبين يديه المكحلة والملحدان(١) يؤذي هذا في بدنه ويجرب على ذا في عينه،فيفتك من اول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكحلته مملوءة قراضة (٢) فاذا عرف بقعوده على الدكة وصار له الزبون،قام يدور ويدخل الدور، ومنهم أرباب المعايش من العطارين والخلاطين والكسارين اصحاب المكاسب الظاهرة والارتفاقات الكثيرة بأموال التجار المسلمين واخذهم من الحجر بالمدة وما يعفوا في ميزان الذهب، وميزان الأرطال وما يغشون في الحوائج ويدغلون. ومنهم اصحاب الحرف والصناعات من الصاغة وغيرهم وما يتقلبون فيه من الذهب والفضة ويسرقون الذهب ويجعلون عوضه الماس ويعدلونه ويسرقون الفضة ويجعلون عوض ذلك في المواضع المستورة بحسب احتمالها ، تارة قاراً وغير

---

١ كذا في الاصل : وهو مركب من (ملح) و« دان » كشمعدان .

٢ القراضة : مايقرض من الدينار وكانوا يتعاملون بها .

ذلك، ومنهم الجهابذة وما يسرقون فى القبض والتقبيض ، ومنهم الصيارف واحتجاجهم ببضاعة دار الضرب مع مالهم من التبسط في المسلمات والمسلمين وبذل جزيل المال في تحصيل أغراضهم في الفساد ورفاهية العيش والتلذذ في المآكل والمشارب ، ثم مازالوا على اختلاف الزمان يؤخذون بالصغار ولبس الغيار الذي اوجبه الشرع عليهم ، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أمراء الأمصار. أن يحملوا أهل الذمة على جز نواصيهم وان يختموا أعناقهم بخواتم من رصاص او حديد ، وأن يركبوا على الأكف عرضاً ،وان يشدوا الزنانير على أوساطهم ليتميزوا بذلك عن المسلمين ، وعلى ذلك جرى الأمر في زمن الخلفاء الراشدين وآخر من شدد عليهم المقتدي بأمر الله وأجراهم على العادة التي كانت في زمن المتوكل ، فعلق في أعناقهم الجلاجل ونصب الصور والخشب على أبوابهم لتتميز بيوتهم عن بيوت المسلمين ، وأن لايساوي بنيانهم بنيان المسلمين وألزم اليهود لبس الغيار والعمائم الصفر ، وأما النساء فالأزر العسلية ، وان تخالف المرأة منهم بين لوني خفيها، واحد أسود. والآخر أبيض ، وأن يحملوا في أعناقهن

أطواقا من حديد أذا دخلن الحمامات ، وأما النصارى فلبس الثياب الدكن والفاختية وشد الزنانير على اوساطهم وتعليق الصلبان على صدورهم ، وأذا أرادوا الركوب لا يمكنون من الخيل ، بل البغال والحمير بالبراذع دون السروج عرضا من جانب واحد ، فهؤلاء قد حط عنهم هذا كله فلا يقابل ذلك بتضعيف مايؤخذ منهم ، وهؤلاء في أكثر البلاد يلزمون الغيار ولا يتمكنون من الدخول ألا في ارذل الصنائع وارذل الحرف ، أما في بخارا وسمرقند فمنقوا الكنف والمجاري ورفع المزابل ومساقط الفضلات هم أهل الذمة ، وأقرب البلاد الينا حلب ، وهم بها عليهم الغيار ، ومن حكم الشرع أنه أذا أخذت الجزية منهم يدفعها المعطي منهم وهو قائم والآخذ قاعد يضعها في كفه ليتناولها المسلم من وسط كفه: تكون يد المسلم العليا ويد الذمي هي السفلى ، ثم يمد بلحيته ويضرب في لهازمه ويقول له : أد حق الله ياعدو الله ياكافر ، واليوم منهم من لا يحضر عند العامل بل ينفذها على يد صاحبه: الصابئة قوم من عبدة الكواكب يسكنون في البلاد الواسطية لا ذمة لهم ، وكان في قديم الزمان لهم ذمة ، فاستفتى القاهر بالله أبا سعيد الاصطخري ، من أصحاب الشافعي

في حقهم ، فأفتاه بإراقة دمائهم وأن لاتقبل منهم الجزية ، فلما سمعوا بذلوا له خمسين الف دينار فامسك عنهم ، وهم اليوم لاجزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيء ، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى : فلما وقف الخليفة على رقعته لم يعد عنها جواباً ، ولما توفي ابن فضلان رتب عوضه في تدريس المدرسة المستنصرية قاضي القضاة أبو المعالي عبدالرحمن بن مقبل الواسطي مضافاً الى القضاء .

وتوفي علي بن ابراهيم بن الانباري الذي كان صاحب الديوان .

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

فيها ، رتب فخر الدين ابو سعيد المبارك بن المخرمي وكيل باب طراد والنظر بدار التشريفات عوض علي بن العنبري نقلا من نيابة ديوان الزمام .

وفيها ، عزل الأمير شمس الدين علي بن سنقر الطويل عن الأمارة ولزم بيته وقصر نفسه فيه .

وفيها ، تقدم بأحضار جماعة من الولاة وأرباب الدولة الى دار الوزارة ثم جماعة من التجار والصيارف وأحضرت دراهم فضة وألقيت

على نطع بين يدي نصير الدين ثم نهض قائماً والجماعة ، وعرفهم أن الخليفة أنعم في حق رعيته وأنقذهم من التعامل بالحرام وتجنب الآثام وأغناهم عن الصرف المشتمل على الربا بالمعاملة بهذه الدراهم عوضاً عن القراضة، وقرر سعرها كل عشرة دراهم بدينار، واعطى الصيارف منها ما يعاملون الناس به (١) .

وفيها ، ختم الأمير ابو احمد عبدالله ولد الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد على مؤدبه العدل ابي المظفر علي بن النيار واحضر له خلعة : قميص أطلس وبقيار قصب بمغربي ،فامتنع من لبسه تورعاً لما ورد في ذلك من النص الدال على التحريم، وأحضر له قميص مصمت غزلي وبقيار قصب بحرير وانعم عليه بالفي دينار ، وفرس عربي وخلع على ولد له صغير واعطي مائتي دينار وأنفذ الى داره ماحمله اثنان واربعون حمالاً ، ثم عملت دعوة عظيمة بلغت الغرامة عليها عشرة الآف دينار، ثم خلع على وكيله العدل عبدالوهاب بن المطهر وعلى ولده وعلى جميع الخدم والحاشية .

وفيها ، نقل تاج الدين علي بن الدوامي من ديوان عرض الجيش

١ ورد هذا الخبر في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٧٣ .

الى صدرية ديوان أربل وخلع عليه وتوجه اليها .

وفيها ، ولي قطب الدين سنجر الناصري شحنكية بغداد .

ووصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومعه تحف والطاف وكراع كثير ، وسأل تزويج ابنته بمجاهد الدين أيبك الخاص المستنصري المعروف بالدويدار الصغير ، فاحضر قاضي القضاة أبو المعالي عبدالرحمن بن مقبل ونائباه عبدالرحمن بن عبد السلام بن اللمغاني وعبد الرحمن بن يحيي التكريتي ، وحضر مجاهد الدين الديويدار ومعه جماعة كبيرة من خدم الخليفة وأصحاب الشرابي وحاشية البدرية وجلس على يمين نصير الدين نائب الوزارة وخطب الخطيب أبو طالب الحسين بن المهتدي بالله خطبة النكاح وتولى العقد القاضي ابن اللمغاني وكان وكيل بدر الدين لؤلؤ رسوله امين الدين لؤلؤ ، والصداق مبلغه عشرون الف دينار ، وكتب كتاب الصداق في ثوب اطلس ابيض ، وعملت دعوة عظيمة ، ثم نهض مجاهد الدين ، وخلع نصير الدين على من باشر العقد من القضاة والشهود والخطيب والوكلاء ، وفي هذا الأملاك انشد جماعة من الشعراء : منهم عبدالحميد بن ابي الحديد انشد ابياتا

يقول فيها :

اهـلا بيوم حسن المنظر قد قرن الزهرة بالمشتري

لامسلبا ظـل أمام الهـدى شمس الوجود النير الأكبر

وفيها ، عزل فخر الدين ابو طالب احمد بن الدامغاني عن اشراف الديوان فلزم منزله .

وفيها ، قتل رجل نصراني كان يسكن في درب الشا كرية ، قتله غلام له واظهر انه قد سافر ، فطال العهد بذلك ، والغـلام في داره يتصرف فيها على حسب ايثاره ، فارتيب به فأخذ وقرر بالضرب فاعترف بأنه قتله والقاه فى بئر داره ، فوقع الاقتصار على تخليده السجن ، لأن الغلام كان مسلماً عملاً بمذهب « الشافعي وأحمد » في ذلك .

وفيها ، رتب الأوحد الكرماني الصوفي شيخاً للصوفية برباط المرزبانية وخلع عليه واعطي بغلة ونفذ معه حاجب الى هناك وهو شيخ حسن السمت ، متكلم بلسان اهل الحقيقة وأرباب الطريقة قدم بغداد ونزل بجامع ابن المطلب وكان الناس يقصدونه ويحضرون عنده من الفقراء والصوفية فاشتهر ذكره .

وفيها ، عزل أمير الحاج قيران الظاهري عن أمارة الحاج خاصة ، وولي عوضه الأمير حسام الدين ابو فراس بن جعفر بن أبي فراس وحج بالناس في هذه السنة .

وفيها ، توفي الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي الصوفي الواعظ ولد بسهرورد ونشأ بها وقدم بغداد واستوطنها وهو ابن أخي الشيخ ابي النجيب السهروردي ، صحبه كثيراً وعنه أخذ علم الصوفية والوعظ ومعرفة الحقيقة والطريقة وصنف في شرح احوال الصوفية كتاباً حسناً وتكلم في الوعظ بباب بدر ومدرسة عمه ابي النجيب وتولى عدة ربط للصوفية، منها رباط الزوزني ورباط المأمونية وبنى له الخليفة الناصر لدين الله رباطاً بالمرزبانية على نهر عيسى وبنى الى جنبه داراً واسعة وحماماً وبستاناً يسكنها بأهله ونفذه الخليفة رسولاً الى عدة جهات وكان الملوك الذين يرد عليهم يبالغون في اكرامه وتعظيمه واحترامه اعتقاداً فيه وتبركاً ، ودفن في الوردية في تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية ، ومات عن اثنتين وتسعين سنة ولم يخلف شيئاً من عروض الدنيا بعد ان حصل له منها الشيء الكثير

فاخرجه جميعه لأنه كان كريم النفس وكان مهيب الشكل طيب الأخلاق كثير العبادة .

وتوفي ، عبدالسلام بن ابي عصرون التميمي الحلبي الفقيه الشافعي المفتي المدرس ، من بيت مشهور بالعلم والقضاء والرئاسة والقدم عند الملوك بحلب ، كان فاضلاً ذا أموال فائضة وعنده سعة نفس وكان يقول الشعر .

وتوفي ، ابو سليمان داود بن يوسف بن ايوب بن شادي المعروف بالملك الزاهر صاحب البيرة .

وتوفي ، ابو حفص عمر بن محمد بن ابي نصر الفرغاني الفقيه الحنفي شيخ صالح قدم بغداد واقام بها مدة برباط الزوزني المجاور لجامع المنصور ، ثم انحدر الى واسط وأقام عند بني الرفاعي ، سائحاً متعبداً وانتفع به بنوا الرفاعي واشتغلوا عليه ثم عاد الى بغداد بعد سنين وأصعد الى سنجار فاقام بها مدة يقرأ عليه في جامعها الفقه والأدب ثم عاد الى بغداد وأقام برباط العميد مدة ثم ندب الى تدريس الطائفة الحنفية لما فتحت المدرسة المستنصرية ، فلم يزل بها الى ان مات قبل دخل اليه الشيخ محمد (١) بن الرفاعي فصبحه غلطاً وكان مساء

---

١ ترجمته في مختصر ابن الساعي ١١٨ - ٩ وصحاح الاخبار ، لسراج الدين الرفاعي .

فقال ارتجالاً :

أتاني مساء نور عيني ونزهتي ... ففرج عني كربتي وأزاحا
فصبحته عند المساء لأنه ... بطلعته رد المساء صباحا

ذكر فتح المدرسة الشرقية الشرابية بواسط

وفي هذه السنة في سابع عشر شعبان ، فتحت المدرسة التي أمر بانشائها شرف الدين ابو الفضائل الشرابي للشافعية بالجانب الشرقي من واسط على دجلة مجاورة لجامع كان داثراً ، فأمر بتجديد عمارته ورتب به مدرساً العدل احمد بن نجا الواسطي ورتب بها معيدان واثنان وعشرون فقيهاً وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والحاشية الذين رتبوا لخدمتها وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان ابن الدباهي والناظر بواسط والقاضي والنقيبان والقراء والشعراء ، وكان المتولي لعمارتها والذي جعل النظر اليه والى عقبه في وقفها أبو حفص عمر بن أبي

بكر بن اسحق الدورقي .

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة

في المحرم ، وصل الملك الناصر ناصر الدين داود بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب الى بغداد واجتاز بالحلة السيفية وبها الامير شرف الدين علي بن جمال الدين قشتمر زعيم الحلة فتلقاه بالأكرام والمد والأقامات وعمل له دعوة عظيمة بلغ الخرج عليها زيادة على اثني عشر الف دينار، ثم توجه منها الى بغداد فخرج الى لقائه النقيب الطاهر قطب الدين ابو عبد الله الحسين بن الاقساسي وخادمان من خدم الخليفة وجميع الحجاب والدعاة فدخل وقبل عتبة باب النوبي ثم قصد دار الوزارة ولقي نصير الدين نائب الوزارة فاحترمه وبجله وخلع عليه خلعة احضرت من المخزن وهي قباء أطلس وسربوش وقدم له فرس عربي بمركب ذهبا وأسكن في دار بمحلة المقتدية تعرف بعمد(١) الموسوي، وسبب قدومه الى بغداد أنه كان قد ملك دمشق بعد وفاة أبيه الملك المعظم

---

١ راجع عمدة الطالب ص ١٩٢ وابن الأثير ١٢ ـ ١٤٧

بعهد منه له، فقصده عماه الكامل ابو المعالي محمد صاحب مصر يومئذ
والأشرف ابو الفتح موسى ابنا العادل ابى بكر، والأشرف حينئذ
صاحب حران والرها وخلاط وغير ذلك، ونزلا بعساكرهما
ظاهر دمشق محاصرين لها واقاما على ذلك شهوراً وذلك في سنة
ست وعشرين وستمائة فلما طال حصار البلد وضاق على اهله وكثر
عيث العساكر وفسادهم وتخريبهم نزل ناصر الدين على حكمهما وفتح
لهما البلد وخلاه فلما تمكنا من البلد سيراه الى الكرك فى جماعة من
اصحابه نخضر لينهي حاله الى الخليفة فوعده بأصلاح امره ثم أنفذ اليهما
في المعنى فاجابا الى ذلك وسأل ناصر الدين في مدة اقامته ببغداد
ان يحضر المدرسة المستنصرية فامر الخليفة بعمل دعوة واحضار
فقهاء المدارس، ثم حضر ناصر الدين فجلس على طرف ايوانها
الشمالي ووقف مماليكه واصحابه في ربعي المالكية والحنفية، ووقف
عند كل طائفة حاجب وحضر قرآء الديوان وقرئت الختمات
وانشد جماعة من الفقهاء قصائد ثم قدم المشروب وبعده أنواع
الأطعمة فتناول ناصر الدين من ذلك بعد أن قبل الأرض مراراً
فلما فرغوا من ذلك انصرف الى داره .

وفي ثامن عشر شعبان ، تقدم الى ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي بالجلوس في الرباط المجاور لمعروف الكرخي المقابل لتربة واقفته وحضر ناصر الدين ، ولما انقضى المجلس مد سماط عظيم ثم خلع عليه في حادي عشريه في دار الوزارة وقدم له فرس عربي بمركب ذهباً ومشدة وأعطي علماً بعشاد وجفتايين (١) ، وخلع على جميع أصحابه وأتباعه ومماليكه وأعطي عدة ارؤس من الخيل وثياباً كثيرة وخمسة وعشرين الف دينار وخمسين جملاً وكراعاً كثيراً وآلات ومفارش وغير ذلك وتوجه الى مستقره وقد اصلحت الحال بينه وبين عميه الكامل والأشرف .

وفي سلخ ربيع الأول ، وصل الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤ لؤ صاحب الموصل الى بغداد وخرج الى لقائه النقيب الطاهر الحسين بن الأقساسي وخادمان من خدم الخليفة وموكب الديوان فلقيه بظاهر البلد ودخل معه الى باب النوبي فقبل العتبة ودخل الى نصير الدين نائب الوزارة فاكرمه وخلع عليه قباءً اطلس وسربوش شاهي وقدم له فرس بعدة كاملة وأسكن دار الأمير علي

---

١ كذا ماقي الاصل .

بن سنقر الطويل بدرب فراشا واسكن الأمراء الذين كانوا صحبته في دور، وبعد أيام قصد زيارة اخته زوجة الأمير علاء الدين ابي شجاع الطبرسي الدويدار فعمل له دعوة جميلة عمت جميع اصحابه وخلع عليه واعطاه احد عشر رأساً من الخيل العربيات وعشرجون فيها من انواع الثياب وخمسة الآف دينار وخلع على جميع اصحابه واتباعه ومماليكه .

وفي سابع عشر ربيع الآخر ، حضر بالبدرية عند شرف الدين اقبال الشرابي فخلع عليه وعلى جميع اصحابه ووصله بذهب كثير وخيل وتحف وهدايا .

وفي العشرين من الشهر ، حضر في دار نصير الدين نائب الوزارة فخلع عليه وقلد سيفاً وأعطي فرساً بعدة كاملة وخلع على جميع أصحابه وأنعم عليه بقدر صالح من العين برسم نفقة الطريق ثم توجه مصعداً في ثامن عشر الشهر ، وفي مدة مقامه ببغداد عملت له دعوة في رباط الخلاطية فحضر هناك وتفرج في الرباط ، ثم عملت له دعوة أخرى في رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله ، ثم عملت له دعوة أخرى في المدرسة المستنصرية فحضر وجلس على

أيوانها وقرأ القرآه وذكر المدرسون الدروس ثم طيف به في رواقها .

وفيها ، عزل علي بن غزالة المدائني عن النظر بواسط وولي عوضه علي بن الشاطر الأنباري وولي الأمير بكتين الناصري شحنكيتها (١) .

وفيها ، وصل الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بن عمر المغربي الأصل الشرمساحي المولد الأسكندراني المنشأ والدار ، الى بغداد ومعه أهله وولده وجماعة من الفقهاء المالكية فلقي بالقبول من الديوان ثم أحضر دار الوزارة وأحضر جميع المدرسين فذكر مسئلة تفرع منها عدة مسائل على مذهب الأمام مالك بن أنس وبحث الجماعة معه واستجادوا كلامه فخلع عليه وأعطي بغلة بعدة كاملة أسوة بالمدرسين بالمدرسة المستنصرية وتقدم بحضور أرباب الدولة والمدرسين بسائر المدارس والفقهاء فحضروا ، فخطب خطبة بليغة وذكر اثني عشر درساً و ختمها بدرس من الوعظ وأعرات دروسه عن فضل ظاهر وجعل له في كل رجب مائة دينار وخلع على أخيه

١ الشحنكية: هي رتبة الشحنة وهو بمقام مدير الشرطة اليوم وقد تقدم ذكرها .

وجعل معيداً لمدرسه ثم خلع على الفقهاء الذين وصلوا صحبته وأثبتوا

وفي ربيع الآخر ، نقل القاضي فخر الدين ابو سعيد المبارك بن المخرمي من وكالة باب طراد ، ونظره بدار التشريفات الى صدرية المخزن ، وخلع عليه واعطي مركوبا بعدة كاملة وأنعم عليه بالف دينار وأسكن في الدار المنسوبة الى الوزير عبيدالله بن يونس المجاورة للديوان ورتب علي بن غزالة المدائني مشرفا عليه ورتب هبةالله بن خليد كاتبا معه ، وخلع عليهما ، ثم نقل فخر الدين بن المخرمي الى صدرية ديوان الزمام ، ونقل ابن غزالة الى الاشراف عليه ، وخلع عليهما وانحدرا الى واسط .

واستناب نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة اخاه ابا الفضل في الوكالة .

وفيها ، ولي الأمير سراج الدين سرابه الناصري شحنكية البصرة

وفيها ، تكامل بناء الايوان (١) الذي أنشئ مقابل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم وبني في حائط

١ ذكره عبدالرحمن الاربلي في خلاصة الذهب المسبوك ص٢١٢

هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة الفلك وجعل فيها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة ، وفي الدائرة بأزان من ذهب في طاستين من ذهب وورآءهما بندقتان من شبه لايدركهما الناظر فعند مضي كل ساعة ينفتح فما البازين ويقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات والباب من ذهب فيصير حينئذ مفضضاً ، وأذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما ، ثم تطلع أقمار (١) من ذهب في سمآء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يبتدئ في الدائرة الأخرى الى انقضآء الليل وطلوع الشمس (١) فيعلم بذلك اوقات الصلاة ، ونظم الشعرآء في ذلك اشعاراً : منها قول أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي . من أبيات مدح بها الخليفة :

يا أيها المنصور يامالكاً ... برأيه صعب الليالي يهون

شيدت لله ورضوانه ... أشرف بنيان يروق العيون

---

١ الصواب « شموس » كما في الخلاصة : وعلى حسب مقتضى الترتيب.

٢ راجع رحلة ابن جبير ص ٢٤٦ لوصف مثل هذه الميقاتية العجيبة .

أيوان حسن وضعه مدهش | يحار في منظره الناظرون
صور فيه فلك دائر والشـ | ـمس تجري مالها من سكون
دائرة من لازورد حكت | نقطة تبر فيه سر مصون
فتلك في الشكل وهذي معاً | كمثل هاء ركبت وسط نون

وفيها ، حضر عند قاضي القضاة ابي المعالي عبدالرحمن بن مقبل الواسطي حاجب الديوان وشافهه بالعزل عن القضاء وتدريس المدرسة المستنصرية وأمره بالانتقال من الدار التي سكنها القضاة وولي عوضه أبو الفضل عبدالرحمن بن عبدالسلام بن اللمغاني اقضى القضاة .

وفيها ، عاد تاج الدين ابو الفتوح علي بن الدوامي من أربل مفارقاً للخدمة بها ، وقد تقدم ذكر اصعاده اليها متولياً لأعمالها وصدراً لديوانها ، فلما نقل فخر الدين ابو سعيد المبارك بن المخرمي من صدرية المخزن الى صدرية ديوان الزمام رتب تاج الدين في صدرية المخزن وخلع عليه وقلد سيفاً وأعطي فرساً .

وفيها ، وصلت الأخبار من أربل أن عساكر المغول اجتازوا بها قاصدين الموصل فحاربهم عسكر اربل وقتل من الفريقين وجرح

جماعة ثم انفصلوا قاصدين أعمال الموصل فعاثوا بها أشد العيث وقتلوا ونهبوا وأسروا، فامر الخليفة بتجهيز العساكر والتوجه الى تلك الجهة واستنفار الأعراب من البوادي والرجالة من جميع الأعمال فلما حضروا فرقت عليهم الاموال والسلاح وجعل مقدم العساكر الامير جمال الدين قشتمر وتوجهوا ،فلما وصلوا الدربند ، بلغهم ان المغول قد عادوا راجعين الى بلادهم فرجع حينئذ قشتمر والعسكر الى بغداد .

وفيها ، صرف محمد بن الغنم من الوكالة ورتب عوضه ابن الطبال الدلال وظهرت منه نجابة ومعرفة وجلادة تامة .

وفيها ، توفي ابو عبدالله محمد بن المرشد شيخ من اهل «المرية» قرية من اعمال البصرة ، يعرف الفقه على مذهب الشافعي تولى قضاء واسط سنين عدة في الايام الناصرية وولي الأشراف بديوان واسط وعزل في الايام المستنصرية وكان عنده دعابة ومزح وكيس وتواضع ، قدم بغداد بعد عزله وهو شيخ طوال قليل البصر وقصد يوماً كمال الدين عبد الرحيم بن ياسين فطرق الباب فقال من بالباب فقال ثلاثة عميان فأذن له فلما دخل رآه وحده فاستفسره عما قال فقال

انا الثلاثة العميان ،لاني غريب والغريب كما يقال أعمى ، وطالب حاجة وطالب الحاجة أعمى لا يري الا قضاءها، والعمى الحقيقي فشاهد، وكان ابن ياسين ضعيف النظر جداً فقال له ياسيدي صرنا اربعة ، كانت وفاته في المرية ،وقد أضر وعمره ثمانون سنة ·

وتوفي جمال الدين ابو الحسن عبد الله بن الناقد أخو نصير الدين نائب الوزارة ، رتب اولاً حاجباً بالديوان ثم نقل الى حجبة المخزن ثم ولي صدرية المخزن وكان على ذلك الى ان توفي، صعد ليلة الى غرفة داره فمرض له فالج فلم يتمكن من النزول فبقي على ذلك اياماً ومات في صفر .

وتوفي ، بعده أخوه نور الدين أبو الفضل يحي ،كان أحد الحجاب بالديوان وناب عن اخيه نصير الدين نائب الوزارة في الوكالة في هذه السنة وتوفي في ذي الحجة .

وفيها ، توفي أبو صالح نصر بن أبي بكر بن عبد الرزاق بن أبي محمد عبد القادر الجيلي الفقيه الحنبلي الواعظ ،شيخ وقته ومقدم مذهبه من بيت العلم والصلاح ، سمع الحديث ورواه وتفقه على أبيه وعلى الشيخ النوقاني الشافعي ،وتكلم في مسائل الخلاف ودرس في

مدرسة جده بباب الأزج والمدرسة الشاطئية بباب الشعير (١) وتكلم في الوعظ وشهد عند قاضي القضاة ابن الدامغاني وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حجابه والجلوس للناس عموماً والآذان على بابه والصلاة بالجماعة والخروج الى صلاة الجمعة راجلاً ولبس القطن وتجنب لبس الابريسم ، ثم عزل في سنة ثلاث وعشرين ، فانتقل الى مدرسته وجلس على عادته بذكر الدروس ويفتي الناس ، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم ، جعل شيخاً على من به من الصوفية فلم يزل على ذلك الى أن توفي ، ودفن في دكة الامام احمد رضى الله عنه فانكر الخليفة ذلك وأمر بتحويله فحول ليلاً ودفن قريباً منه ، خارجاً عن تربته ولما عزل عن القضاء قال أبياتاً أولها :

حمدت الله عز وجل لما   قضالي بالخلاص من القضاء

وفيها ، توفي ابو منصور معلى بن الدباهي الفخري من قرية تعرف « بالفخرية » من اعمال نهر عيسى من اهل بيت ذوي رئاسة وتناية ، ومعلى هذا رتب ناظراً بدجيل ، ثم بنهر عيسى ، ثم نقل

---

١ باب الشعير : في الجانب الغربي من بغداد .

الى صدرية المخزن ، ثم نقل الى صدرية ديوان الزمام ، فكان على ذلك الى أن أمر بملاحظة أربل وأعمالها ، فتوجه اليها في هذه السنة فتوفي بأربل ودفن بها .

وحج بالناس في هذه السنة ، الأمير أبوفراس بن جعفر بن أبي فراس .

وفيها ، توفي عز الدين (١) ابن الأثير الجزري صاحب الكامل في التاريخ بالموصل .

سنة اربع وثلاثين وستمائة

في خامس صفر ، وصل الى بغداد نور الدين ارسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهر زور فخرج موكب الديوان الى لقائه وفي صدره عارض الجيوش ابو الحسن علي بن المختار وخادمان من خدم الخليفة ، فلقيه بظاهر السور ودخل معه وقصد باب النوبي وقبل العتبة ثم دخل الى نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة فرفع قدره وخلع عليه ثم خرج ومضى الى دار عينت له بمحلة المقتدية

١ اسمه : علي : وترجمته في الوفيات ١ - ٣٧٨ وطبقات الشافعية ٥ : ١٢٧ س ،

منسوبة الى النقيب الطاهر محمد الموسوي وأسكن أصحابه في دور مجاور لها ، وكان جميل الصورة ظريف الشكل لطيف القد ، واستدعي في حادي عشري الشهر الى البدرية فحضر عند شرف الدين اقبال الشرابي فشرفه بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة وخلع عليه ، وفي رابع عشريه ، عمل له دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضر اليها وجلس على طرف ايوانها الصغير وفرقت الربعات وقرئت الختمات وذكر المدرسون بها الدروس ثم نهض فدخل دار كتبها فجلس بها ساعة ، ثم خرج متوجها الى داره ، واستدعي في خامس عشري الشهر الى دار الوزارة وخلع عليه وقلد سيفا وحمل على فرس بمركب ذهبا وعدة كاملة وأعطي خمسة احمال كوساة ونقارات وما يناسب ذلك من الاعلام وغيرها وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار ، وأذن له في العود الى بلده فتوجه في ذلك اليوم .

وفي ربيع الأول ، ختم الأمير ابو القاسم عبد العزيز ولد الخليفة المستنصر بالله القرآن المجيد ، على مؤدبه العدل أبي المظفر علي بن النيار وجرت الحال في الدعوة وخلع على ما تقدم شرحه في ختمة أخيه .

وفيه ، عزل تاج الدين علي بن الدوامي عن صدرية المخزن مراسلة بحاجب وكان في عقابيل مرض ورتب عوضه أبو نضلة هاشم بن علي بن الأمير السيد العلوي ثم ولي تاج الدين في شهر رجب حجبة باب النوبي وأمر الشرطة .

وفيها ، قصد جماعة عيادة مريض وهو على سطح داره فقعدوا عنده ساعة فوقع السقف ووقعوا كلهم فماتوا جميعهم الا المريض .

كم من مريض قد تحاماه الردى فنجا ومات طبيبه والعود (١)

وفيها ، وصل أمير الحاج أبو فراس ابن ابي فراس ومعه العرب الأجاودة الذين تعرضوا لأذية الحاج ومنعوهم الحج في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وكل منهم قد كشف رأسه وجعل على عنقه كفنه وبيده سيفه ومعهم نساؤهم واولادهم فقصدوا باب النوبي وقبلوا الارض ورمى النساء براقعهن وضججن بالبكاء والتضرع فعرفوا قبول توبتهم والعفو عنهم وأنعم عليهم بالكسوات وغيرها وعادوا الى أماكنهم .

وفيها ، حضر عبد الله الشرمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية بالبدرية عند شرف الدين اقبال الشرابي وأنعم عليه بلباس

١ بالهامش: الدهر ابوالعجب.

الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة .

وفي هذه السنة ، قصد ملك الروم مدينة آمد وحصرها وضيق على أهلها وجرى بين العسكرين قتال وقتل من الفريقين خلق كثير وقلت الأقوات وتعذرت على أهل البلد فارسل صاحبها الي الخليفة يعرفه ذلك ويسأله مراسلة ملك الروم في الكف عنه فأمر الخليفة بأنفاذ ابي محمد يوسف بن الجوزي فتوجه نحوه ، قال: لما وصلت اليه وجدت عساكره قد أحاطت بمدينة آمد واهل البلد في ضر عظيم فعرضت عليه مكتوب الديوان فذكر أن اولئك هم الذين ابتدأوا وقتلوا أصحابه ، قال : فاخرجت خط الخليفة بقلمه وتلوت قوله تعالى « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » وقبلته وسلمته اليه فقام ووضعه على عينه ورأسه وقرأه وأمر في الحال بالكف عن القتال والرحيل عن البلد .

وفيها ، أمر الخليفة بعمل مزملة بالقرب من قبر احمد بن حنبل رضي الله عنه لأجل الزوار الواردين فلما تكامل بناؤها فتحت وجعل فيها الحباب وملئت من الجلاب ، ورتب فيها قيم يقوم

بمصالحها ونظم الشعراء في ذلك قصائد منها : ما قاله جعفر بن مهدويه الكاتب من قصيدة يمدح بها الخليفة :

وقبر أحمد قد طرزت حليته بحلية زينت منه مبانيه
ثم اتخذت لنا فيه مزملة تدل أنك يوم الحوض ساقيه
فاسلم فدتك الرعايا ياأمام هدىً تهدي الى الحق من ضل في التيه

وفيها ، قلد أقضى القضاة عبدالرحمن بن اللمغاني علي بن البصري قاضي دجيل قضاء واسط وأعمالها .

وفيها ، وصل الأمير عزالدين قيصر الظاهري مخبراً بوصول أبنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وكان قد نفذ لأحضارها لتزف على زوجها مجاهد الدين أيبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير فخرج الى تلقيها بدر الظاهري المعروف بالشحنة أحد خدم الخليفة وفي صحبته ثلاثون خادماً والأمير بدر الدين سنقر جاه أمير آخور الخليفة وجماعة من المماليك والحاجب ،أبو جعفر أخو استاذ الدار ومؤيد الدين محمد بن العلقمي فتلقاها بدر الشحنة في المزرفة وعادوا الجماعة معه وانحدرت هي في شبارة، حملت لها الى هناك في جماعة من خدمها وجواريها وصعدت في باب البشرى ليلاً ، وقد أعد لها

بغلة فركبت واجتازت بدار الخلافة وخرجت من باب النوبي ألى دار زوجها مجاهد الدين « بدرب الدواب » وهى الدار المنسوبة الى أحمد بن القمي فنثر عليها خادم لزوجها الف دينار عند دخولها الدار .

وفي رابع جمادي الآخرة ، خلع الخليفة على مجاهد الدين بين يديه وقدم له مركوب بعدة كاملة فخرج وقبل حافره وركب من باب الأتراك ورفع وراءه أربعة عشر سيفاً الى غير ذلك من الحراب والنشاب واشهرت السيوف من باب دار الضرب وخرج معه جماعة من خدم الخليفة والحاجب أبو جعفر بن العلقمي اخو استاذ الدار ومهتر الفراشين وحاجب ديوان الأبنية وغيرهم ، وتوجه الى داره فلما اجتاز بباب البدرية، نثر عليه خادم من خدم الشرابي أربعة آلاف دينار ولما أجتاز بدرب الدواب ، نثر عليه في عدة مواضع من دار الأمير جمال الدين قشتمر ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين كنج أرسلان ، وكان وراءه الأعلام والطبول والكوسات .

وفي عشية هذا اليوم ، نفذ له أحد عشر طبلاً ، للخلق وأحد عشر قصعة وزوج صنج برسم طبل النوبة في الصلوات الثلاث ، وزفت

عليه زوجته فاجتمع له فرحتان فرح الأمارة وفرح العرس ولم يبلغ أحد من ابناء جنسه مع حداثة سنه مابلغ ومن الغد عرضت عليه الهدايا من رقيق الترك والخدم والحبوش وأنواع الثياب والطيب والخيل وآلة الحرب وغير ذلك ، من جميع الزعماء وارباب الدولة وخدم الخليفة وسائر المماليك ، ثم الوزير والشرابي واستاذ الدار والديودار الكبير ، ولم ينفذ له أحد شيئاً الا وخلع على المنفذ على يده ، ثم ركب وبين يديه الأمرآء والمماليك ورفع وراءه السلاح وقيدت بين يديه الخيل المجنوبة وشهرت حوله السيوف وسعى الكيانية (١) وبأيديهم الحراب والأطبار ، والجاووشية بأيديهم الجوالكين الذهب والفضة وقصد دار الخلافة فخدم وعاد ، ثم ركب عشية هذا اليوم وقصد دار الخليفة فخدم ، وخرج وقت عشاء الآخرة في الأضوآء والشموع ، واستمر دخوله الى دار الخليفة في كل يوم بكرة وعشية على هذا الوضع .

وفي عاشر الشهر ، خلع على أخواجته ابي الحسن علي بن المختار العلوي وعلى وكيله ماري بن صاعد بن توما النصراني وعلى نواب ديوانه وجميع الأمرآء الذين أضيفوا اليه أيضاً ثم على أتباعه وحواشيه

١ كذا ما في الاصل : في النسخة الفتوغرافية الموجودة بمكتبة الاوقاف .

وغلمان البلدرية ومقدمها ، وبوابي دار الخلافة الذين جوازه عليهم ولم يزل مقيما في هذه الدار الى أن تكاملت عمارة الدار المنسوبة الى علاء الدين تناش(١) على دجلة وما أضيف اليها مما جاورها فانتقل اليها في ذي القعدة من السنة ، وأنعم الخليفة عليه باصطبله المقابل لها على دجلة .

وفيها ، أستحجب عبدالرحمن بن يحيي بن المخرمي أخو صاحب الديوان وجعل أسوةً بحجاب المناطق .

وفيها ، قصد الخليفة مشهد موسى بن جعفر عليه السلام في ثالث رجب فلما عاد أبرز ثلاثة آلاف دينار الى ابى عبدالله الحسين بن الأقساسي نقيب الطالبيين وأمره ان يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن ابى طالب والحسين وموسى بن جعفر عليهم السلام .

وفي رجب ، أعيد فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدامغانى الى أشراف المخزن وخلع عليه .

وفيها ، وصل بشر خادم الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ونفران من رماة البندق ومعهم طائر قد

---

١ راجع ابن الاثير ١١ : ١٦٠ - ١٧٢

صرعه ركن الدين وانتسب ذلك الى شرف الدين أقبال الشرابي فقبله وأمر بتعليقه فملق تجاه باب البدرية وأن ينثر عليه الفا دينار، ثم خلع على الخادم والواصلين صحبته وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار.

وفيها، توفي محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحـ (١) ... المعروف بابن العجمي وهو من بيت رئاسة ... قديمة .. وله شعر حسن فمنه.

سـقى الله .... اذا العيش غض والحبيب قريب
لـ .... في رياضه ويدعوننا داعي ...

وفيها، توفي الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ابن شادي صاحب حلب، كان قد توفي ابوه الملك الظاهر غازي وهو طفل فعهد اليه وجعل أتابكه ومربيه والقائم بأمره وتدبير دولته خادما أسمه طغرل ولقبه شهاب الدين فقام بتربيته وبالغ في حراسة دولته وأحسن السيرة في الرعية الى أن كبر وصار من احسن الشباب صورة فاخترمته المنية في عنفوان شبابه وقد جاوز عشرين سنة من عمره وخلف ولداً صغيراً فعهد اليه، ومن العجب ان الملك الظاهر غازي لما مرض أرسل الى عمه العادل أبي بكر محمد

---

(١) كذا في الاصل.

صاحب مصر والشام رسولاً يطلب منه أن يحلف لولده محمد هذا فقال العادل : سبحان الله اي حاجة الى هذه اليمين ؟ الملك الظاهر مثل بعض اولادي . فقال الرسول : قد طلب هذا ولا بأس بأجابته فقال العادل : كم من كبش في المرعى وخروف عند القصاب . وحلف له فتوفي الظاهر والرسول عند العادل ولم تطل أيام الملك عبدالعزيز محمد .

وفيها ، توفيت ست شمائل(١) واسمها شجرة الدر التركية، كانت حظية الخليفة الناصر لدين الله مقربة اليه وكانت تكتب خطاً جيداً وكانت تقرأ له المطالعات الواردة عليه لما تغير نظره وعلي عليها الأجوبة ، ودفنت في تربة الخلاطية .

وفيها ، توفي الملك كيقباذ بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج ارسلان السلجوقي صاحب قونية وآقصراي وسيواس وغير ذلك من بلاد الروم ، وملك بعده أخوه كيكاوس وكان كيقباذ اول مالك (٢) . . كيكاوس فلما مرض أحضره وا . . بأولاده

---

١ في ص ٤٢١ من مختصر الدول وص ١٤٤ من تاريخ الحكماء للقفطي « ست نسيم » .
٢ هكذا ورد في الاصل : اي في النسخة الفتوغرافية الموجودة في مكتبة الاوقاف العامة.

ذكر حصر اربل

في سابع عشر شوال، وصل الخبر من اربل على جناح طائر بنزول عساكر المغول على اربل والاحاطة بها وتحصن أهل البلد بغلق الأبواب وصعود القلعة وأمر الامير شمس الدين أصلان تكين الناصري بالتوجه الى هناك جريدة ونفذ معه ثلاثة آلاف فارس بغير ثقل فتوجهوا في العشرين من الشهر وتوجه بعدهم الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار في جماعة من مماليكه جريدة ونفذ صحبته ابن كر الأربلي ثم خرج شرف الدين الشرابي ومعه جماعة من الأمراء والمماليك وتوجه ايضاً نحوهم . وأحضر نصير الدين نائب الوزارة المدرسين والفقهاء واستفتاهم : اذا اتفق الجهاد والحج ايهما اولى ؟ وافتوا بأن الجهاد أولى، فأبطل الحج في هذه السنة ، وأمر المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية برمي النشاب والاستعداد للجهاد وولي الأمير أيدمر الأشقر الناصري شحنة بغداد ووقع الاستظهار بنصب المناجيق على سور بغداد واصلح الخندق ، واما المغول فأنهم نزلوا على أربل وحصروها ونصبوا المناجيق عليها ،

وقصدوا جهة من السور فهدموا منه قطعة كبيرة ودخلوا البلد عنوة وقهراً فتحصن أهله ومعظم العسكر بالقلعة وقاتلوهم أشد قتال ، وأمد المغول بدر الدين صاحب الموصل بما يحتاجون اليه من ميرة وآلة وغيرها ، واعوز اهل قلعة أربل الماء ، فتلف منهم ألوف كثيرة بالعطش ولم يمكن دفنهم لضيقة الموضع ولا القاؤهم لئلا يسدوا الخندق فاحرقوا بالنار ، ثم عاثوا في البلد أشد العيث نهباً وأسراً وأحراقا وتخريبا ، ثم اهتموا بالقلعة وجدوا في نصب المناجيق عليها فبلغهم وصول عساكر الخليفة فرحلوا راجعين الى بلادهم (١) في سادس ذي الحجة فورد الخبر بذلك الى الشرابي فرجع والعساكر والأمراء في خدمته الى بغداد فدخلها في ثالث عشر المحرم سنة خمس وثلاثين .

سنة خمس وثلاثين وستمائة

وفي المحرم ، عزل علاء الدين هاشم بن الأمير السيد من صدرية المخزن ورتب عوضه فخر الدين محمد بن ابي عيسى نقلاً من صدرية دجيل .

---

١ ذكر هذه الحادثة : ابن ابي الحديد في شرحه ٢ : ٣٦٩ وفي الوفيات ١ : ٤٣٦

وفيها، حضر أسد الدين شير كوه(١) صاحب حمص عانة وأخذها صلحا ورتب بها نائبا .

وفيها، ولي أقضى القضاة عبدالرحمن بن اللمغاني تدريس الطائفة الحنفية بالمدرسة المستنصرية عوضا عن ابن الانصاري الحلبي فانه سأل الاذن له في العود الى بلده بأهله وأولاده فأذن له، وكانت مدة تدريسه بالمدرسة المذكورة احدا وعشرون شهرا .

وفيها، في تشرين الأول جاء رعد هائل وبرق عظيم ووقعت صواعق كثيرة : منها صاعقة اصابت انسانا بظاهر سور سوق السلطان قريبا من سوق الخيل كان على بغل فأحرقت بعض صدره ونصف البغل فوقعا ميتين ووقعت صاعقة اخرى في دار يهودي بخربة ابن جردة ، واخرى على نخلات بباب محول فاحرقتها ، كل ذلك في ساعة واحدة ، ووقعت صاعقة اخرى في شهلط على الرواق بالمدرسة المستنصرية فشعثت منه موضعا .

وفيها، رد أمر حجر البيع الى تاج الدين علي بن الدوامي حاجب باب النوبي يومئذ ، وعين الأمير شمس الدين اصلان تكين زعيما ببلاد خوزستان ، عوضا عن الأمير علاء الدين

---

(١) ترجمته في الوفيات ١ : ٢٤٦ مع ترجمة جده .

ايدكز المعروف بطاز ، وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وخمسة أشهر .

وعزل ، منصور بن عباس عن صدرية لديوان المفرد بنهر الملك ونهر عيسى وهيت ، ورد أمرها الى صاحب الديوان فخر الدين ابي سعيد المبارك بن المخرمي .

وفي ربيع الآخر ، تقدم الى المدرسين والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية وأرباب الدولة من الصدور والأمرآء بحضور جامع القصر لأجل الصلاة على ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل زوجة الأمير علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير وصلي عليها في القبلة وشيع الكل جنازتها ، الى المشهد الكاظمي ودفنت الى جانب ولدها في الأيوان المقابل الداخل الى صحن الحضرة المقدسة في ضريح مفرد ، قيل انها كانت نفساء ، عن نيف وعشرين سنة ومدة مقامها في بغداد عشر سنين ، وعمل العزاء في دار الأمير علاء الدين وحضر النقيب الطاهر الحسين بن الأقساسي وموكب الديوان وأقامه من العزآء ، ونفذ المحتسب ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي الى بدر الدين لؤلؤ ليقيمه من العزآء .

وفي جمادى الأولى ، عقد العقد في دار الوزارة على ابنة سليمان شاه بن برجم بمظفر الدين محمد بن الأمير جمال الدين قشتمر، وأحضر اقضى القضاة عبدالرحمن بن اللمغاني ونوابه وكان مبلغ الصداق الف دينار .

وفيها ، كثر شغب العوام ببغداد وقتل جماعة من الناس في عدة اماكن فولي عماد الدين طغرل الناصري شحنكية بغداد فسكن الناس .

وفيها ، دخل دار الوزارة مملوك من مماليك الخليفة وهي مختصة بالزحام لأجل السلام فقصد صفة المسند وأطبق دواة الوزير فانزعج الحاضرون ولم يشكوا أنه مأمور ، وذلك عنوان العزل وتطالت الأعناق الى ماوراء مافعل ، فبدأ منه مايدل على تغير عقله ، فقام اليه أحد الحجاب وجذبه بيده وأنزله من الصفة ، وعرف الوزير هذه الصورة ، فأنهى ذلك الى الخليفة ، فتقدم بهلاك المملوك فشفع الوزير فيه ، ووقع الاقتصار على حبسه بالمارستان أسوة بالمجانين .

وفيها ، اتصل مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي وولده عز الدين ابو الفضل احمد بابنتي الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد

القمي وكان الاجتماع بهما في شعبان وكان قد افرج عنهما وردت عليهما املاكهما وما اجتمع من اجرتها وهو سبعة آلاف دينار في صفر من السنة .

وفي شعبان ، رتب شمس الدين عبدالعزيز بن محمد بن خليد مشرفاً بدار التشريفات نقلاً من الكتابة بها ، ورتب مجدالدين علي ابن ابي اليامن بن امسينا الواسطي كاتباً بها ، وقلد العدل الخطيب ابو طالب الحسين بن احمد بن المهتدي بالله نقابة العباسيين .

وفي آخر شعبان ، انتهي من عمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة وفتح ، وفتحت المزملة التي عملت بالجامع المذكور ايضا .

وفيه ، نهض على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل نفران من الباطنية ليقتلاه فجرحه احدهما في يده فقبضا وقتلا وأخذ في التحرز بعد ذلك والاستتار .

وفيها ، نقل العدل ابوطالب احمد بن الدامغاني من اشراف المخزن الى ديوان عرض الجيش المختص بالغرباء ، وتفرد ابو علي الحسن بن المختار العلوي بديوان عرض العساكر البغدادية فصار حينئذ للجيش عارضان ، وكان قد جعل لديوان المجلس حاجبان فقيل

في ذلك .

هذه دولة حوت كل حسن　　وجهها مشرق بديع المعاني

فلها حاجبان زيدا جمالاً　　ولها من جمالها عارضان

وفيه ، علق طائر باب بدر ، قيل انه رماه كيخسرو بن كيقباذ ملك الروم ونثر عليه الف دينار ، تولى ذلك عبدالله بن المختار .

وفيها ، توفي شمس الدين التمش بن قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الهند ، وملك بعده ولده ركن الدين فيروز شاه فلم يستقم له الأمر ، وتفرق عنه العسكر فقبضت عليه أخته وملكت بعده وأطاعها الجند والرعية وتلقبت « رضية الدنيا والدين » واستقام لها الامر .

وفيها ، توفي الأمير شرف الدين علي بن الأمير جمال الدين قشتمر ، أمه ايران خاتون ابنة ابي طاهر ملك اللر ، كان قد مرض وشفي وركب وخلع على الطبيب ، فلما نزل ، عرض له ألم في فؤاده واعتقال طبع ، فمات وكان شاباً جميلاً كريماً شجاعاً ، قد أمر وأضيف اليه عدة من المماليك ورفع وراءه سيفان وتوفر اقطاعه ، فاخترمته المنية في عنفوان شبابه ، ودفن عند والدته بمشهد الحسين

عليه السلام ، واستدعي جمال الدين قشتمر الى دار الوزارة ، ومعه ولده مظفر الدين محمد وولد ولده شرف الدين علي المتوفي ، وهو فخر الدين مغدي (١) فخلع على مظفر الدين وجعل أميراً على مائة فارس ، وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة ، وخلع على فخر الدين مغدي وجعل أميراً على عدة خمسين فارساً ، وعمره يومئذ خمس سنين ، ثم خلع على الأمير جمال الدين قشتمر ، كل ذلك جبراً لقلبه ، من فجيعته بولده .

وفيها ، توفي الملك الأشرف ابو الفتح موسى (٢) بن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب بن شادي صاحب دمشق ، ملك بعد وفاة أبيه ديار الجزيرة وميا فارقين وخلاط ، واستقر ملكه بها ، ثم ملك سنجار صلحاً ، وقصد بلاد الموصل وسار يريد اربل ، فراسله الخليفة الناصر لدين الله بالرجوع عنها والصلح ، فاجاب الى ذلك على أن يخطب له ويضرب الدينار باسمه ، فأجاب مظفر الدين كوكبري

---

١ قال في الفخري « حدثني الامير فخر الدين بغدي بن قشتمر ... » ص ٤٠ .

٢ ترجمته في الوفيات ٢ : ٢٦٤ الى ٢٦٧ وورد ذكره فيه مرارا . واخباره في الكامل ومختصر الدول .

الى ذلك ، فلما عاد الى حران ، راسل الخليفة يسأل تشريفه بالفتوة فنفذ اليه من فتاه بطريق الوكالة ، وكان عنده ادب وفضل مع ظرافة ولطافة وكرم فائض ، وكان متعففاً عن اموال الرعية منعكفاً على ملاذه ، مشتهراً بحب الغلمان الأتراك والميل اليهم ، مستهتراً بهم وله فيهم اشعار كثيرة ، ليست بالجيدة : فما قاله في غلام تركي كان على خزانته :

أفدي قمراً تحار فيه الصفة   يسخو بدمي وهو أمين ثقة
ماذا عجب يحفظ مالي ويرى   روحي تلفت به ولا يلتفت

وكانت وفاته بدمشق في المحرم ، وقد جاوز الستين سنة من عمره واستولى اخوه الملك الصالح سماعيل على دمشق بعده .

وفيها ، توفي ظهير الدين الحسن بن علي بن عبد الله من اعيان المتصرفين خدم اولاً خواجة الأمير علاء الدين تنامش ، ثم تولى عرض ديوان الجيش ثم عين عليه في وزارة بلاد خوزستان ، ثم عزل واعتقل هناك في سنة ست وعشرين ، فكان على ذلك الى ان توفي الخليفة الناصر لدين الله (١) فافرج عنه ووصل الى بغداد فولي صدرية

١ هذا الخبر لايستقيم : لان وفاة الناصر لدين الله كانت في سنة ٦٢٢ هـ

ديوان عرض الجيش ثم نقل الى صدرية ديوان اربل فكان بها ، ثم سأل أن يعفى من الخدمة بها فاعفي ، ثم اعيد الى بلاد خوزستان فكان بها الى أن مات .

وفيها ، توفي الملك الكامل ابو المعالي محمد (١) بن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب بن شادي صاحب مصر والشام ، كان فاضلاً اديباً متفقهاً وسمع الحديث ورواه وكان معظماً لاهل العلم محباً لهم يحضرهم مجلسه في كل اسبوع يبحثون عنده ويتناظرون ويتكلم معهم ، ويشركهم في بحثهم ويلزم معهم ادب المناظرة ويخاطبهم احسن خطاب ، وله شعر جيد ، منه : ما كتبه الى اخيه الأشرف حيث كان على دمياط :

يامسعفي ان كنت حقاً مسعفي	فارحل بغير تفند وتوقف
واطو المنازل والديار ولا تنخ	الا على باب المليك الأشرف
قبل يديه لا عدمت وقل له	عني بحسن تعطف وتلطف :
ان تأت صنوك عن قريب تلقه	ما بين حد مهند ومثقف
او تبط عن انجاده فلقاؤه	يوم القيامة في عراص الموقف

ولما توفي ابوه ، حذا حذوه في التيقظ والحراسة وحسن التدبير

١ ترجمته في الوفيات ٢ : ١٦٠ الى ١٦٢ .

وسياسة الملك ، فاخذ اليمن ومكة تغلباً ، ونفذ اليها ولده الملك المسعود بالمظفر يوسف ، ولما اخذ الفرنج دمياط وتملكوها ، جرد عزماً ماضياً ، وخرج بنفسه وجمع العساكر ، وانتقل بهم وبجميع اهل البلد وبنى مدينة مستأنفة وبنى بها جامعاً ومدارس واربطة وحمامات وخانات ، ونقل اليها الناس على اختلافهم ، ولم يزل محاصراً لها مضيقاً على من بها حتى اخذها ، وقبض على الفرنج وأخذهم اسرى ودخل القاهرة وهم بين يديه ، ثم من على من أسرهم من ملوكهم واحسن اليهم ، واطلقهم على اشياء قررها ، ولو لم يكن له الا هذا لكفى ، فانهم لما ملكوا دمياط اشرف باقي البلاد على الأخذ ، ولو اخذت مصر لما بقي بالشام معهم ملك لأحد ، وكانت وفاته في شعبان بدمشق ، وقد جاوز الستين من عمره ، وكانت مدة ملكه منذ ملك مصر اربعين سنة ، وعهد الى ولده العادل محمد .

ذكر وصول عساكر المغول الى نواحي العراق (١)

في صفر، وصلت الأخبار الى اهل اربل، ان عساكر المغول عادوا الى قصدهم في جمع كثير، فانتزح من كان بها وبالقلعة ايضاً، فلما رأى زعيمها الأمير شمس الدين باتكين خلوا البلد، أمر بخروج العسكر المقيم هناك الى ظاهر البلد ثم الاستعداد للحراسة فعدلوا حينئذ عن اربل وقصدوا دقوق، وانبثوا في اعمال بغداد وعاثوا بها اشد العيث، فوصل الخبر الى بغداد فخرج شرف الدين اقبال الشرابي معرزا الى ظاهر البلد، وامر خطيب جامع القصر ابا طالب بن المهتدي بان يحرض في خطبته على الجهاد ففعل ذلك، فبكى الناس لما سمعوا كلامه، واجابوا بالسمع والطاعة، وقدم اهل السواد من دقوق وغيرها الى بغداد، معتصمين بها وتضاعفت اجرة المساكن، وانزعج الناس لذلك، وتتابع خروج الامراء والعساكر الى ظاهر البلد، وركب الخليفة المستنصر بالله الى الكشك، فنزل به وظهر

---

(١) راجع مختصر الدول ص ٤٢٨.

للأمرآء ، وامرهم المشورة ، فقال كل واحد ماعنده ، وسهل الأمير
جمال الدين قشتمر الامر في لقائهم ، وعين الشرابي على جماعة من
الامرآء لقصدهم ، فتوجهوا الى القليعة ونزلوا بها ، فبلغهم ان المغول
في جمع كثير وهم بالقرب من الجبل ، فساروا نحوهم فلما قاربوهم
تعبوا ميمنة وميسرة وقلباً ، فلما شاهدت عساكر المغول ذلك ولوا
راجعين ، فتبعهم جماعة من العسكر فقتلوا منهم جمعاً كثيراً واسروا
منهم جماعة ، وغنموا من دوابهم واثقالهم ، وارسلوا الى الشرابي
برؤوس كثيرة ، فضربت البشارة عند مخيمه وخلع على الواصلين
بالخبر واستأذن الشرابي في دخول البلد فاذن له ، فدخل في مستهل
ربيع الأول ، هو والأمير جمال الدين قشتمر والعسكر ، واذن لنور
الدين أرسلان شاه بن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور في
العود الى بلده ، وخلع عليه وعلى اصحابه ، وتقدم الى تاج الدين (١)
محمد بن الصلايا العلوي بالتوجه الى اربل وتجديد سورها وعمارة
ماخرب من دورها ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظا

---

١ ورد ذكره في ص ٤٣٥ من مختصر الدول وفي كشف الغمة ص ١٤٠ـ٢٤٩ـ٣٢٤ وطبقات
الشافعية الكبرى ٥ : ١١٠ ، ١٩٦ وفوات الوفيات ٢ : ٦٦ وذكر بنو الصلايا في عمدة
الطالب ص ٣١٧ ورأى هذا الاسم البحاث يعقوب سركيس في تاريخ ابي الفدا ، وفي جامع
التواريخ « ابن صلايه » بالهاء ؛

بقلعتها، وعين على الأمير ايدمر الأشقر الناصري زعيماً بها وكان زعيمها الأمير شمس الدين باتكين قد فارقها .

ثم تقدم ،بعمارة سور بغداد وقسم بين ارباب الدولة فسلم الى نواب ديوان الأبنية منه قطعة مما يلي دار المسناة (١) وقسم العمل بين ثلاثة ، وهم فخر الدين المبارك بن المخرمي صاحب الديوان ، وابن ابي عيسى صدر المخزن ، وتاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب ووقع الحث على ذلك .

ثم وصل الخبر في شهر رجب المبارك ان عساكر المغول قدسارت نحو بغـداد ، فتقدم الى الأمراء بالخروج الى ظاهر البلد فخرج الأمير جمال الدين بكلك الناصري ، والأمير جمال الدين قشتمر وغيرهما من الأمراء . وخيموا ظاهر البلد ، وكاتب الخليفة ملوك الأطراف يستنجدهم ويعرفهم الحال ، فوصل في شهر رمضان ولدا الملك الأمجد (٢) فرخشاه صاحب بعلبك ، وهما الملك السعيد شاهنشاه والمظفر عمر ومعهما الف فارس، فخرج الموكب الى لقائهما

---

١ هي قصر القلعة الحالية ببغداد ، على ما تحققه البحاثة يعقوب سركيس ، وهو للناصر .

٢ ورد ذكره في الوفيات ١ : ٢٤٠ وترجمته في فوات الوفيات ١ : ٨١ .

فدخلا وقبلا العتبة فخلع عليهما ، وعلى الامراء الواصلين صحبتهما ثم خرجا وأنزلا في المخيم بظاهر السور .

ثم وصل بعده ، الملك المشمر (١) خضر بن صلاح الدين صاحب دمشق ومعه سمائة فارس ، وتلقي ودخل البلد وخلع عليه وعلى اصحابه وخرج الى ظاهر السور ، وخرج شرف الدين اقبال الشرابي ايضا الى مخيمه وتكملت العساكر عنده ، فامرهم المسير الى لقاء المغول فساروا في شوال ، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس ، فوصلوا قريبا من جبل خانقين ، فبلغ جمال الدين بكلك ، ان عدة عساكر المغول خمسة الف فارس ، فسار ليله أجمع ليدركهم نازلين فكبسهم فلما اسفر الصبح ، عبر هو والأمراء الذين معه والعسكر قنطرة هناك فلما تكاملوا عبور القنطرة ، بان لهم غبار عساكر المغول وهم سائرون نحوهم فواقعوهم على تعب وسهر ، واقتتلوا قتالاً شديدا وانكسرت ميمنة المغول وميسرتهم ولم يبق الا القلب فحينئذ ظهرت كوامن كانت لهم واحاطوا بعسكر بغداد وكانوا قد لحجوا وراء المنهزمين ، فانهزمت حينئذ عساكر بغداد وقتل منهم خلق كثير فالتجأوا الى دجلة (٢) قريبة من موضع الوقعة فهلك معظمهم

---

١ ورد ذكره استطرادا في الوفيات .

جوعاً وعطشاً ، وعاد من سلم منهم الى بغداد ، وقتل جمال الدين بكلك وطبرس وطغرل الحلبي وقيصر الظاهري وبهاء الدين علي الاربلي وكيكلدي بن قرغوي ، وجماعة من كبار الزعماء يطول ذكرهم ، وكانت هذه الوقعة يوم الخميس ثالث ذي القعدة(١) ، ووصل الخبر على جناح طائر يوم الجمعة رابعه ، فانقلب البلد وماج باهله ووصل أثر الطائر اهل طريق خراسان ، والهندنيجين ، وغيرهم منتزحين عن اوطانهم ، وقدم ابن ابي عيسى صدر المخزن ومشرفه والعمال والنواب ، وكثر الرهج وضج الناس ، فتقدم الخليفة الى كافة الامراء بالتبريز وفتحت ابواب السور ، فخرجوا في تلك الليلة وخرج الشرابي ، وخيموا جميعهم بالقرب من الملكية ، وخرج الخليفة لينظر المخيم والعسكر ، فبلغ الشرابي ذلك فركب عجلاً للقائه ، فظن الناس ان ركب الشرابي لامر حدث ، فركب معظم العسكر منزعجين ووصل الخبر الى عوام البلد وخواصه ، فخرج اكثرهم متسلحين ، فلما عرفوا حقيقة الحال سكنوا واطمأنوا ، اما المغول فانهم حازوا الغنائم وعادوا راجعين من خانقين وراسلوا الخليفة فوصل رسولهم

(١) راجع مختصر الدول ص ٤٣٨

في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وستمائة ، فانفذ العدل جعفر بن محمد بن عباس البطائحي ناظر التركات ، صحبة الرسول الوارد من جرماغون مقدمهم ، وكان عوده في سنة سبع وثلاثين . واجتمع به بالقرب من قزوين ، وأذن للشرابي والأمراء والعساكر بالدخول الى البلد ،فدخلوا في آخر ربيع الآخر ، ولم يحج احد في هذه السنة ايضاً .

سنة ست وثلاثين وستمائة

في هذه السنة ، ملك الملك الصالح (١) ايوب بن الملك الكامل ابي المعالي محمد بن العادل مدينة دمشق ، ودخلها واستولى عليها ، وسبب ذلك انه لما توفي الكامل ابو المعالي محمد بن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب صاحب مصر والشام في السنة الماضية ، وانتقل ملكه الى ولده وولي عهده العادل محمد استنباب في دمشق الملك الجواد (٢) يونس بن ممدود بن العادل ابي بكر بن ايوب ،على ان يحفظها عليه

١ راجع مختصر الدول ص ٤٥٢ والوفيات ٢ : ١٦٣

٢ الوفيات ٢ : ١٦٢ ، ١٦٣ وفوات الوفيات ٢ : ٣٢٧

ويخطب له فيها ، فلما استولى عليها خوف العادل محمد منه وقيل له : لم يبق لك في دمشق شيء ، فراسله ليسبر الحال ، فوجدها كما قيل له ، ثم ان الملك الصالح أيوب صاحب سنجار راسل الملك الجواد ، وطلب منه دمشق على ان يعوضه عنها سنجار ، فاجابه الى ذلك وسلمها اليه وانتقل منها الى سنجار ، فلما استقر الملك الصالح في دمشق وملكها ، حدث نفسه بأخذ مصر من اخيه العادل محمد وكان هو الأكبر والانجب ، واستفسد جماعة من الأمراء المصريين ، ووعدهم الاحسان فاجابوه الى ما أراد ، فلبغ ذلك اخاه العادل ، فارسل الى الخليفة يعرفه ذلك و يسأله التقدم الى اخيه بالكف عما عزم عليه من قصده ، فامر الخليفة بانفاذ ابي محمد يوسف بن الجوزي في المعنى ، فتوجه اليه وقرر معه القناعة بدمشق وتوفير مصر على اخيه ، فاشترط اشياء ، من جملتها حصته من تركة ابيه ، فاجابه اخوه الى ذلك واصطلحا ، وعاد الملك الصالح الى دمشق .

وفيها ، قتل السلطان ناصر الدين يو لق (١) أرسلان بن ألبي بن تمر تاش بن ايلغازي بن تمر تاش بن البي بن ارتق صاحب ماردين ، كان قد

---

١ راجع الكامل ١١ : ٢٠٧ و ١٢ : ٥٨ فقد ورد فيه حسام الدين يولق ارسلان ابن ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق .

ملكها بعد وفاة اخيه حسام الدين ايلغازي، وكان حينئذ دون البلوغ ، واستولى عليه بدر الدين لؤلؤ الرومي مملوك اخيه حسام الدين المذكور، ثم زوج والدته بنظام الدين احد الأمرآء ، وكان الاسم في الملك لناصر الدين ، والحكم لبدر الدين وحسام الدين المذكورين، فلما اشتد وكبر، أعمل الحيلة في قتلهما وواطأ على ذلك جماعة من المماليك ففعلوا ذلك، وكان قتلهما في سنة ستمائة ، وانفرد بالحكم واستقام له الأمر بعدهما وانتظمت احواله وصفا له الملك ، وصار له من الولد اربعة : نجم الدين غازي ، وحسام الدين ، وقطب الدين يحيي ، والمعظم عيسى ، فوقع من نجم الدين غازي أمر انكره والده ناصر الدين عليه ، وأبعده عنه فمضى الى حلب ، وصحب الفقرآء ودروز معهم في الأسواق وحلق شعره، فبلغ ذلك والده، فارسل اليه من قبض عليه وحبسه في برج بقلعة تعرف « بالبارعية » بينها وبين ماردين مسيرة يومين ، وكان لنجم الدين غازي هذا ولد وهو عند جده ناصر الدين ، وكان شديد المحبة له والشفقة عليه ، فواطأ هذا الولد ستة نفر من المماليك الترك علي قتل جده ناصر الدين ، فوافقوه على ذلك ، وانتهزوا الفرصة في قتله وهو سكران فخنقوه فنفذ في الحال من افرج عن ابيه

نجم الدين غازي ، واحضره الى ماردين وحلف له الأمرآء والجند فاستولى على ماردين وحبس الاكبر من اخوته ، واستقام له الأمر .

وفيها ، رتب محمد بن علي بن سلمان القوساني ناظر ديوان واسط نقلاً من أشراف دجيل ، ورتب محمد بن خليد مشرفاً عليه .

وفيها ، توفي احمد بن الهروي النحوي المعروف باليحمور ، كان قد سافر الى الولاد وحج وجاور وقدم بغداد واظهر الجنون وتعاطى البله وعانى سؤال الوعاظ بالعبارات المنمقة ، وصار له بذلك سوق عند العوام ، ونقل عنه أنه ينقل احوال البلد ، فأخذ وحبس في المارستان ثم ظهرت برآءته فخلي سبيله ، وجعل له رسم في كل سنة مبلغه ثلاثون ديناراً ، فلما مات وجدت القراطيس بحالها ماشذ منها الا ما ابتاع به كتباً ، وكان يستعطي من الناس ويدروزما يقتات به .

وفيها ، شرع في عمل تربة ورباط على شاطئ نهر عيسى بباب قطفتا « وبشارع رزق الله » في البستان المعروف قديماً ببستان سنقر المعنوي (١) الركبدار ، وتولى عمارته تاج الدين علي بن الدوامي حاجب باب النوبي .

---

١ لعله المقتفوي نسبة الى الخليفة المقتفي لأمر الله .

وفيها ، دخلت امرأة طرارة (١) داراً في المأمونية وأخذت صندوقا مملوءاً ثيابا ومصاغا ، وجعلته على باب الدار فاجتاز عليها حمال فاشارت اليه بحمله معها الى بيتها فحمله وعاد مجتازا على تلامع الدار ، فرأى الناس مجتمعين فلما عرف حالهم ، قال : انا حملت الصندوق مع جارية خرجت من هذه الدار . فمضوا معه ، فأرام الدار التي حمل الصندوق اليها ، فدخلوها فوجدوا الصندوق لم يفتح ، فاخذوه وقبضوا على المرأة ، وقيل : انه في زمن الوالي ابي الكرم (٢) زوجت امرأة ابنتها وكان لها عند الصائغ فردة سوار ، وكان بيتها في الكرخ ، فعبرت الى بيتها ، فرأت الجسر قد قطع فحارت في أمرها ، فرأتها امرأة ، متحيرة فعرضت عليها المبيت عندها فاجابت ودخلت اليها فجعلتها في غرفة الدار ، فلما مضى معظم الليل ، طرق الباب ، فنزلت المرأة صاحبة الدار وفتحت ، فدخل جماعة معهم ثياب وخشل ، فنظرت المرأة الى ما معهم فعرفته جميعه وهو بعينه رحل بنتها ، قالت المرأة : فحصل عندي من الخوف مالا أحسن شرحه ،

---

١ الطرارة : هي التي تطر الدروب وتحتال فيها على الناس ، وكان عندهم سجن الطرارات .

٢ راجع كامل ابن الاثير ١١ : ٢٦ في حوادث سنه ٥٣٢

وكلما صعدت صاحبة الدار وهمتها اني نائمة ، فلما طلع الصبح خرجت ومضيت الى ابي الكرم الوالي وعرفته ذلك ، وأريته فردة السوار وقلت : ان الفردة الأخرى عندهم ، فركب ومضيت معه فكبس الدار وأخذ الرحل فسلمه الي فأخذته ومضيت ٠

وفيها ، توفي النقيب الطاهر ابو علي الحسن بن النقيب الطاهر ابي تميم معد ، ناب عن ابيه في اشراف المخزن في الايام الناصرية ، فلما توفي والده في سنة سبع عشرة ، مضى الموكب اليه في جمع من الحجاب والدعاة ، وفي صدرهم عارض الجيش سعيد بن عسكر الأنباري الى داره بالمقتدية في اليوم الثالث من وفاة والده ، واقامه من العزآء ، وعرفه ان الخليفة قد قلده ما قلد اباه ، فركب الى دار الوزارة ، فخلع عليه خلعة النقابة ، وكان عمره يومئذ خمساً وعشرين سنة حين بقل عذاره ، وكان له روآء ومنظر حسن وصورة جميلة ، ولم يزل على نقابته واشراف المخزن ، الى سنة ثلاث وعشرين ، فعزل عن اشراف المخزن ، ثم عزل في سنة اربع وعشرين عن النقابة ، ثم اعيد الى اشراف المخزن في سنة ست وعشرين ، وعزل عنه في سنة تسع وعشرين ، ولم يستخدم بعدها ، وانتقل

من المقتـدية واقام بالـكرخ عنـد انسابه الى ان توفي في عنفوان شـبابه .

وفيها ، توفي ابو منصور عبدالواحد بن الحسين المعروف بابن الفقيه الدسكري الاصل، الموصلي المولد ، البغدادي المنشأ ، المحولي الدار والوفاة ، والدسكرة المنسوب اليها : قرية من أعمال طريق خراسان ، وكان اديبا فاضلا شاعراً فصيحا ، يكتب خطا حسنا على طريقة ابن البواب ، طلب من بعض الخطباء قصبا من بستان له فدافعه ولم يعطه فكتب اليه :

ان الخطيب ادام الله رفعته ... وزاده بسطة في العلم والأدب

طلبت من شرب بستان له قصبا ... فظنني طالبا شربا من القصب

فظلت اوسعه مدحا ويوسعني مط ... لا كلانا طويل الباع في الكذب

ثم افترقنا ولم احصل بفائدة ... مما طلبت سوى التسويف والتعب

فلست ادري وخير القول اصدقه ... هل قدسخرت به ام كان يسخر بي ؟

ومن شعره :

مذ عقربت صدغاه واستجمع ال ... نمل الى در اللما الأشنب

تقدم الحاجب ان يكتب ال ... عارض الاوم(١) في الاشهب :

---

١ كذا ماني الاصل .

يا أمراء الحسن لاترحلوا   فالقمر الأرضي في العقرب

ولم يخرج الحجاج من بغداد في هذه السنة ايضاً، بمجرد الاهتمام في أمر المغول ومراسلاتهم والاستعداد لذلك .

سنة سبع وثلاثين وستمائة

فيها ، وصل الملك الجواد سليمان بن مودود بن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب صاحب سنجار الى بغداد ، وخرج الى لقائه موكب الديوان ودخل معهم وقبل العتبة بباب النوبي ، ودخل الى الوزير ابن الناقد ، فخلع عليه وامطي فرساً وخلع على جماعة من خواصه واصحابه واسكن دار بهنام بقراح (١) ابن رزين فوصل الخبر اليه أن بدر الدين لؤلؤاً صاحب الموصل استولى على سنجار وملكها ، وقد كان راسله قبل ذلك والتمس منه ان يسلم اليه سنجار صلحاً على مال يؤديه اليه فاجابه الى ذلك فنفذ بدر الدين اليه ولده ركن الدين اسماعيل والمال معه فسلمه الى الجواد فأخذه ودافعه عن تسليم البلد ، واستناب فيه احد أمرائه وتوجه الى بغداد ، وترك

١ انظر مادة قراح : في معجم البلدان .

اسماعيل في البلد فتحدث على جماعة من الأمراء فاجابوه الى ماطلب واظهروا عصيان الجواد ، فنازعهم آخرون وجرت بين الفريقين حرب اسفرت عن تسليم البلد الى ركن الدين اسماعيل وصعد القلعة واستقر ملكه بها ، فلما عرف الملك الجواد بذلك استأذن الديوان في التوجه ، فاذن له وخلع عليه وعلى اتباعه ومماليكه وخرج متوجها الى « عانة » وليس له يومئذ سواها .

وفيها ، وصل رسول من نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب بلاد اليمن ومعه تحف وهدايا فادى رسالته ، وذكر انه وصل اليه رجل هاشمي على زعمه اظهر انه رسول من الديوان ومعه خلعة فقال له السلطان : عادة الديوان اذا شرف سلطانا بخلعة ينفذ له تقليداً بالبلاد لتكون ولايته شرعية ، فقال هذا يحتاج الى سؤال فاكتب والتمس ذلك حتى انفذه مع مملوكي فكتب وسلم المكتوب الى الرسول فاوهم انه ينفذه ثم اختفى فلم يعلم له خبر ، فوقع التعجب من ذلك وخلع على الرسول واذن له في العود .

وفيها ، صلب انسان اعجمي خياط كان في خدمة الأمير جمال الدين قشتمر كان قد جرح جاراً له فمات ، وكان هذا الخياط قد برع في

الصناعة وعمل اشياء عجيبة منها : انه حبس نفسه في صندوق ومعه ثوب غير مفصل وعلق الصندوق مقابل باب جمال الدين قشتمر من اول الليل ثم حط وقت الصبح وقد فصل الثوب وخيط قباءاً وطوي ، وكان الخياط شيخاً قصيراً جداً اعرج أحدب غير محمود الطريقة .

وفيها ، قتل بباب النوبي ثلاثةانفس ضرب احدهم عدة ضربات فلم يؤثر فيه السيف وكان في وسطه خيط فقطع الخيط فوجد فيه حرز ثم ضرب ضربة واحدة فانفصل وبعد انفصال النصفين سمع وهو يتشاهد .

وفيها ، رتب العدل يحي بن سعد النردي (١) شيخاً للصوفية برباط الخلاطية وخلع عليه .

وفيها ، توفي ابن سلمان القوساني ناظر واسط ، وافرج عن الصفي احمد بن الطباخ وخلع عليه ورتب عوضه .

وفيها ، استولي نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن على مكة شرفها الله تعالى ، نور الدين هذا أصله تركماني ، ولد باليمن

---

١ وقد ورد في هذا الكتاب نفسه بصورة « اليزدي » .

ونشأ بها وخدم مع صاحبها الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر محمد بن ايوب ، فلما مات الملك المسعود علت همته وقويت شوكته واستولى على البلاد وملكها تغلبا ، وقطع خطبة الكامل فلما مات الكامل في السنة الخالية استولى في هذه السنة على مكة وطرد نواب الكامل عنها .

وفيها ، حضر الامير سليمان بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية مجلس ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي بباب بدر ، فطاب وتواجد وخرق ثيابه وكشف رأسه ، وقام واشهد الواعظ والجماعة انه قد أعتق جميع مايملكه من رقيق ، ووقف املاكه ، وخرج عن جميع مايملكه ، فكتب اليه النقيب الطاهر ابو عبدالله الحسين بن الاقساسي ابياتا طويلة ، يقول فيها :

يا ابن نظام الملك ياخير من ... تاب ومن لاق به الزهد
يا ابن وزير الدولتين الذي ... يروح للمجد كما يغدو
يا ابن الذي انشأ من ماله ... مدرسة طالعها سعد
قد سرني زهدك عن كل ما ... يرغب فيه الحر والعبد
بان لك الحق وابصرت ما ... اعيننا عن مثله رمد

وقلت للدنيا : اليك ارجعي ماعن نزوعي عنك لي بد

مالذلي بعدك حتى استوى في في منك الصاب والشهد

شيمتك الغدر كما شيمتي حسن الوفآء المحض والود

لا الخشن العيش له متعة فيك ولا من عيشه رغد

عزمك في الزهد يثير القوى يعضده التوفيق والرشد

وانت في بيت كما يشتهي كالخيس فيه الاسد الورد

لايقصد الناس الى دورهم لكن الى منزلك القصد

وخدمة الناس لها حرمة وكل ما تفعله يبدو

والناس قد كانوا رقوداً وقد أيقظتهم فانتبه الضد

وقسمت فيك ظنون الورى وكلهم للقول يعتد

فبعضهم قال : يدوم الفتى وبعضهم قد قال : يرتد

ويقول فيها :

وقد اتى تشرين وهو الذي اليه عين العيش تمتد

مايسكن البيت وقد جآءه الا مريض مسه الجهد

وكل ما يفعله حيلة منه ونصب ماله حد

فقلت لا والله مارأيه هذا ولا فيكم له ند

وانما هـذا سليمان قـد صفا له في زهـده الورد

مثل سليمان الذي اعرضت يوما عليه الضمر الجرد

فخاف ان يدخلها قلبه والهـزل لا يشبهـه الجـد

ويقول فيها :

ليهنك الرشد الى كل ما يضل عنـه الجاهل الوغـد

أسقطت من جيش ابي(١)مرة واكثر الناس له جنـد

وقمـت لله بمـا يرتجـى بمثله الجنـة والخلد

فاصبر فما يدرك غايات ما يطلب الا الحازم الجلد

وفيها ، وصل منيف بن الأمير شيحة (٢) أمير المدينة صلوات الله على ساكنها في جماعة من العرب صحبة الحاج الذين كانوا هناك وخرج الى لقائه موكب الديوان واسكن في الجانب الغربي ، ثم استدعي وتشرف بلباس الفتوة عن الخليفة وخلع عليه وعاد .

وفيها ، تحيل قوم غرباء كانوا في حبس الوزير وهو دار « بدرب البطيخ » ونقبوه وخرجوا ليلاً ومضوا لا يعلمون اين يقصدون

---

١ ابو مرة كنية لابليس .

٢ ذكر في عمدة الطالب ص ٣٠٣ والقرماني ص٢٢٦ بصورة شيحة وفي ص ١١٤ ، ١٣٠ من مختصر ابن الساعي .

فساقهم القضاء الى دار حاجب باب النوب تاج الدين بن الدوامي فانكرهم الغلمان وسألوهم عن حالهم فاستجاروا بهم وقالوا قد هربنا من حبس الوزير فقبضوا عليهم وعرفوا حاجب الباب فحبسهم وانهى حالهم فتقدم بقطع ايديهم وارجلهم من خلاف .

وفيها ، ظهر في بخارا انسان اعجمي متصوف يعرف بأبي الكرم الداراني كان يري الناس الاعاجيب من انواع الشعبذة ، ويأمر انسانا ان يرميه بسهم فتثقل يده ولا يستطيع ذلك ، فكبر جمعه وتلقب بالمهدي ، وأمر بقتل النصارى واليهود ببخارا ونهب اموالهم ، فقتلوا ونهبوا ، وقال لاصحابه : اني قادر على قتل المغول وكسرهم بنفسي ومن يتبعني بقدرة الله تعالى من غير احتياج الى سلاح ، فتبعه خلق كثير فنهض على شحنة بخارا ومن معه من العسكر فقتلهم وانضم اليه بعد ذلك جمع عظيم ، فبلغ جرماغون خبره فعظم عليه ونفذ عسكرا وشحنة الى بخارا ، فخرج اليهم ابو الكرم في الوف كثيرة ، وأمرهم ان لا يصحب احد منهم سلاحا ، فلما التقوا احجم عنهم المغول ، فاقدم واحد من امرائهم وقال اريد ان اجرب فاما ان اقتله فيقدم العسكر عليهم ويقتلوهم عن آخرهم

واما ان اهلك كما يزعمون ، ثم حمل على ابي الكرم فقتله ، فاكبت العساكر عليهم فقتلوهم فلم يفلت منهم الا اليسير ، ويقال ان عدتهم كانت نحواً من ستين الفاً .

وفيها ، عين الأمير بدر الدين سنقرجاه الظاهري زعيماً في خوزستان وخلع عليه ، وكان قد وصل الخبر على جناح طائر بوفاة زعيمها شمس الدين اصلان تكين الظاهري .

وفيها ، تكامل بناء المدرسة المجاهدية ، تجاه دار الدويدار الكبير وهي منسوبة الى الدويدار الصغير ، جعلها برسم الحنابلة ، ولم يوقف عليها شيئاً .

وفيها ، هرب قطب الدين سنجر المستنصري المعروف بالياغز ، وصحبته جماعة من المماليك ، فلقيه ابو علي بن غنام أمير عرب الشام ، فقبض عليه واتى به الى بغداد تحت الاستظهار راكباً على حمار في رجله سلسلة ، وكذلك اصحابه ، فاوقفوا في باب البدرية الى الليل وباتوا هناك ، وجلس الشرابي من الغد ، وأمر باحضارهم ، فلما حضروا قال : ياسنجر أي شيء سولت لك نفسك الخسيسة ؟ ولمن خطر لك ان تخدم بعد الخليفة ؟ وقد رباك وأحسن اليك وادناك

من سدته فقابلت ذلك بما انت اهله . فبكى واعتذر وقال : الخطأ منا والعفو منكم . فقال له : قد عفي عنك وعن الجماعة وتصدق عليكم بارواحكم . وأمر برفع السلاسل من ارجلهم ، ثم قال : ليس الحلم والعفو ببعيد من أمير المؤمنين ، وليس الغدر والخيانة ببعيدة من هذا القبيل ، ثم اذن لهم في التوجه الى بيوتهم ، وأعيدت عليهم معايشهم ، وكان هذا سنجر اولاً مملوكاً لامرأة تعرف بعائشة اليتيمة ربيبة الخليفة الناصر لدين الله ، ربته صغيراً وعلمته الخط وادبته ، فلما بويع المستنصر بالله ، تقربت به وسألت قبوله ، فقبله وحظي عنده وصار من جملة الخواص ، وزوج بجارية واعطي اموالا كثيرة ، فسول له الشيطان الاباق (١) فاستفسد جماعة من المماليك ، وخرج موهما انه يتوجه الى بعض مزرعاته ، وكان قد احب الزراعة وضمن قرايا (٢) في الحلة وزرعها ، فودع زوجته وولدا له صغيرا ، وتوجه قاصداً بلاد الشام ، فنفذ الديوان الى الجهات ، واخذ عليه مفارق الطرق ، فاتفق ان ابا علي بن غنام المذكور ، قد وصل الى الحديثة

---

١ الاباق : هزيمة العبد .

٢ القرايا : جمع قرية وهو مولد من باب حمل المجرد على المزيد .

لمهم له، فعرفه مستحفظها الأمير يوسف بن باتكين صورة الحال ، فمضى في طلبه ، فوجده قد رفع وراءه سنجقاً ، وهو في صورة رسول ، فدعاه الى النزول وكان بالقرب من بيوته ، فلم يجب ، وطال الكلام بينهما وأفضى الى المحاربة ، فقتل منهم مملوك ، وجرح جماعة ، وقبضوهم وغنموا ما معهم ، فاستجار سنجر بزوجة ابن غنام فاجارته وقالت لزوجها : اما أن تطلقه ، او تمضي معه الى الخليفة وتستوهب خيانته ، فاخذه ووصل به الى بغداد ، فلما اراد الوزير ان يخلع عليه قال : لا البسها حتى يعفى عن سنجر ، فان للذمة العربية حرمة لا تخفر(١) فاجيب سؤاله ، وعفي عن سنجر كما ذكرناه ، واحضر ابن غنام الى البدرية وخلع عليه وشرف بلباس الفتوة من الخليفة ورجع الى مستقره .

وفيها ، تقدم ببعض اماكن كان قد عمرها التركمان بظاهر بغداد مما يلي سوق السلطان مساكن ودكاكين واصطبلات وحمامات وغير ذلك ، وكانت تزيد على الف موضع .

وفيها ، قطعت يد شيخ جميل الهيئة في زي التجار ، كان يسكن

---

١ من خفر الحرمة : اي نقضها وغدر بها .

الخانات على انه تاجر ومعه فشاشات يفتح بها الاقفال ويسرق اموال التجار ، فظهر عليه شيء فاخذ وقطع .

وفي شهر رمضان ، استدعي الأمير بهاء الدين أيدمر الاشقر زعيم اربل الى دار الوزارة لاجل الفطور على الطبق ، فحضر فلما افطر قبض عليه وعلى جميع اصحابه ، واحتيط على داره ، وحمل الى الديوان راجلا فحبس به ، ثم قبض على ابن غزالة مشرف اربل وفراس الواسطي كاتبها ، واحضر الأمير الحلي مكلبا (١) ورتب زعيماً في اربل وخلع عليه .

وفيه ، تقرر مع الملك الجواد سليمان بن ممدود العادل صاحب عانة ، تسليم « عانة » الى نواب الديوان على مال عينه ، فنفذ له ذلك ونفذ اليها العدل حسين بن المثنى الهيتي قاضيها ، وكان يومئذ ناظر الزناب (١) وصحبته أمير يعرف بالطغرائي ، فتسلماها منه .

وفيها ، توفي الأمير جمال الدين قشتمر الناصري ببغداد ، وحمل الى مشهد الحسين عليه السلام ، فدفن هناك ، وفي تربة له فيها زوجته وولده ، وكان حسن السيرة شجاعاً كريما جواداً متعففاً ، ذاهمة عالية

---

١ كذا مافي الاصل ويريد صورة « مكبلة » .

٢ كذا ورد ولعله « الزبازب » جمع زبزب لنوع من السفن .

كثير المعروف والبر ، وكان عمره نحو من سبعين سنة ، كان اولاً لقطب الدين سنجر الناصري ، وانتقل منه الى الخليفة الناصر لدين الله ، فاسكنه في البدرية ، ثم جعله سرخيل جماعة من المماليك ، وسلم اليه اصطبله الخاص ، ونقله الى الدار المنسوبة الى بنفشا (١) مجاورة باب الغربة ، ثم خوطب بالامارة ، وزوج بابنة الأمير بهاء الدين ارغش المستنجدي ، وجرى بينه وبين الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي منافرة اوجبت ابعاده عنه ، فعين عليه في زعامة رامهرمز فتوجه اليها في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ثم انضم الى بيت ابي طاهر صاحب اللر ، وتزوج بابنته واقام عندهم مدة ، فكوتب في العود الى بغداد ، فعاد من غير ان يشعرهم ، وترك زوجته وولده منها شرف الدين علي ، وكان وصوله في سنة اربع وستمائة ، بعد عزل الوزير ابن مهدي بشهر ، فانعم عليه بالدار المجاورة لدار الوزارة ، وتقدم اليه ان يشهر حوله سيوفاً اذا ركب ، وسلمت «الحلة» اليه ، وخلع عليه ثم ولي شحنكية واسط مضافاً الى الحلة ، ولم يزل مقدما على العساكر الى ان مات ، فجلس ولده الأمير مظفر الدين محمد في

---

١ هي حظية المستضيء بأمر الله ، توفيت سنة ٥٩٨ « الكامل ١٢ : ٧٤ » ونكت الهميان « ص ٩٣ » .

داره للعزاء ، وحضر عنده الأمرآء وارباب الدولة وقرآء الديوان، ووعظ الشيخ ابو الفضل احمد بن اسفنديار ، فحضر في اليوم الرابع موكب الديوان وجميع الحجاب وعارض الجيش الحسن بن المختار العلوي ، فاقامه من العزاء وضفر شعره وغطى رأسه ومضى به الى الديوان ، فخلع عليه وعلى ابن اخيه فخر الدين المغـدى (١) وزيد في مشاهرة مظفر الدين ،وجعل اسوة باخيه شرف الدين علي الدارج وعلى قاعـدته .

وفيها ، تقدم بقطع الوعظ من باب بدر ، وكان الواعظ به المحتسب عبدالرحمن بن الجوزي .

وفيها ، توفي الشيخ علي بن خازم المقرئ المعروف بالأبله ، كان آية في حفظ القرآن المجيـد وتجويد قرآءته ، يقرأ أي سورة شاء معكوساً ، واختير له مرة على سبيل الامتحان ، سورة الرحمن والقمر والجن ،فقرأ الثلاث السور معكوساً دفعة واحدة ، من كل سورة آية ، وكان يقرأ من أي سورة شاء ، آية من اولها وآية من آخرها ، ويختمها في وسطها ، ومع هذا كله ، كان عنده بله وميل الى

---

١ تقدم أنه « منذي » او « بغدي » .

اللعب مع الصغار والتشبه في أفعالهم مع علو سنه ، وكان جالساً ذات مرة وانسان يقرأ عليه فوقعت عليه آية فلم يرد عليه ، فحركه فاذا هو ميت .

وتوفي ، الشيخ بهاء الدين ابو طالب سعد بن اليزدي ، شيخ رباط الخلاطية ، كان حافظا للقرآن المجيد خيراً ، قدم بغداد شابا وسكن المدرسة النظامية ، وحصل طرفا من العلم والفقه ، ثم سافر الى الشام وزار البيت المقدس ، وصحب الفقراء وحج مراراً راجلا وعاد الى بغداد ، وسكن رباط الزوزني أسوة بالمتصوفة ، ووعظ في مدرسة أبي النجيب ، وقربه الوزير ابن مهدي ، فروسل به من الديوان الى عدة جهات ، وسلم اليه رباط أرجوان حظية الخليفة المقتدي ووالدة الخليفة المستظهر بالله ، نقل الى رباط الخلاطية ، فكان به الى ان توفي .

وفيها ، توفي عبدالعزيز بن دلف الخازن المعروف بالناسخ شيخ رباط الحريم الطاهري ، كان شيخ وقته ومقدم اهل زمانه بفضائل اجتمعت فيه ، وكان يقضي حوائج الناس عند الخليفة وغيره ، وكان كثير الصلاة والصيام ، يتلوا القرآن دائما ، وروى الحديث عن جماعة

ودفن الى جانب معروف الكرخي ،

وتوفي ، المبارك(١) بن احمد بن المستوفي الاربلي ، شيخ اديب فاضل ، جمع تاريخاً لاربل ، ذكر فيه من دخلها من الشعراء والاعيان وتولي ديوان اربل لزعيمها مظفر الدين كوكبري الى ان مات ، ثم عطل ولزم داره ، ثم انتقل الى الموصل لما وردت المغول الى اربل فلم يزل بها الى ان مات ، وله شعر حسن ، منه قوله : في جواب كتاب :

وافي كتابك يامولاي مشتملا — على رياض معان نشرها أرج
فكان احسن من سحر تقلبه — أجفان ظبي مراض حشوها غنج
اذا بدا قيد الابصار منظره — فما لانسان عين عنه منعرج
فبت اشفي به داء تضمنه — جوانح بات فيها الهم يعتلج
يامن تغيرت الدنيا لبعدهم — فكل رحب فسيح ضيق حرج
استودع الله عيشا مرلي بكم — يرتاح قلبي لذكراه ويبتهج
مارافني بعدكم شيء سررت به — فكل مستحسن في ناظري سمج

وتوفي ، محمد (٢) بن سعيد بن الحجاج الدبيثي المحدث الحافظ ،

---

١ ترجمته في الوفيات « ٢ : ١٤ » وهو شرف الدين ابو البركات .

٢ ترجمته في الوفيات « ٢ : ١٠٠ » وطبقات الشافعية الكبرى « ٥ : ٢٦ »

كان حافظا للقرآن المجيد مجوداً فيه ، عارفا بالحديث حافظا للتواريخ يقول الشعر ، فمن شعره :

عليك بحسن الصبر في كل حالة　　وان كان طعم الصبر في حمله صبرا
فلن يعدم الانسان نيل مرامه　　اذا قطع الايام مستعملا صبرا
وعد عن الاطماع واقنع بدونها　　فكم اهلكت حرصا وكم قتلت صبرا

ومنه :

اخوك الذي يرعى المودة جهده　　ويثني ثناء الخير ان مل أوصافى
وليس اخوك القابل الهجران نأى * ولا جاعل المكروه للخل اوصافا

وفيها ، توفي ابو الفتح نصر الله بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الاثير الجزري الاصل الموصلي الدار ، كان كاتبا عالما فاضلا متفننا في علم الكتابة مقتدراً على الانشاء ورد الى بغداد مراراً في رسائل من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، منها في هذه السنة ، فمرض ببغداد ومات ودفن في صحن مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، كان مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

وتوفي ، علي بن مقبل المعروف بابن العنيبري البصري ، كان

---

١ ترجمته في الوفيات « ٢ : ٢٨٧ » .

تاجراً ، ثم ترك ذلك وخدم وكيلاً لبعض اولاد الخليفة الظاهر ، ثم نقل الى وكالة باب طراد ، ثم عزل ورتب عوضه فخر الدين ابو سعد المبارك بن المخرمي ، فلما نقل الى صدرية المخزن أعيد ابن العنيبري الى وكالة باب طراد ، فلم يزل على ذلك الى ان مات ، وله شعر ، منه :

زمانك أيها المغرور ماضي ... وربك بالبطالة غير راضي

فكن للخير مدخراً فمما ... قليل سوف تلحق بالمواضي

اليس الاولون وكل خلق ... من الامم الأولى تحت الاراضي؟

وفيها ، توفي اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه ، صاحب حمص ، كان متحيفاً لرعيته عادلاً في التجار والغرباء ، ذا دهاء ومكر وحيلة ، قرأ شيئاً من العلم واشتغل بالفقه على مذهب الشافعي رحمه الله ، ولما مات تولى ابنه ابراهيم مكانه .

وتوفي ، علي (١) بن معالي الحلي النحوي المعروف بابن الباقلاني ، كان شيخ وقته في علم الأدب والنحو ، قدم بغداد واستوطنها ،

---

١ ترجمه ياقوت في معجم الادباء « ٤ : ٣ » وهو من الأحياء ، وترجمه السيوطي في بغية الوعاة في باب المحسنين والعليين ، وذكره ابن ابي الحديد في الشرح « ٣ : ١٩٢ » .

وقرأ علم الكلام وسمع الحديث وكتب بخطه كثيراً ، وكان شديد الحرص على المطالعة مع علو سنه وضعف بصره ، وكان حنفياً فترك مذهبه وانتقل الى مذهب الشافعي رحمه الله ، كان له زوجة قد كبرت فاشار عليه بعض اصدقائه بطلاقها فقال :

وقائل لي : قد شابت ذوائبها * وأصبحت وهي مثل العود في النحف
لم لا تجذ حبال الوصل من نصف * شمطاء من غير ما حسن ولا ترف
فقلت : هيهات ان اسلو مودتها * يوما ولو اشرفت نفسي على التلف
وان أخون عجوزاً غير خائنة * مقيمة لي على الاقلال والسرف
يكون مني قبيحاً أن اواصلها * جنىً وأهجرها في حالة الحشف

وفيها ، توفي عز الدين ابو زكريا يحيي بن المبارك بن علي المبارك ابن علي بن الحسين بن بندار المخرمي ، شيخ خير دين ، من بيت معروف بالرواية والدراية والقضاء والعدالة والتناية والتصرف والولاية ، وجده بندار المخرمي ، كان اعجميا ، قدم بغداد واستوطنها وسكن « المخرم » وكانت محلة أعلى البلد (١) فنسب اليها ، واما جده المبارك بن علي فكان فقيها فاضلا عالماً عدلا ثقة ، اشتغل بالفقه حتى

١ أي أعلى بغداد زمانه ، فهى من شرقي الجعيفية الحالية الى جهة الشمال والشرق .

برع ، ودرس وافتى ، وبنى المدرسة المنسوبة الى تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله ، وشهد عند قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغاني في سنة ثمان وثمانين واربعمائة ، ثم ولي قضاء باب الازج ، وكان نزهاً في ولايته ، وعز الدين يحيي هذا تصرف في اعمال السواد نظراً واشرافا ، وكان مشكور السيرة كيساً متواضعا ، ركب في ثاني عشر شهر رمضان الى الجامع ، فصلى الجمعة وخرج ليركب ، فلما قارب الباب وقع الى الارض ومات ، فحمل الى دار ولده فخر الدين ابي سعيد المبارك صاحب ديوان الزمام ، ولم يكن حاضراً ببغداد فغسل وصلي عليه في جامع القصر ، وحضر جنازته الولاة وارباب الدولة والامراء والاعيان ، وشيعوه الى دجلة ، وحمل الى مقبرة باب حرب فدفن بالقرب من قبر احمد رضي الله عنه ، وقد جاوز الثمانين ، وقدم ولده فخر الدين صاحب الديوان بعد وفاته بثلاثة ايام وبطل الحج من العراق في هذه السنة ايضا بمجرد الاهتمام بأمر المغول والاستعداد خوفاً من مفاجأتهم .

سنة ثمان وثلاثين وستمائة

في هذه السنة ، ملك الملك الصالح ايوب بن الكامل محمد بن العادل مصر ، وأخذها من أخيه العادل ابي بكر محمد ، وسبب ذلك أن اميراً من امراء مصر يعرف بنور الدين بن فخر الدين عثمان ، كان استاذ دار الملك الكامل وأخص الناس عنده ، فلما توفي الكامل حفظ دمشق على ولده العادل ابي بكر محمد رجاء ان يستنيبه بها ، فلما استولى عليها الملك الجواد كما سبق ذكره ، فارقها نور الدين وقصد مصر ، فلم يلتفت اليه العادل محمد وحط من منزلته ، فاستفسد جماعة من الأمراء وخرج بهم وقصد الملك الصالح ايوب بن الكامل بدمشق ، وكان قد أخذها من الجواد على ماذكرناه ، فحسن له أخذ مصر من أخيه العادل ، ففرح بذلك وخرج من دمشق ، وتجهز للسير الى مصر ، فوجد الملك الصالح اسماعيل بن العادل محمد بن ايوب فرصة ، ونهض واستولى على دمشق ، وجمع العساكر وقصد الملك الصالح أيوب فهرب منه فوقع في اسر الملك الناصر فحبسه في الكرك ، فندم حينئذ نور الدين على مافرط منه ، وبلغه

أن العادل أخذ امواله وقبض املاكه ، فقصد الخليفة وانهى حاله اليه فوعده بمكاتبة العادل في رد ماله والرضا عنه ، ثم ان الملك الناصر(١) داود بن المعظم عيسى بن العادل أفرج عن بن عمه الملك الصالح أيوب بن الكامل واتفق معه على انه اذا حصلت له مصر اجتهد في اخذ دمشق ايضا واعادته اليها ، على ان يعجل له من مصر ثلاثين الف دينار ، فكاتبا جماعة من الاتراك الخصيصين بالعادل محمد في المعنى ، فاتفقوا مع جماعة من الخدم على القبض عليه ، وتحالفوا على ذلك ، ثم قالوا للعادل : ان الملك الصالح أيوب قد خلص من اسر الملك واتفق معه على قصد مصر ، وأشاروا عليه بالتبريز ، والخروج الى ظاهر مصر والاستعداد لمنعهما ان قصداه ، فخرج وخرج جميع العسكر ، فلما نزل المخيم اجتمع الاتراك المخالفون والخدم وهجموا عليه في سرادقه وقبضوا عليه وقيدوه ، وارسلوا الى الملك الصالح أيوب يعرفونه ذلك ، فسار حتى وصل مصر ، فسلموا اليه اخاه الملك العادل محمداً ، فدخل مصر واستقر ملكه بها .

وفيها ، عزل الأمير مكلبة (٢) من اربل عن امارتها لضعف

١ ترجمته في فوات الوفيات « ١ : ١٥٦ » توفي سنة « ٦٥٦ » .

٢ تقدم وروده بصورة « مكلبا » .

رأيه وسوء تصرفاته ، ورتب عوضه آقسنقر الناصري ، وكان الصدر بها تاج الدين محمد بن نصر بن الصلايا العلوي المدائني .

وفيها ، عزل عبد الجبار بن العارض عن كتابة العرض ، وسلم هو واولاده ونساؤه الى حاجب الباب ، ورتب عوضه كمال الدين أحمد بن امسينا .

وفيها ، كان زفاف بدر الدين أيدغمش على ابنة الأمير المرحوم شمس الدين اصلان تكين وهذا ايدغمش كان قد اخذه الخليفة صغيراً لما فتحت اربل ، واعتنى بتربيته شرف الدين اقبال الشرابي وأدبه وجود خطه وحفظ القرآن والمقامات الحريرية وغير ذلك ، واشترى له الاملاك السنية ، وزوجه وبنى له داراً « بدرب حبيب » فيها عدة حجر وبستان وحمام ، واعطاه في هذه الليلة ثلاثة آلاف دينار ، وفي صبيحتها ، لم يبق أحد من خواص الخليفة والشرابي الا ومد له شيئاً وأهدى له هدية .

وفيها ، قتل انسان ببغداد واتهم بقتله جماعة ، فأخذوا فحضر القاتل في جملة المتفرجين ، فارتاب به بعض الغلمان ، فاخبر نائب الشرطة بحاله ، فتقدم باخذه ، فاعترف انه القاتل فحبس في الحجرة

واتفق في تلك الايام انه احتيج الى تطيين سطح الحجرة فاحضروا روز كارية لبل الطين ، فشرعوا في نقل الماء من الحجرة فجاء الرجل ووقف عند البئر واخذ قربة ماء وخرج بها، فتوهم البواب أنه من الروزكارية ،فطرحها على الطين وفر في غمار الناس، فلم يعلم له بخبر .

وفيها ، وصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومعه طائر وجماعة من رماة البندق ،شهدوا ان الأمير ابراهيم ولد بدر الدين لؤلؤ ،رماه بالبندق ، وانتسب في ذلك الى الخليفة ،فقبل وعلق بباب البدرية ، ونثر عليه الف دينا وخلع على الواصلين معه .

وفيها ، قصد مدينة حلب جماعة من الخوارزمين ومعهم الملك الجواد سليمان بن ممدود بن العادل ، فخرج اليهم عسكر حلب والتقوا واقتتلوا فاستظهر الخوارزمية عليهم ، وقتلوا منهم جماعة وانهزم الباقون ، ونهبت اموالهم ، وكان سبب ذلك ان محمد تركان خان بن دولة شاه الخوارزمي ملك الخوارزمية، خطب ابنة الملك العادل صاحب حلب ، فلم يجب الى ذلك وأمرت باهانة رسوله ، فجمع من ملته من العساكر وقصد بلادهم ، ثم ان العساكر الحلبية اتفقوا مع صاحب حمص ، وواقعوا الخوارزمية فهزموهم وتبعوهم ،

فقصدوا « عانة » ، فاحجموا حينئذ عنهم ، وعادوا فلما خلت بلاد الخوارزمية منهم ، نهض بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على مدينة نصيبين فاخذها ، ورتب بها أميراً يقوم بحراستها ، واما محمد تركان خان أمير الخوارزمية ، فسار من عانة الى بغداد فخرج اليه موكب الديوان ، وتلقاه شمس الدين محمد بن عبدالله حاجب باب المراتب ظاهر السور ، ودخـل معه فقبل العتبة ، ودخل دار الوزارة فخلع عليه نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة ، وقلد سيفاً واسكن داراً بدرب دينار الصغير ، وكان عمره نحوا من عشر سنين ، ووصل بعده ابن كشل خان احد أمرآء الخوارزمية واعتمد معه مثلما اعتمد مع المذكور .

وفيها ، عزل عبد الكريم بن الحسين بن ابي زنبقة قاضي واسط وقلد القضآء بها الفقيه محمد بن الحموي الحنفي .

وفيها ، قدم جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي من شيراز ، وحكى أنه شاهد في قرية من قرى فارس تدعى شاوور ، صبياً عمره اثنتا عشرة سنة طوله خمسة اذرع واعضآؤه تناسب خلقه ، قال : وحضر أبواه عندي وهما كالرجال في العادة .

وفيها ، توفي جمال الدين علي بن البوري ، كان شيخا من اعيان المتصرفين ، رتب اولاً نائب الشرطة بباب النوبي في سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وصرف في سنة ستمائة وحبس وطولب بمال ، ثم افرج عنه ، فخدم في الاعمال الحلية ، ثم صرف وقبض عليه الأمير جمال الدين قشتمر مقطعها وحبسه ولقي منه شدة ، ثم افرج عنه ، ورتب مشرفاً بعنابر (١) التمور ، ثم نقل الى النظر بها وأضيف اليه النظر بديوان الجوالي في سنة ثماني عشرة وستمائة ، ثم نقل الى صدرية دجيل ونهر عيسى ونهر الملك والأنبار وهيت ، وخلع عليه واسكن في الدار المنسوبة الى الوكيل أبي السعادات بن الناقد بالرحبة ، ثم أعفي من التردداد الى دار الوزارة والمراجعة للديوان ، وقسمت الاعمال بينه وبين ابن الانباري صاحب الديوان ، وكان يركب في جمع عظيم وبين يديه السيوف المشهورة على قاعدة لم تكن لأحد من ارباب الدولة من التحكم والاستقلال وترك المراجعة لما عدا الخليفة الناصر ، ولم يزل على ذلك الى ان توفي الخليفة الناصر لدين

---

١ لعلها « بعنائر التمور » جمع منثر وقد وردت في عمدة الطالب ص ١٤٦ .

الله، فلما بويع الظاهر بامر الله هجم العوام على داره فنهبوها ولم يزل قاصراً نفسه في منزله الى أن قبض على نائب الوزارة محمد القمي في سنة تسع وعشرين وستمائة، فلما ولي نيابة الوزارة نصير الدين بن الناقد ولاه حجبة باب النوبي، فلم يزل على ذلك الى سنة ثلاث وثلاثين، وعزل ولم يستخدم بعد ذلك، وكان له اهتمام بالكتب واطلاعها، وحفظ ما يستحسنه منها، وكان له شعر، فمما قاله عقيب نهب داره وأخذ ماله :

قال المنجم هذا العام : فيه لنا　　زعازع بقران النجم مع زحل

فقلت : اخطأت كل الناس في دعة　　وغبطة لم تكن في الأعصر الاول

ما كان جرم قران الكوكبين سوى　　ما حل بي لاحساب الزيج والجمل

وبطل الحج في هذه السنة، فلم يحج أحد من اهل العراق .

وفيها، استولى الهرم على الوزير نصير الدين بن الناقد، بحيث انه كان في مسنده يبخ .

سنة تسع وثلاثين وستمائة

وفي هذه السنة ، استولى عمير بن قاسم العلوي على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعد عمه شيحة عنها .

وفيهـا ، سقط محمد بن ادريس ناظر طريق خراسان من بغلة كان راكبها فمات من ساعته ، وكان قد ورد عليه تقدم فقرأه فلوح الهواء به فنفرت البغلة فرمته .

وفيها ، رد النظر في نهري الملك وعيسى، الى حاجب باب النوبي تاج الدين علي بن الدوامي اضافة الى مايتولاه من امر الشرطة والعمارة المستجدة المجاورة لقبر معروف الكرخي وأمر الباعة ، وعمارة البلد، وكان امر نهر عيسى والملك، مضافاً الى حاجب الديوان فخر الدين المبارك بن المخرمي .

وفيها ، رتب هبة الله بن زطينا كاتب السلة(١) عوضاً عن ابيه الدارج .

وفيها ، رتب القاضي أبو محمد عبدالله البادرائي مدرساً بالمدرسة

---

١ كاتب السلة : هو كاتب في ديوان الزمام ، وهو رأس الدواوين ويعرف بالديوان .

النظامية وخلع عليه ، وأقر على خزن الكتب بخزانة الخليفة واذن له أن يدخل المدرسة بطرحة أسوةً بالمدرسين .

وفيها ، توفي جعفر (١) بن مكي بن سعيد مقدم شعراء الديوان ، وكان ذا كيس وتواضع ، طيب الكلام عذب الايراد ، يورد التهنئات في المواسم والأعياد ، وكان يورد في كل ليلة من ليالي شهر رمضان قصيدة من نظمه على الطبق بدار الوزارة ، فمن شعره ابتداء قصيدة :

دنياك فرحة حالم بمنام والمرء نصب حوادث الأيام
لم يدر أن الدهر مسرور به يرميه عن قوس الردى بسهام
هون عليك فما الزمان بصاحب كلا ولا الدنيا بدار مقام
ما احسن الأيام لولا غدرها لن تعدم الحسناء وصمة ذام

وفيها ، توفي ولد لعز الدين ابي الفضل محمد بن مؤيد الدين محمد ابن العلقمي ، فرثاه جده مؤيد الدين استاذ الدار ، بهذين البيتين :

بني الذي أهدت يداي الى الثرى فيا خيبة المهدى ويا حسرة المهدي
لقد قل بين اللحد والمهد عهده فلم ينس عهد المهد اذ ضم في اللحد

---

١ ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى « ٥ : ٤٦ » وذكره ابن ابي الحديد في الشرح « ٢ : ٢٢٠ ، ٤٠١ » و ٣ : ٣٨٢ » .

وفيها ، دخل العدل عبد الله بن عبدالرحمن البرجوني خازن المخزن الى حجرة له بالمخزن ليصلي العصر ، فطلب لحاجة عرضت ، فدخل الفراش اليه ، فوجده مصلوباً فاخبر النواب بذلك ، فوقع التعجب من هـذه الحادثة ونسب ذلك الى نواب المخزن ، لأمر كان قد اطلع عليه منهم ، فأنهي ذلك الى الخليفة ، فامر باعتبار المخزن فاحضر عـدلان واعتبر باتفاقهما ، فـلم ينشد منه مما تضمنه الحساب شيء ، فعند ذلك اتضح الأمر وزال اللبس وظهرت براءة ساحة النواب ، وكثر القول فيه ، فقيل انه كان له جارية ام ولد ، وانها كانت سيئة العشرة غير مرضية الحركات ، وكان يحبها ولا يمكنه فراقها ، فاختار الموت ليتخلص مما كان يلاقي منها ، وكان خيراً ظاهر السكون كثير الوقار قليل الكلام .

وفيهـا ، توفي الـكمال موسى (١) بن يونس بن منعـة بن مالك العقيلي الموصلي الفقيـه الشافعي ، كان عالماً بالأصول والحـكمة والمنطق ، وكان يدرس الفقه في عدة مدارس ، ويقرأ عليه الناس ويقصد من البلاد ، تجاوز الثمانين ، وكان يقول الشعر ، فمما مدح به

---

١ ترجمته في وفيات ابن خلكان « ٢ : ٢٥٩ » .

بدر الدين لؤلؤاً صاحب الموصل من ابيات كثيرة :

لئن زينت لك رقمها (١) فمملكة الدنيا بكم تتشرف

بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ وسعيك مشكور وحلمك منصف

وانقطع الحج في هذه السنة ايضاً .

وفيها ، توفي ابو الطليق معتوق المعروف بابن شقير المنكر ، شيخ من اهل قراح ظفر (٢) ، كان بقالاً هناك يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واذا بلغه أن موضعا فيه جماعة مجتمعين على مسكر ، مضى وانكر عليهم وأراقه ، ولا يبالي بضربه واهانته ، واذا رأى أحداً من روساء النصارى واليهود راكباً انزله وأهانه ، فعل ذلك بالحكيم ابن (٣) توما وبولده من بعده وبابن كرم اليهودي ، ومضى مرة الى دار ايدغمش زعيم بلاد العراق حيث ورد بغداد ، وهجم عليه وعنده مسكر فأراقه وكسر ماحوله فبهت له ولم يمكن أصحابه من اذاه ، فاخذ الى دار الوزارة وانكرت الحال عليه ، وقيل له : هذا جهل بالشرع ، كيف تقدم على ماليس

---

١ كذا مافي الاصل وهو غير مستقيم .

٢ راجع معجم البلدان ، مادة « قراح » .

٣ ترجمته في كتابنا السنين الضائعة من تاريخ القفطي وابن العبري وابن ابي اصيبعة .

لك فعله ، اذا علمت بأمر فارفعه الينا ، ثم وكل به اماماً في الحجرة بباب النوبي ، فلم يرجع عن ذلك ، وأوذي مراراً واحدر الى واسط وحبس بها مدة ، ثم اعيد وألزم المقام بالرباط المجاور مشهد عبيدالله(١)،ظاهر بغداد ،وكان يتشيع فلم يزل هناك الى ان توفي .

سنة اربعين وستمائة

في هذه السنة، قصد الخوارزمية مدينة حلب ، واجتمع معهم خلق كثير من التركمان وغيرهم ، فخرج اليهم الأمير لؤلؤ الحلبي ومعه عسكر حلب بمساعدة محمد بن أسد الدين شير كوه صاحب حمص والملك الصالح اسماعيل صاحب سنجار، وله بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، والتقوا بأرض تعرف بالمجدل ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، من قبيل الظهر الى العصر، فانهزم الخوارزميون وتركوا نساءهم وأولادهم واثقالهم ، فغنمها العسكر وتركوا خيامهم واقتسموا أموالهم وأولادهم .

وفيها ، وصل صاحب الديوان فخر الدين أبو سعد المبارك بن المخرمي

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي ، وفي مناقب بغداد ، وياقوت في مادة « قبر » .

من واسط والبصرة ، ومعه من العين نحو مائتي الف دينار وخمسين الف دينار .

وفيها ، وقع حريق في مشهد سر من راى ، فأتى على ضريحي علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام ، فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين واعادتهما الى أجمل حالاتهما ، وكان الضريحان مما امر بعملهما أرسلان (١) البساسيري الذي خرج على الخليفة القائم بامر الله ، فاراد الله تعالى ان ينزههما من منة البساسيري ، فجعل النار سبباً لازالة اسمه ، وقد قال في ذلك السيد الفقيه جمال الدين احمد (٢) بن موسى بن طاوس الحسني كلاماً بديعاً وجمع فيه جزءاً نظماً ونثراً ، منه : لا يلزم من الحادث المتجدد قدح في شرف من انضمت هاتيك الأعواد على مقدس جثتيهما ، بل قد يكون في ذلك برهان واضح شاهد بجلالتيهما ، لان روحي من وقعت الاشارة اليهما ، خالية من عرصات اللحود ، ساكنة في حضرة الملك المعبود ، والشرف التام لجواهر

١ ترجمته في الوفيات « ١ : ٦٥ » وهو ابو الحارث وذكره كثير في التواريخ .

٢ عمدة الطالب ص ١٦٨ وحاشيته ، وروضات الجنات للخونساري .

النفوس دون من عداها عند من يذهب الى وجود معناها ، وقد ذكر في التواريخ ان صاعقة سماوية نزلت في المسجد الحرام ، ولم يقدح ذلك في شرفه ، وللسيدين الطاهرين صلوات الله عليهما مناقب مذكورة ومفاخر مشهورة تحتوي عليها الكتب ، تشهد بحراستهما من الوهن ونزاهتهما من الطعن ، فمن ذلك مارواه أبو عمرة الزاهد في أخباره عن علي بن الحسين انه قال : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشجرة العالية الكريمة الجليلة المباركة الطيبة وبنو هاشم اغصانها والحسن والحسين عليهما السلام ثمرتها ، ومحبوا بنو هاشم ورقها ، فمن تعلق بغصن من اغصانها اوشجنة من شجنها أو بورقة من ورقها اواستظل بظلها فاز ونجا ، ومن تخلف عنها هلك وضل ، روى عبدالله بن احمد بن حنبل باسناد يرفعه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسن والحسين فقال : من أحبني وأحب هذين وأباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة ، ومن ذلك مارواه أبو اسحاق الثعلبي (١) في كتاب كشف البيان يرفع الحديث الى

١ ترجمته في الوفيات « ٢ : ٢٢ » .

جرير بن عبدالله البجلي ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات على حب آل محمد مات شهيدا ، ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ، ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة بالرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة .

هم معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويسترب(١) به الاحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بر ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم(٢)

وفيها ، كثر الموت والمرض في بغداد وسوادها ، وغلا السكر

١ يسترب : ويستكثر ويستزاد . واصله من رب النعمة : اي زادها .

٢ الهضم : جمع الهضوم بفتح الهاء أي جائدة بما لديها .

وكل ما يحتاج المرضى اليه ، وحكي أن تركيا عاد خستا شاله (١) وبات عنده ، فمات العائد وفرسه .

وفيها ، أتى سيل عظيم من غيث وقع فوق تكريت في موضع يعرف « بدرب سنجار » فدخل تكريت وهدم بها دوراً كثيرة وسقط حمام على جماعة كانوا به فهلكوا جميعاً .

ذكر وفاة الخليفة المستنصر بالله (٢)

ابتدأ المرض بالخليفة المستنصر بالله ابي جعفر المنصور بن الخليفة الظاهر بامر الله ابي نصر محمد بن الخليفه الناصر لدين الله في حادي عشر جمادى الاولى ، وكان اصله هواء وتعقبه حمى ، ثم فارقت واعتدل ، فعاودت وانتكس ، فتوفي بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة ، عن احدى وخمسين سنة واربعة شهور وسبعة ايام ، وكتم موته ، وغسله نقيب النقباء أبو طالب الحسين بن المهتدي بالله ، ودفن في الدار الثمنة بدار الخلافة على شاطئ دجلة ، وكانت مدة ولايته ست

---

١ كذا ورد في الاصل .

٢ ترجمته في خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١١ الى ٢١٣ والفخري ص ٢٤٢ ومختصر الدول ص ٤٤٢ والقرماني ص ١٨٠ وتاريخ السيوطي وغيرها .

عشرة سنة وعشرة اشهر وسبعة وعشرين يوما ، وكان جميل السيرة حسن السريرة ، عادلاً في الرعيه ، مكرماً للعلماء ، انشأ المدارس والربط والمساجد والجوامع والخانات للسابلة ، وخلف من الأولاد ثلاثة (١) وهم : ابو احمد عبد الله المستعصم الذي افضت الخلافة اليه وأبو القاسم عبدالعزيز لام واحدة ، و كريمة من ام اخرى ، ولم يستوزر في مدة خلافته وزيراً ، بل أقر محمد (٢) بن محمد القمي على نيابة الوزراة الى ان عزله ، واستناب نصير الدين ابا الأزهر احمد بن الناقد نقلاً من استاذية الدار الى آخر ايامه ، وقلد نقابة العباسيين مجد الدين ابا القاسم هبة الله بن المنصوري فلما توفي قلد بعده بهاء الدين ابا طالب الحسين بن المهتدي بالله الى آخر ايامه ، وقلد نقابة العلويين قوام الدين أبا علي الحسن بن معد الموسوي ، ثم عزله ، وقلد بعده قطب الدين أبا عبدالله الحسين بن الأقساسي الى آخر ايامه ، واستقضى عماد الدين أبا صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر ،

---

١ ذكر في الخلاصة اربعة اولاد له ، فيقتضي ان بنتا ماتت في حياته .

٢ تقدم ذكره وترجمته في الفخري ص ١١٠ ، ٢٣٩ الى ٢٤١ واخباره في الكامل « ١٢ : ١٢٠ » وخلاصة الذهب من ص ٢٠٩ الى ٢١٣ ومختصر الدول ص ٤٢١ وتاريخ الحكماء للقفطي ص ١٤٤ .

ثم عزله واستناب في القضاء شهاب الدين أبا المناقب محمود بن احمد الزنجاني ، ثم عزله ، وقلد القضاء عماد الدين ابا المعالي عبدالرحمن بن مقبل الواسطي ، ثم عزله ، واستقضى كمال الدين ابا الفضل عبدالرحمن بن اسماعيل اللمغاني الى آخر ايامه ، وأقر في استاذية الدار عضد الدين أبا نصر المبارك بن الضحاك الى ان توفي ، وولى بعده وكيله شمس الدين أبا الازهر احمد بن الناقد ، الى ان نقله الى نيابة الوزارة ، ثم ولي بعده مؤيد الدين أبا طالب محمد بن العلقمي الى آخر ايامه ، وأقر على صدرية ديوان الزمام تاج الدين ابا الحسن علي بن الانباري ، الى ان توفي فولي عوضه تاج الدين أبا منصور معلى بن الدباهي نقلاً من صدرية المخزن ، الى توفي في اربل وولى عوضه فخر الدين أبا سعد المبارك بن يحيي بن المخرمي ، نقلا من صدرية المخزن ، وكان الأمر في عساكره واجناده وقواده الى شرف الدين اقبال الشرابي الى آخر ايامه ، ولم يول كاتباً للانشاء في الديوان ، لان مؤيد الدين أبا الحسن محمد بن محمد القمي ، كان مخاطبا بولاية ديوان الانشاء ، ثم صار ينوب في الوزارة فجعل بين يديه الحبيب بن الاستاذ يستعين به الى ان عزلامعا ، فلما استوزر

نصير الدين بن الناقد ، تولى الأمور بنفسه ورتب بين يديه كاتبا العدل ناصر بن رشيد المخرمي ، ثم بعده الجمال عبدالله بن جعفر ، ثم العدل أبا المعالي القاسم ابن ابي الحديد المدائني الى آخر ايامه (١) .

خلافة المستعصم بالله

هو أبو احمد عبدالله بن الخليفة المستنصر بالله ، لما توفي والده المستنصر بالله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة ، استدعاه شرف الدين اقبال الشرابي من مسكنه بالتاج سراً من باب يفضي الى غرفة في ظهر داره ، فحضر ومعه خادمه مرشد الهندي ، فسلم عليه الشرابي بالخلافة ، وأجلسه على سدة الخلافة ، بعد ان شاهد والده مسجى ، وكتم موته ، فلم يعلم به الا بعض الخدم ، فلما حضر استاذ الدار مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي مؤذنا بالاذان قبل صلاة الجمعة جريا على العادة ، أسر اليه ذلك واستكتمه ، ثم عرف الوزير

---

١ قلنا : ولكن عبدالحميد بن ابي الحديد قال في شرحه « وكنت كاتبا بديوان الخلافة والوزير حينئذ نصير الدين ابو الازهر احمد بن الناقد رحمه الله » مجلد ٤ ص ٤٠ .

نصير الدين بن الناقد أيضاً ، وكتم الامر الى ليلة السبت حادي عشر الشهر ، ثم استدعي الوزير فدخل من باب لدار الأمير علاء الدين الطبرسي الظاهري الدويدار ، مقابل دار الوزارة فحضر في محفة لعجزه عن المشي ، واحضر استاذ الدار ايضاً ، فمثلا بين يديه ، وكتب عدة ألقاب فوقع تعيين الوزير باذن الخليفة على المستعصم بالله ، ثم أحضر عمه ابو الفتوح حبيب فبايعه ، وأحضر بعده عشرة من اولاد الخلفاء فبايعوه ، ثم بايعه الوزير واستاذ الدار ، ثم بايعه أعمامه (١) وهم ابو المظفر الحسن ويعرف بالتركي ، وابو القاسم علي ويعرف بالسبتي ، وابو الفضل سليمان ويعرف بالحاج ، وابو هاشم يوسف ، وولداعم ابيه وهما ، المؤيد ابو عبدالله الحسين والموفق أبو علي يحيى ولدا أبي الحسن علي بن الخليفة الناصر لدين الله ، ثم تقدم بتعيين الأمرآء لحراسة البلد ، وتقدم الى جميع الامرآء من الشاميين والغربآء ان لا يركب احد منهم ولا يخرج من داره ، فاصبح الناس يوم السبت فشاهدوا ابواب دار الخلافة مغلقة وهي : باب النوبي والعامة والمراتب ، وقد أمر عبداللطيف بن عبدالوهاب

---

(١) في الخلاصة : انهم امتنعوا . وان حبيبا انما بايعه بالخديعة ، ثم اجاءوهم فبايعوا .

الواعظ ، أن يشعر الناس بوفاة الخليفة المستنصر بالله وجلوس ولده المستعصم بالله ، بما صورته « أيها الناس ان امامكم المستنصر بالله أمير المؤمنين قد درج الى رحمة الله تعالى ، وقد بويع ولده سيدنا ومولانا الامام المستعصم بالله أبو احمد عبدالله امير المؤمنين أيد الله تعالى به الدين وجعل أيالته مباركة على كافة المسلمين » ثم استدعي الى دار الوزارة المدرسون ومشايخ الربط وأعيان الناس ، وفتح باب العامة ، فدخل منه من استدعي للدخول ، ومضوا الى بستان التاج وعليهم ثياب العزاء ، فبايعوا على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم ، وكان جلوسه في شباك القبة ، وعليه البردة والطرحة والقضيب بيده ، وقد نصب تحت الشباك كرسي ذو درج يرقى الناس عليه للمبايعة ، وكان الوزير جالساً على ارفع درجة لعجزه عن القيام ، واستاذ الدار قائم دونه بمرقاة يأخذ البيعة على الناس ويلقنهم لفظ المبايعة ، ثم أسبلت الستارة وانفض الناس ، وكانت الحال ساكنة والناس على اشغالهم ، ثم جلس في اليوم الثاني ، فدخل كافة الامراء والمماليك وبايعوه ، وفي اليوم الثالث كانت البيعة العامة ، حضرها من تخلف من الامراء والغرباء وضروب الناس كالتجار الغرباء وغيرهم ، ثم

انهم وقفوا صفوفا بين يدي الشباك وبين ايديهم العارضان تاج الدين الحسن بن المختار العلوي ، وفخر الدين احمد بن الدامغاني ومقدما (١) البدرية داود وحسين ، ووقف أرباب الدولة عن يمين المنبر ويساره فلما رفعت الستارة ، قبل الجميع الارض ، وفي هذا المجلس أحضر قاضي القضاة كمال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن الدمغاني ، ونقيب العباسيين العدل بهاء الدين ابو طالب الحسين بن المهتدي بالله ومدرس النظامية العدل نجم الدين أبو محمد عبدالله البادرائي ، وأقر الجميع على اشغالهم شافههم بذلك ، ثم أشهدهم على نفسه ، أنه قد وكل وزيره نصير الدين ابا الازهر احمد بن الناقد ، ثم احضر المحتسب جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، وأمر ان يقرأ بارفع صورته ، قوله تعالى « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً » ، ثم أمر الناس بالخروج ومضي الوزير واستاذ الدار وارباب الدولة ونفر يسير من الاعيان الى

---

١ سيأتي في واقعة الاتراك « فخرج اليهم مقدم البدرية وقبح لهم هذا الفعل . »

بيت النوبة ، وجعلت محفة الوزير بباب الرواق وهو جالس فيها ، وجلس أرباب الدولة حوله ، وقرئت الختمة وقرأ القراء ، وأورد جمال الدين بن الجوزي فصلا يشتمل على عزاء وهناء ، اوله « ماالليل والنهار لايعتذران وقد عظم حادثهما ، وماللشمس والقمر لايخسفان وقد فقد ثالثهما :

أياقمراً قد غاب عنا محياه * فلسنا بهذي الدار نأمل رؤياه
أما البدر يخفى ليلتين فمالنا * تمر ليالينا ولا نستراآه

ثم وعظ وانشد قصيدة ، وأنشد الشعراء بعده ، فلما فرغوا خرج الشرابي وبين يديه جمع من الخدم وبيده مطالعة في كيس حرير اسود ، فناوله للوزير وجلس الى جانبه ، فقرأها فلم يرتفع صوته فناولها أستاذ الدار فقام وقرأها ، ومضمونها : التأسي والتسلي ، وأمر الوزير بان ينهض الى الديوان ، ويأمر نواب الأعمال بالعدل والانصاف ، ثم ازالة ما أحدثه عمال السوء من المكوس والتقسيطات والمؤن والباولات (١) ، فنهض الوزير وخرج والجماعة في خدمته ، واستصحب حاجب باب النوبي تاج الدين بن

---

١ كذا مافي الاصل .

الدوامي الى داره خوفاً عليه من العوام ، لكونه يتولى أخذ المؤن والنواب فيها من قبله ، وفي أيامه حدثت ، وتقدم بانفاذ الامير فلك الدين محمد سنقر الطويل لحراسة داره « بدرب الدواب » فمضى اليها واحتاط عليها من جميع جهاتها ، ظناً منه أنه قد قبض عليه ، وبالغ في ازعاج اهله واصحابه وخاطب ولده مخاطبة من قد قبض عليه ، فما احس الا وقد خرج حاجب الباب من دار الوزير راكباً وحوله غلمانه وأتباعه فلما رآه بهت خجلا مما صدر منه ، فنفذ حاجب الباب ولده الى الوزير ينهي ذلك ، فنفذ في الحال اليه حاجب المجلس تاج الدولة يحيى بن أبي الرشيد ينكر على الامير فلك الدين مافعله ، وقال له : انك انما انفذت انعاماً في حقه وحراسة لداره من العوام ، وامره بالانفصال فركب ومضى .

وفي هذا اليوم ، تقدم الخليفة باحضار شيخه العدل شمس الدين علي بن النيار فحضر عنده فاكرمه وسلم اليه خزانة (١) الكتب التي لخاصته وامره بالترداد والملازمة ، ثم امر بالاهتمام في امور الحج

---

١ ذكر هذه الخزانة صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق الحنبلي المتوفي سنة ٧٣٩ في مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٦٢ قال : « وفيه خزانتان متقابلتان للكتب ، انشأهما الامام الشهيد المستعصم بالله » والهاء تعود الى بستان .

وكان منقطعاً منذ سنة أربع وثلاثين ، وتقدم بالافراج عمن كان محبوساً بحبس الجرائم ، وليس قبوله حد شرعي .

وفي يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ، تقدم الى كافة أرباب المناصب والولايات والأمرآء الكبار بالركوب الى جامع القصر ، فحضروا دار الوزير أولاً ، ثم توجهوا الى الجامع وصلوا داخل الحطيم ، وأعفي الوزير من الحضور لعجزه ، وخطب نقيب النقبآء بهاء الدين الحسين بن المهتدي ، ونثر عند ذكر اسم الخليفة الف دينار وألف درهم ، عليها اسمه ، تولي نثار ذلك بشير الستري ، وصعد معه علم الدين أبو جعفر بن العلقمي أخو استاذ الدار ، ونفذ الى جامع المنصور ، وجامع المهدي بالرصافة ، وجامع السلطان ، وجامع فخر الدولة بن المطلب ، وجامع بهلنقا (١) ذهباً ودارهم ، نثر ذلك عند ذكر اسم الخليفة ، وكان مبلغ مانفذ الى كل موضع خمسمائة دينار وخمسمائة درهم ، وذكر الخطبآء الأمر بالحج ورغبوا فيه ، وعرفوا الناس أنه قد وقع الشروع في أسبابه .

---

١ في مناقب بغداد ص ٢٣ « استأذن عمر بن بهلقا الطحان في عمارة مسجد القبة من ماله وان يجعله جامعاً فاذن له ، فصليت به الجمعة في منتصف شعبان ، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة .

ذكر من حضر للعزآء والهنآء

في ثامن جمادى الآخرة ، وصل ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وركن الدين يومئذ صاحب سنجار ، فخرج الى لقائه الامرآء وعارض الجيش ، فسلموا عليه بظاهر البلد ، فدخل وعليه ثياب العزآء وقبل العتبة بباب النوبي ، ودخل دار الوزارة فخدم وعزى وهنأ ، ثم خرج ومضى الى دار سكن بها « بدرب صالح » .

ووصل في رابع عشر الشهر ، رسول من بدر الدين لؤلؤ ، ومعه تعزية وتهنئة وثوبان أطلس والف دينار برسم الغاسل .

وفي رجب ، وصل نور الدين أرسلان شاه بن زنكي صاحب شهر زور ، وعليه ثياب العزآء ودخل دار الوزارة ، وفعل كما فعل من تقدم وأسكن دار محمد الموسوي بالمقتدية ، ولما غيرت ثياب العزآء على ما نذكره ، خلع على الجماعة وتوجهوا الى بلادهم .

ذكر تغيير ثياب العزآء

في ثاني شهر رجب ، نفذ مشرف الوزير نصير الدين ابي الازهر احمد بن الناقد في ثلاث جون صحبة عمر بن جلدك ، وحضر معه بشير الستري الظاهري أحد الخدم فلبسه الخلعة ، ثم استدعي الامير مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير المستنصري ، فحضر ودخل راكبا على جاري عادته الى باب الاتراك ، ومضى الى باب الحجرة ، وشرف في الموضع الذي جرت عادة أمير الحج ان يشرف فيه ، فلما خرج متوجها داره ، استدعي الأمير علاء الدين الطبرسي الظاهري وهو الدويدار الكبير الى البدرية ، وجلس في الشريجة ساعة ، ثم استدعي الى موضع خلع عليه ، وخرج متوجها الى دار الخلافة من باب الحرم ونزل عن مركوبه في باب الناني(١) وهو أول من اجتاز في البلد بخلعة في هذا اليوم ، ثم استدعي مؤيد الدين محمد بن العلقمي استاذ الدار الى دار الوزارة ، وكذلك

---

١ قلنا قبل هذا « لعله الباب القائمي » ولكن الوارد بعد باب الحرم « باب البستان »

فخر الدين أبو سعد المبارك بن المخرمي صاحب الديوان ، وفخر الدين محمد بن ابي عيسى ، ونقيب الطالبيين قطب الحسين بن الأقساسي ، ثم اقضى القضاة كمال الدين عبد الرحمن بن الدمغاني ، ونقيب العباسيين بهاء الدين ابن المهتدي ، وحاجب باب النوبي تاج الدين علي بن الدوامي ، ومشرف الديوان قوام الدين علي بن الشاطر ، والعارضان تاج الدين الحسن بن المختار ، وفخر الدين احمد بن الدامغاني وخلع على الجميع ، ثم استدعي الامرآء كشمس الدين قيران الظاهري وحسام الدبن أبي فراس بن جعفر بن ابي فراس ، وعلاء الدين الدكز الناصري ، وشهاب الدين سلمان شاه بن برجم وغيرهم ، فخلع عليهم ، وتقدم اليهم بان يقصدوا باب الحرم ويدخلوا الى باب البستان ، يترقبون خروج شرف الدين اقبال الشرابي ، ثم خلع على الشرابي في حضرة الخليفة ، وقلده سيفين بيده ، وقدم له مركوب من خيل الخليفة في البستان ، فخرج راكبا وبين يديه الخدم بسيوف مشهورة ، فخدمه الامرآء ومشوا بين يدي مركوبه ، فخرج من باب النوبي فلما انتهى الى باب البدرية ، استأذنه علاء الدين الطبرسي الدويدار ، وكان راكبا في آخر الامرآء في العود الى داره

فاذن له وللأمراء ، فنزل علاء الدين وعضده وقبل يده وعاد ، ثم استمرت الخلع في دار الوزير الى آخر النهار على النواب والكتاب والحجاب والحواشي ، ثم نفذت الخلع الى ولاة الاطراف الى بدر الدين سنقرجا زعيم خوزستان ، وصدر ديوانها قوام الدين علي بن غزالة ، والى صدر اربل تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي ، ودزدار قلعتها ، والى زعيم تكريت نور الدين الدكز ، وزعيم دقوقا قطب الدين سنجر السنقري (١) والى ابن المرتضي ناظر الحلة ، وابن حسين ناظر الكوفة .

ذكر واقعة الأتراك

وفي شعبان ، حضر جماعة المماليك الظاهرية والمستنصرية عند شرف الدين اقبال الشرابي ، للسلام على عادتهم ، وطلبوا الزيادة في معايشهم وبالغوا في القول والحوا في الطلب ، فجرد عليهم ، وقال « ما نزيدكم بمجرد قولكم ، بل نزيد منكم من نزيد اذا أظهر خدمة يستحق بها » فنفروا وخرجوا على فورهم الى ظاهر السور ، وتحالفوا

---

(١) تقدم قبل هذا بصورة « المستنصري » لان عائشة أهدته الى المستنصر .

على الاتفاق والتعاضد ، فوقع التعيين على قبض جماعة من أشرارهم فقبض منهم اثنـان وامتنع الباقون ، وركبوا جميعاً وقصدوا باب البدرية ومنعوا الناس من العبور فخرج اليهم مقدم البدرية ، وفتح لهم هذا الفعل ، فلم يلتفتوا اليه ، فنفذ اليهم سنجر الياغز ، فسألهم عن سبب ذلك ، فقالوا « نريد ان يخرج أصحابنا وتزاد معايشنا » فانهى سنجر ذلك الى الشرابي فاعاد عليهم الجواب : أن المحبوسين مانخرجهما وهم مماليكنا نعمل بهم مانريد ومعايشكم مانزيدها فمن رضي بذلك يقعد ومن لم يرض واراد الخروج من البلد فنحن لانمنعه ، وطال الخطاب في ذلك الى آخر النهار ثم مضوا وخرجوا الى ظاهر البلد فاقاموا هناك مظهرين للرحيل ، فبقوا على ذلك أياما ، فاجتمع بهم الشيخ السبتي الزاهد ، وعرفهم مافي ذلك من الاثم ومخالفة الشرع ، فاعتذروا وسألوه الشفاعة لهم وان يحضر لهم خاتم الأمان ليدخلوا البلد ، فحضر عنـد الشرابي وعرفه ذلك ، وسأله اجابة سؤالهم ، فأخرج لهم خاتم الأمان مع الأمير شمس الدين قيران الظاهري ، والشيخ السبتي فدخلوا والشيخ راكب حماره بين أيديهم ،

وحضروا عند الشرابي معتذرين ، فقبل عذرهم ، وكان مدة مقامهم بظهر السور سبعة ايام .

ذكر ركوب الخليفة

في يوم الخميس ، خامس عشر شهر رجب ، ركب المستعصم بالله في شبارة ومعه شرف الدين اقبال الشرابي وعز الدين مرشد الهندي المستعصمي وأصعد في دجلة الى مشرعة الكرخ ، وعاد منحدراً الى باب الأزج ، ثم عاد الى داره ، ثم ركب يوم السبت سابع عشر الشهر على الخيل ، وتقدم الى جميع من كان يركب مع والده بالركوب معه ، وقصد دار الحريم ودخل الرباط ، ثم تكرر ركوبه فلم يدع صالحاً ولا ولياً الا زاره ، وقصد مشهده ، ولا رباطا منسوبا اليهم ولا مدرسة الا تردد اليه وشاهده ، وقصد المدرسة المستنصرية يوم الجمعة سابع شعبان ومعه الشيخ شمس الدين علي بن النيار واعتبر خزانة الكتب التي بها ، وانكر عدم ترتيبها ، ووكل

بالنواب يومين ، ثم افرج عنهم ، وفي ذي القعدة ركب الى المحول ودخل السمكة (١) وهو بستان للشرابي .

ذكر نقل المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة الى التربة بالرصافة (٢)

في ليلة الجمعة حادي عشر شعبان ، ارادوا نقله ، فهبت ريح عاصفة منعت من ذلك ، فقال جمال الدين ابو الحسن علي المخرمي ارتجالاً :

تحركت الرياح الهوج لما * أرادت كعبة الجود ارتحالا
وقالت : من يعلمني سخاء * اهب به ويغمركم نوالا ؟
فقلت لها : خليفته المرجي * امام العصر ، فانقلبت شمالا

فنقل في ليلة السبت ثاني عشريه الى موضع كان قد أعده لنفسه مدفناً ، وبنى عليه قبة ، وكان صورة نقله : أن تقدم الى كافة الزعماء ماعدا أصحاب الشاد والمماليك ، وكافة مشايخ الربط والصوفية والفقهاء والمدرسين ، ماعدا مدرسي المستنصرية والنظامية ، بالتوجه

---

١ كذا مافي الاصل ، والمحول : كانت محلة منفردة اذ ذاك بالجانب الغربي .
٢ راجع خلاصة الذهب ص ٢١٣ . والرصافة كانت بلصق مقبرة الامام الاعظم على ماذكره ياقوت في معجم البلدان .

على طريق ، الى مشرعة الرصافة ، وتقدم الى من عداهم أن يقصدوا
دار الخلافة بغير الطريق ، وأن يرفع القضاة والمدرسون الطرحات
والعدول الطيالسة ، وارباب العذر عذرهم ، وأصحاب الشاد مشادهم
ويركب الزعماء بالأقبية البيض والسرابيش ، وأرباب الدولة كل
واحد منهم بقميص أبيض وبقيار أبيض مسكن وغاشية ..
فركبوا وقصدوا دار الوزارة ، ماعدا مجاهد الدين الدويدار الصغير
وعلاء الدين الدويدار الكبير ، واستاذ الدار مؤيد الدين محمد بن
العلقمي ، فلما تكمل من عدا هؤلاء في دار الوزارة ، تقدم اليهم
بقصد دار الخلافة والدخول بباب عليان الى صحن السلام ، فمضوا
هناك قبل غروب الشمس ، واما الوزير ابن الناقد فانه خرج في
محفة ودخل من باب الساني (١) ، ثم قصد هؤلاء كلهم دجلة ، فخرج
الصندوق الذي فيه الخليفة ، فلما عاينوه قبلوا الارض ، وأعلنوا
بالبكاء ، ثم حط في شبارة طويلة ، يجذف فيها خمسة عشر ملاحا ،
في صدرها قبة مجللة بسجاف أطلس اسود ، ونزل فيها الشرابي
واستاذ الدار وابن درة المعمار ، فوقفوا بين يدي الصندوق ، ولم

---

١ كذا ورد : وقد تقدم توجيهه .

ينزل الوزير لعجزه عن القيام ، ونزل جميع ارباب الدولة والامرآء في سفن قياماً ، بين ايديهم شموع كبيرة ، فلما وصلوا الى مشرعة الرصافة ، رفع الصندوق على الرؤوس وامتد الناس كلهم بين يديه الى التربة ، فدفن رحمه الله في الموضع الذي أعده ، ثم فرقت الربعة الشريفة وقرئت ، وأهديت له ، وانصرف الناس قبيل نصف الليل ، ثم ترددوا الى التربة يوم الأحد ويوم الاثنين ، في كل يوم تقرأ الختمة ، ويتكلم جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي ، ويدعو العدل شمس الدين علي بن النسابة ونقيب النقباء ونائبه .

ذكر الاهتمام بأمور الحج

في شهر رمضان ، تقدم الى صاحب الديوان فخر الدين أبي سعد المبارك بن المخرمي : أن يهتم بأمور الحج واعادته على أجمل قواعده وكان قد انقطع منذ سنة اربع وثلاثين وستمائة ، فعين على شخص يعرف بابن المحسن ، وتقدم اليه أن يمضي الى الآبار التي في طريق مكة وينقيها ويصلحها ، ورتب عليه مشرف يعرف بابن ورخز ،

ونفذ معهما جماعة من الرجال والأجناد ، وعزل الأمير حسام الدين
أبو فراس بن جعفر بن ابي فراس عن امارة الحج ، ورتب عوضه
الأمير سيف الدين كيكلدي الناصري ، ووقع التعيين على السبلدارية ،
فرتب أبو القاسم بن كلالة التاجر في سبيل الخليفة المستعصم بالله
ويعرف « بسبيل الفقير » وجعل السراج عمر بن بركة الهزقلي
مشرفاً عليه ، ورتب في سبيل المستنصر بالله ، الشيخ عماد الدين
محمد بن الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، وجعل عليه مشرفاً
أحمد الحربوي ، وعين سبيل للخليفة الظاهر بامر الله ، وسبيل
لابنه الخليفة المستنصر بالله ، وسبيل لوالده الخليفة الناصر لدين الله
وعين لكل سبيل من يتولاه ورتب مشرفه ، فلما وصلوا قريباً من
وادي محرم خرج عليهم عمير بن قاسم العلوي امير المدينة في خلق
كبير من العرب ، وحال بينهم وبين الماء ، وطلب منهم مالاً
واشتط في الطلب ، وتهددهم في المحاربة ، وطال الحديث بينهم وبينه
واقتتل اطرافهم مع اطراف الحاج ، وقتل من الفريقين قوم
وجرح آخرون ، فاستظهر الحاج عليهم ، ولما رأى عمير القهر
والغلبة راسل أمير الحاج وطلب منه الأمان ، واعتذر واعترف

بالخطأ ، ونفذ أخاه بالسيف والكفن نيابة عنه ،فقبل امير الحاج عذره ، فرحل حينئذ قاصداً المدينة وسار الحاج بعده .

ذكر الفتنة ببغداد

سأل جماعة من شبان المحال أن يؤذن لهم في الخروج الى قتل السباع ، فاذن لهم جرياً على العادة القديمة في ايام الخليفة الناصر لدين الله ، وانعم عليهم بشيء من البر ، فاجتمع من كل محلة جوق ، وخرجوا مجتازين في عمود البلد ، وبين يدي كل جوق اللعابة بالدفوف والزمور والمغاني وسائر الملاهي ، فجاء قوم من رجال المأمونية ليجتازوا في باب الأزج، فمنعهم اهل باب الأزج ان يعبروا عليهم وسيوفهم مشهورة ، فساعدهم نائب باب النوبي محمد بن عبدالجبار ، فضربوه بالآجر واخذوا عمامته ، واقتتل الفريقان حتى قتل منهم جماعة من النظارة والمقاتلة ، ونهبت دكاكين ودور كثيرة ،وجاء عماد الدين طغرل شحنة بغداد ، ومعه عدة من الأجناد ليكفهم ويمنعهم ، فما رجعوا ولا امتنعوا ، وكان ابتداء المصاف من

عقد المصطنع الى راس درب النفاطين ، ودام القتال واشتد ، فنفذ من الديوان عسكر ملبسين بالعدد فقاتلوهم ومنعوهم ، بعد ان قتل من الفريقين جماعة ، وتفاقم النهب وخربت عدة دور من المأمونية ، ونهب مافيها وسبي نساء ، وفي ليلة الخميس من شوال ، بات جماعة العسكر ممتدين من باب النصر الى تحت منظرة باب ام ع (١) خوفاً من وقوع فتنة في الليل ، واستمر مبيتهم هناك عدة ليال وملازمتهم تهدداً ومع ذلك لم يمنعوا ولانهوا عن الخروج ، فخرج جوق سوق المدرسة (٢) وبين أيديهم الحاكون والمغاني وغير ذلك ، وكذلك أهل « قراح ظفر » وأركبوا بين ايديهم شخصاً على ثور جعلوه أميراً ، وشهروا بين يديه السيوف الكبيرة ، وجعلوا خلفه الاسلحة (؟) وصاروا يتناولونه القصص ، فيتأملها ويجيب عليها (٣) بألفاظ مضحكة وكذلك جوق سوق السلطان ، وزاد الأمر ذلك وعظم حتى صار تخرج النساء حواسر الى غير ذلك مما لايجوز ، ويعقب ذلك ، وقوع

---

١ هو باب الحلبة ذكر ياقوت « منظرة الحلبة » وقال « وهي منظرة محكمة البنيان في وسط السوق في آخر محلة المأمونية » فهي موافقة لما ذكره المؤرخ

٢ هي المدرسة النظامية وهي السوق التي قتل فيها الطغرائي « الوفيات : ١٧٨ » والمناقب « ص ١٧ »

٣ أي يوقع فيها ، ولولا ذلك لقال « يجيب عنها » .

فتنة أخرى بين أهـل « المختارة » و « سوق السلطان » وقتـل بينهما جماعة ، ثم خرج جوق محلة « القرية » (١) بالجانب الغربي ، وارادوا الاجتياز بمحلة « قطفتا » فمنعوهم وجرت بينهم فتنة عظيمة وقتل فيها جماعة ونهب « سوق القنطرة » ، وعبر الشحنة وحاجب باب النوبي وجماعة من العسكر ، فكفوهم ومنعوهم من الخروج ومنعوا اهل سائر المحال أيضاً .

عدة حوادث

في شعبان ، تقدم الى جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ان يجلس للوعظ بباب بدر ، ورتب العـدل شمس الدين علي بن النيار شيخاً لرباط الحريم وخلع عليه ، وتقـدم بالافراج عن جميع المسجونين في حبس الشرع ، بعد أن يرضى غرماؤهم بالمصالحة على ديونهم .

١ بالتصغير قال ياقوت : « محلة كبيرة جدا كالمدينة من الجانب الغربي من بغداد مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية »وفي رحلة ابن جبير من المحلات « فاكبرها القرية . وهي التي نزلنا فيها .بربض منها يعرف بالمربعة على شط دجلة بمقربة من الجسر » ص ٢٠٣

وفيها ، توفي محمد بن عبد اللطيف بن التماويذي ، كاتب الحلة يومئذ بها ، وكان كاتباً جيداً ، حسن الكتابة ، كيساً متواضعاً ، خدم في عدة خدمات ، وكان كثير النكبات ، وكان ذا فضل ، يقول شعراً جيداً ، سأله بعض اصحابه أن يقول عن لسانه أبياتاً يسأل فيها التخفيف عن أجرة دكانه وكان بزازاً ، فقال :

يا شرف الدولة أحسن كما * قد خصك الله باحسانه
فالعبد مامرت به شدة * أصعب من أجرة دكانه
فاشفع له عند امام الهدى * متعه الله بسلطانه
لتؤخذ الأجرة منه كما * تؤخذ من سائر جيرانه
أولا فخوله وقل حانقاً : * قد مات منه بعض سكانه

وفيها ، رتب شرف الدين عبد الله بن النيار ناظر ديوان المقاطعات ورتب عمه شمس الدين الحسين وكيلاً لوالدة الخليفة المستعصم بالله وخلع عليه ، وفي ذي القعدة ، رتب فخر الدين أبو طالب أحمد بن الدامغاني مشرفاً على صاحب الديوان فخر الدين أبي سعد المبارك بن المخرمي عوضاً عن نجم الدين علي بن الشاطر الانباري ، وانحدر الى واسط وأخذ معها الأمير نصرة الدين لح (١) أرسلان الناصري ،

١ كذا ورد : ولعله « قليج » أو كنج ،

لاجل تحصيل البقايا والحث على الحمول ، ورتب الأمير حسام الدين أيبك العراقي شحنة واسط ، عوضاً عن نائب حسام الدين ابي فراس جعفر بن ابي فراس ، ورتب الامير فلك الدين محمد بن سنقر الأمس (؟) المعروف بوجه (١) السبع شحنة البلاد الحلية ، عوضا عن الامير جمال الدين آي أبه الماردیني .

وفيها ، توفي محمد الزاهد المعروف بالعلياتي ، كان زاهدا عابداً يلتقط القراطيس المنبوذة مما عليه اسم الله تعالى ، ويتكلم على الناس بكلام شديد فصيح ، وله قبول تام وعنده معرفة بالحقيقة وكلام أهل الطريقة ، وله شعر جيد . منه :

سلم الله على هذا المحيا * انه عندي مفدى ومحيا
ياحبيبي أنت لي كل المنى * لست أبغي غير قربي لك شيا
واذا ماصح لي منك الهوى * لم أرد أهلاً ولا ربعاً وحيا
طيب أنفاسك قد يسكرني * فاعزل الريحان عنا والحميا
رمت أن تقتلني اذ نظرت * لي عيناك لقد اصبحت حيا

---

١ يراجع عن سنقر وجه السبع : الكامل « ١٢ : ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٧٥ » والسنون الضائعة .

ومنه :

ولقد شربت الراح من راووقها * لا من زجاجتها ولا ابريقها

وطفقت في الحانات أسعى لا أرى * أحداً له علم بطرق طريقها

وصحوت حين شربتها من سكرتي وعلمت ان الصحو شرب رحيقها

والسكر قد أخذ الرجال وطوحت * بهم المدام تروم أخذ حقوقها

ومنه :

اذا عقدت يد الأغيار عقدا فلي في حل ذاك العقد عقد

وقالوا : قد وجدنا منك هذا فان وجود ماوجدوه فقد

واني والذي أبديه قولاً ورآء الموت سر ليس يبدو

وتطربني المثالث و المثاني ولي في زهدكم والله زهد

وكان ظاهر الفقر خشن العيش لا يقبل من احد شيئاً ، وابتلي بمرض مؤلم ، فصبر عليه حتى توفي ، وقد جاوز الستين ، ودفن في مقبرة معروف رحمه الله تعالى .

وفيها ، اتصل خروج الموكب في عيد الفطر الى الليل وصلى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاءً ، ولم يذكر سبب ذلك .

وفيها ، توفي الامير ابو المظفر باتكين (١) بن عبدالله الرومي .

١ تقدم ذكره كثيرا . ويراجع لاخباره شرح ابن ابي الحديد ٢ : ٢٧٠ و

الناصري ، كان مملوكاً لعائشة ابنة الخليفة المستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية ، واشتغل بالعلم وحفظ القرآن المجيد ، وخدم جنديا وأقام بتكريت مدة ، ثم سلمت اليه البصرة بحربها وخراجها ، فأقام بها ثلاثا وعشرين سنة ، فعمرها وجدد مدارس كانت بها قد دثرت وأنشأ مدرسة للحنابلة ، ولم يكن يعرف بالبصرة لهم مدرسة ، وعمل مدرسة يقرأ فيها علم الطب ، وعمر مارستانا كان قد خرب وتعطل ولما احترق جامع البصرة في سنة أربع وعشرين وستمائة ، واستهدم معظمه ، أعاد عمارته وأحضر حجارة اساطينه من جبل الأهواز ، وجلب له الخشب الصنوبر والساج من البحر وشيراز ورحبة الشام وأنشأ رباطا متصلاً بالجامع ، ورباطا آخر قريبا منه ، وأسكن فيهما جماعة من الصوفية وبنى في دهليز الجامع حجرتين ، جعل في احداهما كتبا ووقف في جميع المدارس كتبا وانتشر العلم في زمانه ، وكان العلماء وغيرهم يقصدونه من جميع الآفاق فرفدهم ، وبنى على قبر طلحة بن عبيد الله بنيانا حسنا ، وجعل فيه الفرش والقناديل ،

« ٣ : ٣٨٢ » والوفيات « ١ : ٤٣٦ » والكامل « ١٢ : ١٧٥ » وقد ورد فيه بصورة « منكبن » .

وكذلك على قبر الزبير بن العوام ، وبنى سوراً على بني مازن وسوراً على المدينة محكما بالأبواب الحديدية ، وجدد في البصرة الخانات للبز ، وغير ذلك وأحسن السيرة في أهلها وبالغ في السياسة ، ولما ملك الخليفة اربل استدعي من البصرة ونفذ اليها واليا عليها حرباً وخراجاً ، فاطلق معظم الضمانات وأزال المكوس والضرائب وأسرع في اصلاح السور ، وحفر الخندق ، وكان مع هذا متعبداً كثير التلاوة للقرآن والمذاكرة في العلوم والسير والتاريخ والأخبار والاشعار ، وله نظم حسن ، منه ماقاله : حين قتل بنو معروف(١) بتل المقير(٢) في بطائح واسط ، وكان حاضرا للوقعة وقد تقدم ذكرها (٣) :

ياوقعة شفت النفوس وغادرت	تل المقير مابه من غابر
وسقت « بني المجهول » كأساً مرة	تركت مواردهم بغير مصادر
جحدوا أيادي للخليفة جمة	فأرام عقبى الجحود الكافر
وتوهموا أن المقير معقل	متمنع من كل ليث خادر

١ وجد هذه الحادثة يعقوب سركيس البحاث في « ١٢ : ١٤٧ » من كامل ابن الاثير ونقلناها في السنين الضائعة » وكذلك قتلهم سنة « ٦١٧ » .

٢ قال ابن الاثير « هو تل كبير بالبطحة بقرب الغراف » قلنا : ولايزال معروفاً بالمقير من مدينة أور القديمة ، ونرجح انه ذو قار المشهور في التاريخ .

٣ هذا دليل ثان على نقص التاريخ فانها حدثت سنة ٦١٦ .

فرماهم القدر المتاح باسهم * تركت ربوعهم كرسم داثر

ولم يزل مقيماً بإربل الى ان هجم عليها عسكر المغول وحصروها ودخلوها عنوة وأخربوها واحرقوها، ثم بلغهم توجه عساكر الخليفة ففارقوها ثم عادوا في العام المقبل ففارقها حينئذ باتكين، وقصد بغداد ولزم داره معزولاً، الى أن توفي، ودفن في الشونيزي وقد بلغ الثمانين.

وفيها، توفيت عائشة ابنة الخليفة المستنجد بالله المعروفة بالفيروزجية وكانت صالحة مسنة بكراً، رأت عدة من الخلفاء: أباها المستنجد بالله وأخاها المستضيء وابن أخيها الناصر وابنه الظاهر وابنه المستنصر ثم ابنه المستعصم، وقيل انها قربت الثمانين، وبنت ببغداد رباطاً يعرف بها.

سنة احدى وأربعين وستمائة

وفيها، تقدم الخليفة الى جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي المحتسب (١) بمنع الناس من قرآءة المقتل في يوم عاشوراء والانشاد

---

١ المحتسب: هو صاحب الحسبة وهي عندهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس كافة.

في سائر المحال بجانبي بغداد سوى مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام.

وفيها ، صرف رضي الدين علي بن المخرمي من نيابة ابن عمه فخر الدين أبي سعد المبارك بن المخرمي صاحب الديوان ، ورتب مشرفاً بديوان ازبل ورتب عوضه العميد علي بن عبد الرزاق .

وفيها ، حفر لميت في الشهداء بمقبرة « باب حرب » فوجد الحفار جرة مملوءة دراهم يونانية ، ومما ضرب في الاسلام بالمدينة صلوات الله على ساكنها ، فاحضرها الحفارون الى المحتسب ابن الجوزي فمضى بها الى دار الوزير فتقدم اليه بالمضي الى هناك واعتبار الحفر فمضى ، وحفروا حوله فوجدوا جرة اخرى ، كان بها نحو عشرة آلاف درهم .

وفيها ، أمر الخليفة بعمل خزانة للكتب في داره ، وكتب على جهاتها اشعار : منها مانظمه صفي الدين عبد الله بن جميل متقدم شعراء الديوان .

أنشا الخليفة للعلوم خزانة	سارت بسيرة فضله اخبارها
تجلو عروساً من غرائب حسنها	در الفضائل والعلوم نثارها
أهدى مناقبه لها مستعصم	بالله من لألائه انوارها

وفيها ، انهي ان أحد زعماء اربل كوي امرأة في فرجها فتقدم باعتماد الشرع في ذلك ، فسطرت فتيا فافتى الفقهآء بان تقدر أنها امة وتقوم في حالة الصحة ، وبعد حدوث هـذا العيب ، فقومت صحيحة خمسة وعشرين ديناراً ونقص بسبب الكي من قيمتها الثلث فنسب ذلك الى ديتها وهي خمسمائة دينار ، فاخذ من الزعيم هذا المبلغ وسلم الى المرأة ، وتقدم بحبس الزعيم .

وفي سابع عشري رجب المبارك ، قصد الخليفة زيارة مشهد موسى ابن جعفر عليـه السلام ، وكان يوما مطيراً ونزل عن مركوبه من باب سور المشهد ، وانحـدر في رابع عشر شعبان الى زيارة سلمان الفارسي رحمه الله .

وفيها ، نفذ محيي الدين يوسف بن الجوزي رسولاً الى ملك الروم كيخسرو بن كيقباذ ، فاجتمع به في أنطاكية (١) فلما عاد حـكى اشيآء غريبة ، منها : ان النسآء يتعممن كالرجال والرجال يلبسون السراقوجات ، وعمائم النساء تختلف في الكبر والصغر لأن

١ لعلها « انطالية » فهي من بلاد الروم اذ ذاك . اي آسيا الصغرى .

للمرأة اذا جاءت بولد واحد تعممت بعمامة طولها ستة أذرع ، وكلما جاءها ولد زادتها ستة أذرع ، وذراعهم ذراع ونصف بذراع بغداد

ومنها : أن مدينة انطاكية ليس بها دار بسطح مسطح بل مسنم كالجمل جميعه ميازيب لكثرة تواتر الغيوث ، وحكى : ان هناك ماء ينبع من عين وعليه شرر النار لايزال كذلك ، وحكى أن انسانا خرج من الحمام في مدينة قونية في زمن الشتاء فجمدت لحيته ، ثم زلق فانكسرت فذهبت قطعة منها .

وفيها ، زادت دجلة زيادة مفرطة ، غرقت مواضع كثيرة ونبع الماء في المدرسة النظامية ودخل بيوتها ، وكذلك ماجاورها وخرب محلة (١) كان استجدها الغرباء من الجند بظاهر سور سوق السلطان وراء جامع المدينة ، وانتقل أهلها الى وراء السكر ، وصليت الجمعة على طرف الخندق مما يلي دار المسناة (٢) ، وانزعج الناس فخرج تاج الدين بن الدوامي حاجب باب النوبي الى باب كلواذى (٣) ،

---

١ تقدم في حوادث سنة ٦٣٧ من هذا الكتاب : انها تزيد على الف موضع .

٢ فاتنا ان نذكر ورود « دار المسناة » أي قصر القلعة الحالي ، في تاريخ الحكماء للقفطي ص ١١٧ ، بناها الناصر لدين الله ووقف فيها خزانة كتب .

٣ هو الباب الشرقي اليوم ، وقد عمل كنيسة للانجليز البروتستنت .

وأحكم العسكر وبات عليه ، فمن الله تعالى بنقيصة الماء تلك الليلة .

وفيها ، زلزلت الارض بجانبي بغداد ثلاث مرات ، ولم تهدم موضعا ولا آذت مخلوقا ، وكان ذلك في ثاني شوال ، فعمل جماعة في ذلك أشعارا يعرضون بالعيد وكثرة العالم ، ويجعلون ذلك هو السبب ، فمن أنشد في ذلك لنفسه ، مجد الدين حسين بن الدوامي :

أقول وجيش امام الهدى   تبدت سراياه والزحف بادي
اذا كانت الارض قد زلزلت   فكيف تكون قلوب الأعادي

وأنشد ايضا :

هذا الامام أدام الله دولته   له من الجود ما يغنى بأيسره
عم الأنام ندىً في العيد نائله   وارتجت الارض خوفا من عساكره

وفيها ، خلع على أمير الحاج مجاهد الدين أبي الميامن ايبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير في دار الخلافة ، وخرج فنزل في تربة والدة (١) الخليفه الناصر لدين الله ، وخرجت والدة الخليفة المستعصم بالله منحدرة في شبارة الخليفة الى درزيجان (٢)

١ هي زمرد خاتون ، توفت سنة ٥٩٩ ابن الاثير ١٢ : ٧٧ والخلاصة ص ٢٠٧

٢ كانت قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة في الجانب الغربي « معجم البلدان »

متوجهة الى الحج وخرج الخليفة لأجل وداعها ، فلما نزل السرادق نثر عليه الشرابي ذهباً كثيراً ، ولم يكن قبل ذلك سافر سفراً نزل فيه مخيما ، ولما وصل الحلة ودخل الدار التي على شاطئ الفرات نثر عليه الشرابي ذهباً كثيراً ، ثم توجه الى الكوفة ودخل جامعها وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وزوره محمد بن كتيلة العلوي ، فلما توجه الحاج ، ودع الخليفة والدته وعاد الى بغداد .

وفيها ، توفي الناصح اسماعيل بن عبدالرحمن بن الزبيدي ، كان رجلاً صالحاً ، كثير التلاوة للقرآن المجيد ، يدعو في البسطة عقب الختمة بالمدرسة النظامية ، وكان يغلب عليه سلامة الصدر وربما وعظ في الأسواق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، قيل له : قد فرش في مسجد قرية زلية في وسطها جامات مكتوب فيها « الملك لله » فمضى الى قاضي القضاة ابن مقبل ، وطلب منه ازالة ذلك فقال له : هذا المسجد أمره مردود الى شمس الدين أحمد بن الناقد وكيل الخليفة ، فمضى اليه وقال له في ذلك ، فلم يلتفت اليه ، فخرج على فوره ، ومضى الى الخليفة ، وكان في ناحية الصالحية (١)

---

١ ذكر الخطيب البغدادي في « ١ : ٩٧ » من تاريخه « الصالحية : لصالح المسكين »

بنهر عيسى لأجل الصيد ، و كان الزمان شاتياً ، فوصل اليه ليلا فقرأ شيئاً من القرآن المجيد ، فلما سمع صوته أنفذاليه من سأله عن حاله ، فذكر ماعنده ، فتقدم الى الوكيل بازالة ذلك وانكر الحال عليه ، ثم سئل هل حاجة غير هذا ؟ فقال : لا . وعاد على فوره والبرد شديد ، وله حكايات كثيرة تدل على الساذجية .

وفيها ، توفي الامير حسام الدين أبو فراس محمد بن أبي فراس ، كان موصوفاً بالشجاعة ، لم يزل منذ كان شابا أميراً مقدما وزعيماً محترما ، ولي شحنكية البلاد الواسطية والبصرية مرتين في الايام الناصرية والمستنصرية ، وحج بالناس ثلاث عشرة حجة ، وفارق الحاج سنة احدى وعشرين ، وقصد الملك الكامل صاحب مصرفتلقاه بالقبول وجعله مقدماً على أمرائه ، فلما بلغه القبض على الوزير القمي وعزله في سنة تسع عشرين عاد الى بغداد ، فخلع عليه وأعيد الى زعامته وولي امارة الحاج ، فلما توفي جمال الدين قشتمر ، سأل ان يكون عوضه في التقدم على العساكر لعلو سنه ، فلم يجب الى ذلك فامتنع من الركوب في الأعياد ، وكان يخرج موكبه وفيه ولده نيابة عنه ولم يضجر في حقه بسبب ذلك ، حفظاً لقلبه ، ولم يزل على ذلك

الى أن توفي .

وفيها ، توفي الملك الجواد سلمان بن مودود بن الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب ، كان لما توفي عمه الملك الكامل أبو المعالي محمد ابن العادل بدمشق ، ملك الجواد دمشق ، ثم سلمها الى ابن عمه الملك الصالح أيوب ابن الكامل مقايضةً بسنجار فأقام بسنجار مدة ، ثم استفسد بدر الدين لؤلؤ صاحب للموصل جماعة من سنجار (١) ، فتواطؤا على المخامرة عليه وتسليم البلد الى ولد بدر الدين لؤلؤ ، فلما تحقق ذلك خرج من سنجار قاصداً بغداد ، فاكرمه الخليفة واقام ببغداد مدة ، ثم سأل ان يؤخذ منه «عانة» ويعوض عنها شيئاً من المال فاجيب سؤاله ثم فارق بغداد وتقلبت به الاحوال فاتفق تارة مع الخوارزمية وحارب اهل حلب ، ثم قصد اولاد عمه بالشام فنزل عندهم ثم فارقهم ، وكان غير محمود الطريقة ، فتوفي وقد تجاوز الستين .

---

١ نقل المؤلف في حوادث سنة ٦٣٧ انه باع سنجار ولم يسلمها .

سنة اثنتين واربعين وستمائة

فيها ، تقدم شرف الدين اقبال الشرابي الى وكيله عز الدين حسين بن عبدوس بالمسير الى واقصة ، ليلقى والدة الخليفة المستعصم عند عودها من مكة ، وانفذ معه تسعين جملاً عليها تشريفات وحلواء وحوائج وغير ذلك ، ثم تقدم الى صدرية المخزن فخر الدين محمد بن أبي عيسى الشهرابانى ومشرفه عميد الدين منصور بن عباس الدجيلي بالتوجه أيضا ، وان يستصحبا ما أعداه من الاقامات ، فتوجها فلقيا الحاج في منزل القادسية ، وعزم الخليفة على التوجه الى الكوفة للقاء والدته ، فعرض له مرض منعه عن ذلك فتقدم الى كافة ارباب المناصب بالخروج الى « فراشا » فخرجوا ماعدا الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد لعجزه بسبب مرضه ، فساروا الى زريران (١) فوجدوا السرادقات بها ، فكان كل من الجماعة ينزل على بعد ويستأذن في الحضور فيؤذن له ، فاذا حضر قبل الأرض بباب السرادق فيخرج أمين الدين كافور الظاهري ، ويقول له : قد عرفت خدمتك ، أوما

١ زريران : قرية بينها ، وبين بغداد سبعة فراسخ « المعجم » .

هذا معناه ، ويأذن له في العود ، ونزلت والدة الخليفة في الليل الى الشبارة وأصعدت الى بغداد بعد أن خلعت على الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار أمير الحاج ، وأمرت له بخمسة عشر ألف دينار ، وعلى حسن الدين قيران وامرت له بالف دينار ، فلما ترك الحاج بظاهر التربة ، بالجانب الغربي ، نفذ شرف الدين عبد الله ولد تاج الدين عبدالله بن النيار وكيل والدة الخليفة ، والعدل ضياء الدين عبد (١) الوهاب بن سكينة الخازن وابن بكران نائب الوكيل ، وضربت لهم خيمة خلف التربة ، وخلعوا على كل من كان في خدمتها من النواب والأتباع والفراشين والمحفدارية والجمالين والسقائين والحداة والساقة والنفاطين والحراس ، وحكي أن فخر الدين بن المخرمي صاحب الديوان حمل اليها من البصرة ستة عشر جملاً عليها حلواء واقراص ماء الليمون ومخلط ، وبسر مطبوخ وماء الورد والخلاف وقشر الطلع وشربات ومراكن وليمو أخضر واترج وتفاح وكمثرى وخوخ ونارنج ورمان وعنب وباذنجان وماء الليمو

١ في نفح الطيب المقري « ١ : ٨٩١ » وطبقات الشافعية الكبرى ٥ : ١٣٦ - انه توفي سنة ٦٠٧ فهذا غير ذاك اذن .

والحصرم وخل العنب مصعداً وغير مصعد وحصر بصرية وسجادة رفيعة ، وصل ذلك الى منزل الثعلبية ، وحيث تأخر المستعصم بسبب مرضه عن الركوب للقاء والدته ، أتفق انه تقدم الى مقطع اللحف (١) بالخروج الى نواحي الجبل لمهم تجدد ، فانزعج الناس لذلك ، وكثرت الأراجيف وتواقعوا على شرآء الخبز والكعك والدقيق ، بحيث غلا السعر ، فانتهى ذلك الى الديوان فتقدم بأخذ جماعة من الخبازين وضربهم ، فسكن الناس حينئذ ، ثم ركب الخليفة في دجلة ، وأصعد الى اعلى البلد ، وعاد ، وزين البلد بالتعليق والمغاني فرحاً بعافيته ، ونظم الشعرآء في ذلك أشعاراً كثيرة ، منها ما انشده مجد الدين محمد بن شرف الدولة بن مسافر لنفسه :

لقد عم آفاق البلاد سرور　　وصحت أمان للورى ونذور
وكادت قلوب المسلمين مسرة　　ببرء أمير المؤمنين تطير
وكلاً تراه مسفر الوجه ضاحكا　　تلوح عليه غبطة وحبور
فلا ثغر الا قد تبسم ثغره　　وصار اليه بالهنآء بشير

---

١ هو صقع من نواحي بغداد سمي بذلك لانه في لحف الجبال من همذان ونهاوند وتلك النواحي وهو دونها مما يلي العراق ، منه بندنيجين ، وغيرها، وفيه عدة قلاع « المعجم ».

على كل وجه بهجة وطلاقة | وفي كل قلب فرحة وسرور
أنارت نجوم المكرمات وأشرقت | وحلي جيد للعلى ونحور
وقد سر لما أن تجليت للورى | كثير تمام منبر وسرير
فبشرى أمير المؤمنين بصحة | تصح بها للعالمين أمور

وهي طويلة ، وتقدم الخليفة بصائنة غرماء المحبوسين في حبس الشرع وأداء ما عليهم والافراج عنهم ، وأبرز برسم الصدقات شيئاً كثيراً ، وفي هذه الأيام أغري الناس بعدو السعاة في سائر محال بغداد .

وفي هذه السنة ، سارت طائفة من عساكر المغول الى ميافارقين فلما بلغ صاحبها شهاب الدين غازي قربهم منه ، فارقها ، فعاثوا في ديار بكر أشد العيث ، واخذوا احران والرها ، وملكوا ماردين صلحاً .

وفيها ، فقد بعض التجار ببغداد ابنتيه وجاريتين له وخمسة آلاف دينار وجملة من زركش ومصاغ ، فانهي ذلك الى حاجب الباب ، ففحص عنه ، فأسفرت الحال على أنه كان يجاوره شابان من اولاد الترك وقد اتفقا مع النساء على فتح باب من دارهما في خزانة بدار التاجر ، وكانوا يجتمعون مدة ، فوجد احد التركيين ، وقرر فأقر بذلك

وذكر أن رفيقه والنساء في دار بعض ركابية الخليفة ، فكبست الدار فلم يوجد فيها غير نساء صاحبها ، فوكل بهن فلما صار المغرب جاء تركي ، فدخل الدار فقبض عليه الموكلون وظنوا انه أحد التركيين المطلوبين ، فاذا هو احدى البنات ، فحملت الى دار الوزارة فأقرت أن اختها والجاريتين في دار قوم من العجم ، فكبس عليهم فوجدوا الأبنة الأخرى والجاريتين ، ولم يجدوا المال ولا التركي الآخر ، فسلمت الابنتان والجاريتان الى التاجر ، وامر بحبس التركي وصاحب الدار التي كانوا فيها ، ومؤاخذة ركابي الخليفة وابعاده .



سنة ثلاث وأربعين وستمائة

ذكر ترتيب الوزير مؤيد الدين

محمد بن العلقمي (١)

في آخر نهار الاثنين ثالث عشر صفر ، استدعي جمال الدين علي المخرمي اخو فخر الدين ابي سعد المبارك بن المخرمي صاحب الديوان وكان يأتيه الى دار الوزير ، فقبض عليه ونفذ الى اخيه من شافهه بالعزل ، واستظهر علي داره ووكل بدار أخيه المذكور ، وقبض على اخيه شمس الدين عبدالرحمن ، وكان مريضاً ، ثم قبض علي حاجبيه الفخر بن دلال والشمس بن الصياد ، وعلى الأسباسلار بن الشمحل ومن الغد سلم جمال الدين علي الى عميد الدين بن عباس مشرف المخزن ، وفي ليلة الأربعاء خامس عشر الشهر ، أخرج فخر الدين

---

١ هذا العنوان لاخبر له : مما يدل علي ضياع شيء من اخبار الكتاب .

صاحب الديوان من داره بالمطبق (١) ومعه ولده كمال الدين محمد وحملا الى دار ابن عباس أيضا ، فوكل بهما عنده في حجرة قريبة من داره بدرب المطبخ ، ثم طلب من فخر الدين أن يكتب خطه بمبلغ من العين ذكر له مراسلة ، فامتنع وأبي أن يكتب خطه الا بأن يذكر جميع مايملكه وأخواه وأهله ولا يخفي من ذلك شيئا واقسم على ذلك بالأيمان المعتبرة شرعا وعرفا ، فاقتنع منه بذلك ، ثم نفذ الى داره من اعتبرها فلم يجد بها طائلا ، ووجد من الذهب مقدار مائة دينار ، وذكر أن بعضها وديعة ليتيم عنده ، ثم وقع الشروع في بيع ما كان في دورهم ووقع الاقتناع منهم بذلك ، ونقل فخر الدين وولده كمال الدين الى دار بالقصر من دار الخلافة ، وجعل معه من يحفظه من جانب عميد الدين بن عباس ، ولم يلق أحد منهم بكلمة سيئة ولا نيل بمكروه ، كما جرت العادة في من يقبض عليه ويراد استئصاله ، وهذا انزل على كمال الدين المعدلة وخفة الوطأة :

ومن يك في سخطه راضيا   فكيف يكون اذا مارضي

---

١ تقدم ذكره وهو طريق تحت وجه الارض . كان بين قصور الخليفة على دجلة ، وجامع سوق الغزل المعروف قديما بجامع الخليفة وجامع القصر الكامل ١٢ : ١٨٩

وأفرج عن فخر الدين واخوته واصحابه في ثامن جمادي الآخرة من السنة بشفاعة الشرابي .

وفيها ، توفي الحكيم شمس الدولة ابو الخير سهل بن توما النصراني اليعقوبي ، نشأ في الجاه والحرمة والقرب من الخلفاء وبسط اليد في الأموال والتصرف في الاعمال ، ولم يزل على ذلك منذ الايام الناصرية والى الآن . وكان الخليفة المستنصر بالله يراسل به الوزير القمي ، ثم ابن الناقد في تقرير القواعد والولايات وغيرها ، فلما توفي قبض على امواله واملاكه وذخائره ونقل كل ما كان في داره من الاشياء النفيسة الى دار الخلافة ، وحرزت تركته فكانت ستمائة الف دينار ، ثم وكل بأخويه وأصحابه اياما وافرج عنهم ، وخلع على أخويه فخر الدولة ماري وتاج الدولة أبي طاهر ، ورتب فخر الدولة ماري في جميع الأشغال التي كانت منوطة بأخيه من الوكالات للأبواب والنظر في الأقرحة وغير ذلك ، ورتب تاج الدولة وكيل باب عنبر المختص بابنة الخليفة المستنصر بالله ، ثم أعيد عليهما بعد ذلك ما كان أخذ من تركة أخيهما من مال وملك .

وفيها ، أمر الخليفة ببناء سكر على فم نهر عيسى مما يلي دجلة

ليزداد ماء النهر بحيث تعبر شبارته الى القصر المستجد بجوار قنطرة الشوك ، فلما انتهى ، نظم الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة ، وكان في غاية الأحكام فلم يلبث الا قليلاً وانقلب، فلم ير له اثر .

وفيها ، عزل العدل ابن القشاري الهمامي عن اشراف الخزانة والعدالة ، وسبب ذلك ، أنه كتب خطه على هامش رفيع لم يكتب فيه بعد سكونا الى رفيقه ، فانهي ذلك عنه ، فتقدم بعزله .

ذكر وصول المغول الى بغداد وعودهم (١)

في المحرم ، وصل الخبر الى بغداد من اربل ان المغول خرجوا من همذان في ستة عشر الفاً وقصدوا الجبل (٢) ، فامر الخليفة بالاستعداد للقائهم وتبريز العسكر الى ظاهر السور ، فخرجوا على التؤدة والهوينى ، فوصل الخبر أن طائفة منهم قصدوا خانقين ووقعوا على جماعة من اصحاب الامير شهاب الدين سلمان شاه بن برجم

---

١ ذكر تفصيل هذه الحادثة واسبابها عبدالحميد بن ابي الحديد في شرحه ٢ : ٣٧٠ واشار اليها في مختصر الدول ص ٤٤٩ .

٢ هو جبل حمرين .

زعيم الايوانية ، وقربوا من بعقوبا ، ونهبوا وقتلوا ، ووصل أهل طريق خراسان والخالص الى بغداد ، فأمر حينئذ باستنفار الاعراب من البوادي والرجالة من الأعمال ، وتفريق السلاح ورفع المناجيق على السور ، وخرج الشرابي الى مخيمه بظاهر السور فوصل اليه رسول من الأمير فلك الدين محمد بن سنقر الأسن (١) المعروف بوجه السبع ، وكان باتقليمة ، يزك يخبره بوصول المغول ومحاذاتهم له ، فركب في الحال وعين على من يتوجه لمساعدة فلك الدين المذكور ، ثم أخذ في تعبئة العساكر وترتيبها ميمنة وميسرة ، فوصلت عساكر المغول ونزلوا بأزائهم وجرت بين الفريقين حرب ساعة من نهار ، ثم باتوا على تعبئتهم ، فلما أصبحوا لم يجدوا من عساكر المغول أحداً ، وكفى الله المؤمنين القتال .

ثم ورد الخبر ، أن طائفة منهم عبرت الى دجيل ، فقتلوا ونهبوا فنفذ اليهم جماعة من العسكر والعرب نحو ثلاثة آلاف فارس ، وقدم عليهم الامير قزقر الناصري فلما عرفوا بعبور العسكر اليهم رجعوا .

ذكر حصر دمشق

في هذه السنة ، سير الملك الصالح أيوب بن الكامل محمد بن العادل صاحب مصر عسكراً الى مدينة دمشق ، فنزلوا عليها وحصروها وضيقوا على أهلها ومنعوا عنهم الميرة ، ودام ذلك شهورا حتى تعذرت الأقوات عندهم وغلت الاسعار ، وبلغت الغرارة الحنطة مائة درهم ، وكان الملك الصالح اسماعيل بن العادل صاحب دمشق فيها ، فضج الناس اليه وشكوا اماهم فيه من تعذر الأقوات ، فراسل ابن عمه الملك الصالح أيوب في ذلك وتردد الرسل بينهما فأسفرت القاعدة على أن ينفرد الملك الصالح اسماعيل بملك بعلبك ، ويمضي باهله اليها ، فاجاب الى ذلك وخرج ليلا ، وأرسل الملك الصالح ايوب الى الخليفة ، عبدالرحمن بن عصرون يخبره بذلك ، فارسل الخليفة اليه التقليد والخلع مع جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية ، فتوجه وابن عصرون صحبته .

ذكر ترتيب صاحب الديوان

في عشية يوم الجمعة ثاني شهر رجب ، ولي فخر الدين أبو طالب احمد بن الدامغاني صدراً بديوان الزمام نقلاً من اشرافه عوضا عن فخر الدين أبي سعد المبارك بن المخرمي ، وخلع عليه في دار الوزير ومضى الى الديوان فجلس به وكتب انهاءً على جاري العادة ابتدأ فيه بقوله تعالى « رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » ثم عاد بعد عود الجواب الى دار الوزير ومنها الى داره .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ، غلت الأسعار ببغداد ، حتى بلغ الكر من الحنطة تسعين ديناراً ، ومن الشعير أربعين ديناراً ، والتبن كل ألف رطل بخمسة دنانير ، وكان مع هذا لا يكاد يوجد في الاسواق الا الخبز الفائق السميذ .

وفيها ، رتب الكمال محمد بن حسين مشرف واسط ، ورتب عماد الدين يحي بن المرتضى صدر المخزن ، وخلع عليه في دار الوزير وركب الى المخزن ونزل على باب الحرم وقبل الارض ودخل راجلا وكتب انهآء وصدره بقوله تعالى « هـذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه » .

وفيها ، قلد عبد المؤمن الكواز البصري المالكي قضآء واسط وشرط عليه ان لايحكم الا بمذهب الشافعي رضي الله عنه .

وفيها ، تقدم الخليفة بارسال طيور من الحمام الى أربع جهات لتصنف أربعة أصناف ، منها : مشهد حذيفة بن اليمان بالمدائن ومشهد العسكري بسرمن رأى ، ومشهد غني بالكوفة ، والقادسية ونفذ مع كل عدة من الطيور عدلان ووكيل ، وكتب بذلك سجل شهد فيه العدول على القاضي بثبوته عنده ، وسميت هذه الأصناف باليمانيات والعسكريات والغنويات والقادسيات ، ونظم النقيب الطاهر قطب الدين الحسين بن الأقساسي في ذلك أبياتا ، وعرضها على الخليفة ، أولها :

خليفة الله يامن سيف عزمته ... موكل بصروف الدهر يصرفها

ويقول فيها :

ان الحمام التي صنفتها شرفت — على الحمام التي من قبل نعرفها

والقادسيات أطيار مقدسة — اذ أنت يامالك الدنيا مصنفها

وبعدها غنويات تنال بها — غنى الحياة وما يهوى مؤالفها

والعسكريات أطيار مشرفة — وليس غيرك في الدنيا يشرفها

ثم الحمام اليمانيات ماجملت — الا سيوفاً على الأعداء ترهقها

لازلت مستعصماً بالله في نعم — يهدى لمجدك أسناها والطفها

ثم سأل أن يقبض منها من يد الخليفة فاجاب سؤآله ، واحضره بين يديه وقبضه ، فلما عاد الى داره نظم ابياتا ، اولها :

امام الهدى او لهتني منك أنعما — رددن علي العيش فينان أخضرا

واحضرتني في حضرة القدس ناظراً — الى خير خلق الله نفساً وعنصرا

وعليت قدري بالحمام وقبضها — مناولة من كف أبلج أزهرا

رفعت بها ذكري وأعليت منصبي — فخرت بها عزاً ومجداً على الورى

حمام اذا خفت الحمام ذكرتها — فصرت بذاك الذكر منها معمرا

ويقول في آخرها :

قضى الله ان يبقى اماما معظماً — مدى الدهر مالاح الصباح واسفرا

قدم يا أمير المؤمنين مخلدا   على الملك منصور الجيوش مظفرا

وفي ليلة الجمعة حادي عشري شهر رمضان ، نقل مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الوزير من مدفنه بمقبرة الزرادين بالمأمونية ، الى تربة كان أنشأها بالمشهد الكاظمي ، ووقف عليها وقوفا ، وذلك بعد ثلاث عشرة سنة وأحد عشر شهرا .

وفيها ، توفي المحب ابو عبد الله محمد (١) بن محمود بن النجار الحافظ المتقن المحتوي على فنون العلوم ، حفظ اولاً القرآن المجيد وقرأ علم النحو وسمع الحديث وبرع في كتبه التاريخ ، وقرأ علم الأدب وسافر الى الحجاز وجاور بمكة ، ثم دخل بلاد الشام والجزيرة والموصل وبلاد الجبل وخراسان ، وكانت مدة سفرته وتطوافه هذه البلاد ثماني وعشرين سنة ، قرأ فيها على العلماء والمشايخ واشتمل معجمه على ثلاثة آلاف شيخ وأربع مائة امرأة وجمع مجموعات كثيرة تزيد على أربعين كتابا ، منها « الذيل على تاريخ بغداد (٢) ست عشرة مجلدة » ونثر الدر ثمانية أجزاء ، والعقد

١ ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى « ٥ : ٤١ » وفوات الوفيات « ٢ : ٢٦٤ » وذكره اكثر المؤرخين عند النقل .

٢ هو : تاريخ الخطيب البغدادي المشهور وقد طبع حديثاً بمصر في ١٤ مجلداً .

الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق ، وقدم بغداد سنة أربع وعشرين وستمائة ، وقدمات أهله جميعهم ، فسكن داراً في محلة الظفرية فعرض عليه السكنى في رباط شيخ الشيوخ ، فأبى وقال : اني قادر على المسكن ، ومعي ثلثمائة دينار ، فما يحل لي أن ارتفق من وقف ، واشترى جارية ، فلما فتحت المدرسة المستنصرية عين عليه مشتغلاً في علم الحديث ، فأجاب الى ذلك لأنه لم يبق معه من المال الا شيء يسير ، فلم يزل على ذلك الى أن مات ، وكان مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ببغداد .

وتوفي ، السلطان كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو ملك الروم وولي الملك بعده ولد له صغير ، عمره نحو سبع سنين ،

وتوفيت ابنة الخليفة المستعصم بالله ، اسمها عائشة ، وعمل لها العزاء في الرصافة على جاري العادة ، وأنشد الشعراء المراثي ، وكتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي الى الخليفة « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » أجزل الله تعالى ثواب الخدمة الشريفة المقدسة النبوية الأمامية المستعصمية بالله على احتسابها وجزاها أفضل جزاء الصابرين عند جزع النفوس واكتئابها ، وأماه

عليها ظلاً من البقاء ظليلا، ورجع طرق الحوادث عن حوزتها الشريفة حسيراً كليلا ، وعوض عمن غبر وذهب بحراسة من غبر ممسا وهب ، وجعل السادة الموالي المعظمين في حوز حياطته وكلاءة من كل حادث بعين حفظه التي لا تنام ورعايته ، وأدام للدنيا وأهلها بقاء الخدمة الشريفة واستمرار عصرها، وخلود الدولة الحالية بعضاء مراسمها العلية ونفاذ أمرها :

فاذا سلمت فكل شيء سالم وإذا بقيت فكل شيء باقي

ولا زال ملكها محروساً من الغير ،مصون الموارد من الكدر ولا أعاد الى مواطن شرفها حادثا ،ولا أنزل بعقدس ربعها الأمرع خطبا كارثا :

لا روعت بعدها الخطوب لكم سرباً ولا فضلت لكم حمل (١)

بمحمد وآله » وكتب ابن عباس مشرف المخزن « يقبل الارض بين يدي مالك رقه وينهي أن العباس لما توافاه الله تعالى جلس ولده عبدالله رضي الله عنهما للعزاء ، فجاء أعرابي فوقف حياله وانشد :

اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية بعد صبر الراس

خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس

فنهض عبدالله ورفع بساط العزآء ، قال الله تعالى : ان الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لوكان يعقوب يعلم . انا لله وانا اليه راجعون . لما قال : ياأسفا على يوسف » فعظم الله أجر مولانا واحسن عزآءه ورحم ميته ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، والسلام » .

وفي هذه السنة ، انقطع الحج من العراق لأجل الاشتغال بحديث عساكر المغول (١) .

سنة اربع واربعين وستمائة

فيها ، كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي الى الخليفة ينهي حال بعض الأمراء ويقول في آخر كلامه وهو « مدير » فوقع الخليفة على مطالعته بقلمه :

ولاتساعد أبدا مديراً (٢)　　　وكن مع الله على المدير

---

١ وجد على هامش الاصل « سنة ثلاث واربعين وستمائة : السلطان هو بختاي ملك كيول قان » ولعله يشير الى تولي « كيوك خان » على التتر كما في ص ٤٤٩ من مختصر الدول .

٢ في « ٢ : ١٥٢ » من فوات الوفيات « مدبر » لامدير . وهو الصواب .

فكتب الوزير في الجواب من نظمه :

يامالكاً ارجو بحبي له … نيل المنى والفوز في المحشر

أرشدتني لازلت لي مرشدا … وهاديا من رأيك الأنور

فضلك فضل ماله منكر … ليس لضوء الشمس من منكر

ان يجمع العالم في واحد … فليس لله بمستنكر

فالله يجزيك عاقبة (١) … خيراً ويبقيك مدى الأعصر

جعلت تقوى الله مقرونة … بورد افعالك والمصدر

من يجعل التقوى له متجراً … فذاك حقاً رابح المتجر

وفيها ، فتحت دار الكتب (٢) التي انشأها الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي في داره ، ونقل اليها كتب من انواع العلوم ، فانشد العدل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد :

رأيت الخزانة قد زينت … بكتب لها المنظر الهائل

عقول الشيوخ بها ألفت … ومحصوله ذاك والحاصل

ولما مثلت بها قائماً … وأعجبني الفضل والفاضل

١ كذا في الاصل وقد نقل اكثر من هذه الابيات في فوات الوفيات .

٢ اشتملت على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب « الفخري ص ٢٤٨ »

تمثلت اسماءها منكم　　على النقل ما كذب الناقل

بها « مجمع البحر » لكنه　　من الجود ليس له ساحل

ومنها « المهذب » من فضلكم　　« ومغن » ولكنه نائل

ومنها « الوسيط » بما نرتجيه　　وفيها « النهاية » و « والكامل »

وان كان أعوزها « شامل »　　فقد زانها جودك الشامل

وان كان قد فاتها فائت　　أبو الفضل في علمه كامل

وفيها ، وقع الشروع في عمارة مسناة دار ، على شاطئ دجلة في بستان الصراة المنتقل الى الخليفة من البهلوان بن الأمير فلك الدين محمد بن سنقر ، وتولى العمل في ذلك استاذ الدار محيي الدين يوسف بن الجوزي فسأل في بعض الأيام الشاهر عن اسمه ، فقال خالد ، فقال :

نظرت الى الخلد الشريف بفكرتي　　فبشرني أن الخليفة خالد

اذا الاسم معناه الخلود حقيقة　　وأكده اسم المشاهر خالد

وفيها ، أعيد النظر في مصالح المدرسة المستنصرية الى شيخ الشيوخ صدر الدين ابي المظفر علي بن النيار ، فخرج في بعض الايام من دار الخليفة عقيب غيث معتمدا على يد فراش ، فلما رفع يده عنه زلق الفراش ، فقال مبادراً : ماينال خيراً من تتركه من يدك ،

فقال الموفق بن ابي الحديد في ذلك :

مولاي شيخ الشيوخ دمت لنا ... مكمل الخلق فاضلاً خلقا

بالأمس لما مشيت معتمداً ... حيث خشيت المياه والالثقا

كنت عماد الذي اعتمدت على ... يديه حتى تجاوز الطرقا

دليل هذا ولا خفاء به ... أنك لما تركته زلقا

وهكذا كل من رفعت يداً ... عنه وخليته أصاب شقا

ثم رد اليه النظر على الطبق (١)، وكان يتولاه نجم الدين محمد بن طراح فعزله وعزل مشرفه واقتنع بالكاتب ونائبي النظر والأشراف، وكان قد اضطرب حال عقاره وضياعه وقل حاصله، فلما عاد أمره اليه توفر حاصله، فقال الكمال محمد بن أبي الفضل الفقيه :

عادات صدر الدين مشكورة ... وحق من أحسن أن يشكرا

أهدوا اليه طبقاً فارغاً ... خط فيه ذهباً أحمرا

وعادة القوم على عكس ذا ... ان عوتبوا أو عملوا ماجرى

ياسيداً اخلص في نصحه ... لمالك الأمر ومولى الورى

---

١ الظاهر لنا أنه اراد به ضياع « دجيل المستنصري » وهو دجيل الحالي فقد علمنا ان المستنصر بعد حفره هذا النهر وقفه على دور الضيافة - كما في مادة عكبرا - من مراصد الاطلاع وتاريخ بناء القنطرة المستقبين اليوم هو ، سنة ٦٢٩ .

حق على رأيك في نصحه　　لكل ماخرب أن تعمرا
لازلت في دولته حاكما　　يرى صواب الرأي في ماترى

وفي هذه السنة ، وصلت الطيور الحمام من عبادان وخشبات (١) وسبق النقيب الطاهر قطب الدين أبو عبدالله بن الاقساسي من سطح الشرابي، فنظم العدل موفق الدين القاسم بن أبي الحديد المدائني كاتب الانشاء قصيدة ، يمدح فيها الخليفة ، ويقول فيها :

سبق النقيب من البلاد بأسرها　　جبليها وجنوبها وشمالها
لاواسط أجدت عليه وانما　　ضرته بلدة اربل بجبالها
وللموصل الفيحاء مات جماعة　　فيها مع الغرباء في أطلالها
ملك الحمائم مابحشو قلوبها　　شوق الى دار النقيب وحالها
أني لاعذرها وقد ولت الى　　سنجار تطلب خمسها من مالها
لم تلق في سطح النقيب غذاءها　　ابداً سوى أتواره بزلالها
كم هذه الخلوات اني خائف　　من بردها وزكامها وسمالها
ما كان يغلط طائر لك مرة　　فيجيء عاشرها لدى ارسالها

---

١ قال يعقوب سركيس، ذكرت في كتاب اسمه : دولة ميسان وخارك، لاحد الفرنسيين وجاءت في جهان نما ص ٤٥٤

الله اكبر ان هذه عبرة   لم يقتدر أحد على امثالها
لوصور الله البروق حمائماً   لك لم تر الأيماض في افعالها
وسواك لو حمل الدجاج مسابقاً   سبقتك طائرة على ارسالها

ثم قال فيه ابياتاً ، منها :

أرسل الطاهر النقيب طيوراً   لسباق فلم يفز بمراد
وطيور المولى الشرابي جاءت   وطيور النقيب في كل وادي
ماحداها على التأخر الا   طلب الخمس من طباق الزاد

فلما حضر النقيب في البدرية يوم الجمعة جرياً على عادته ، سلمت القصيدة اليه ، وأمر بايرادها .

وفيها ، فتح باب مخزن المدرسة المستنصرية المقابل لباب سوق المدرسة ، وأخذ منه نحو اربعمائة رطل شمعاً معمولاً ، وحدود ثلثمائة رطل سكراً ، ومبلغ ثلثمائة دينار وثلاثون مصمتا (١) طبرية ، وقيل ان جوقة الرندي (٢) فعلوا ذلك ، وكثر اللصوص ببغداد وكانوا يأتون بالعدة ويأخذون اموال الناس .

---

١ اي ثياباً مصمتة وهي التي : لاشية فيها فهي بهيمة « شرح الحديدي ١ : ٩٤ »

٢ هو من اولاد المماليك الاشرار ، كما سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٥٣

وفي آذار وقعت صاعقة على نخلة في مسجد بالجانب الغربي أحرقتها والناس يشاهدونها ، ووقع في نواحي نهر الملك برد كبار ، وزن الواحدة منه ثمانية ارطال .

وفيها ، توفي قطب الدين محمد بن عبدالرزاق بن سكينة شيخ رباط شيخ الشيوخ أبي سعيد بالمشرعة (١) ، كان شاباً جميلاً حافظاً للقرآن المجيد أديباً ، حج مراراً مع والده ومنفرداً متولياً بعض السبلداريات ، ثم رغب في الدنيا وأحب الرياسة ، فسأل أن يرتب حاجباً بباب المراتب وأن يقر على نظره بالرباط ويترك مشيخته ، وبذل على ذلك قرية ، فأجيب سؤاله ، وخلع عليه وركب بالسيوف المشهورة والبسلمة بين يديه والكراثة بين عينيه ، فبقي على ذلك يسيراً ، ثم سأل اعفاءه عن الخدمة واعادته الى المشيخة ، فاجيب سؤاله ، ثم سأل ان يرتب ناظرا في مناثر التمور فرتب ، فبقي مدة ثم فصل عن ذلك ، ولم يزل على مشيخة الرباط والنظر في وقوفه الى ان توفي ، وقد نيف على اربعين سنة ، فنظم الامير ركن الدين

---

١ هي مشرعة الابريين وقد تقدم ذكرها قال : صفي الدين الحنبلي في « ١ : ٣٨٣ » من المراصد « دار سوق الثمر هي الدار المتصلة بباب الغربة ومن الجهة الاخرى بالبدرية وهي دار عظيمة من دار الخلافة مشرفة على مشرعة الابريين ... » فهي اليوم شريعة المصبغة اذن .

احمد بن القراطاي أبياتا ذكره فيها ، وكتب بها الى شهاب الدين ريحان ، لأنه كان صديقه وهي :

جدير بك الصبر الجميل على الخطب فليس على حكم المنية من عتب

شجاك ذهاب القطب من بعد صحبه

ولا غرو أن يشجى الشهاب على القطب

يهون وبال الصحب مادمت باقيا رفيع الذرى في حيز الشرف الرحب

وفيها ، توفيت ست العرب ابنة الأمير أبي القاسم عبدالعزيز ابن الخليفة المستنصر بالله ، فتقدم الخليفة المستعصم بالله أن يعتمد معها جميع ما اعتمد مع ابنته الدارجة في السنة الخالية .

وانقطع الحج أيضا في السنة من العراق .

وفيها ، توفي الامير محمد بن سنقر الطويل صاحب دقوقا ، كان أبوه سنقر من خواص الخليفة الناصر لدين الله ، ضب يوما على يده ماء فسقطت الصابونة منه فناوله غيرها وقال « دقوق » (١) وهو بلغة الترك دجاجة فاقطعه « دقوقا » ظنا منه أنه طلبها ، فلم تزل في يده الى ان توفي فتسلمها ابنه محمد فلما توفي الآن عادت الى نواب الخليفة .

---

١ الدجاجة في التركية « طاوق » .

وفيها ، توفي يوسف بن يعقوب بن صابر متقدم المنجنيقية ببغداد كان شاباً حسناً أديباً حاذقاً في صنعته ، وكان يقول الشعر ، فمما قاله في صبي أمرد شح (١) يشكوه :

ياقوم ان شكايتي من شكوة	أضحت تعانق من أحب واعشق
حملت هوى كهواي الا انها	تطفو ويثقلني الغرام فاغرق
ويغيظني التبان عند عناقه	اردافه وهو العدو الأزرق

سنة خمس واربعين وستمائة

فيها ، احضر مدرسو المستنصرية الى دار الوزير ، وتقدم اليهم ان لايذكروا شيئاً من تصانيفهم ، ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها ، بل يذكروا كلام للشايخ تأدباً معهم وتبركاً بهم ، وأجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي مدرس الحنابلة بالسمع والطاعة ، ثم مدرس المالكية سراج الدين عبدالله الشرمساحي ، وقال « ليس

---

٢ الصواب « سبح بشكوة » وذكر ابن خلكان هذه الابيات لابيه كما في ٢ : ٥٠٦ من الوفيات ، وقد تقدمت ترجمة أبيه في ص ٨ ، الى ١١ من هذا الكتاب .

لاصحابنا تعليقة ، فاما النقط من مسائل الخلاف فمما أرتبه » فبان بذلك عذره ، واما شهاب الدين الزنجاني مدرس الشافعية وأقضى القضاة عبد الرحمن بن الدمغاني مدرس الحنفية ، فانهما قالا مامعناه « ان المشايخ كانوا رجالاً ونحن رجال » ونحو ذلك من ابهام المساواة ، فانهيت صورة الحال ، فتقدم الخليفة ان يلزموا بذكر كلام المشايخ واحترامهم ، فأجابوه بالسمع والطاعة .

وفيها ، قبض على بدر الدين محمد بن ورد نائب المخزن ووكل به فيه ، ووكل بمن في داره ، فتغافل عنه الموكلون به فذبح نفسه بسكين لطيف كان معه فما احسوا الا بشخيره ، فأنهوا ذلك ، فتقدم باحضار طبيب فخاط موضع القطع ولم يبلغ البلعوم ، لان يده ضعفت عن قطعه ، فلما قويت نفسه أخذ خطه بثلاثين ألف دينار .

وفيها ، هرب ثلاثة نفر كانوا محبوسين في مطمورة واسط ، ثقبوها فخرج الثقب في دار يهودي ، فخرجوا منها فحضر واحد منهم عند صاحب الديوان فخر الدين أحمد بن الدامغاني وعرفه ان رفيقيه فعلا ذلك وقالا له : « ان لم توافقنا قتلناك » فسأله عن ذنبه

فعرفه أنه قتل عماً له ، ثم أبرأه ولي دمه منه ، فأمر بحبسه سياسة ، فتقدم بالافراج عنه ، وأمر بتحصيل الآخرين ، فحصلا وحبسا .

وفيها ، غلت الاسعار فبلغ الكر (١) من الحنطة ثمانين ديناراً ومن الشعير ثلاثين ديناراً .

وفيها ، رتب دانيال بن شموئيل بن أبي الربيع رأس مثيبة (٢) ونفذه الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي الى قاضي القضاة عبدالرحمن بن اللمغاني فاجلسه بين يديه ، وقال له : « رتبتك زعيماً على أهل ملتك من أهل دينك المنسوخ الذي نسخته الشريعة المحمدية لتأخذهم بحدود دينهم وتأمرهم بما أمروا به في شريعتهم ، وتنهاهم عما نهوا عنه في شريعتهم ، وتفصل بينهم في وقائعهم وخصوماتهم بموجب شريعتهم والحمد لله على الاسلام » ثم نهض ولبس طرحته في دهليز القاضي وتوجه الى بيته راجلاً في جمع من اليهود وجماعة من اتباع الديوان ، فتعرض جماعة من العامة لرجمه ، فانكرت الحال عليهم ومنعوا وأخذت منهم جماعة فحبسوا وعوقبوا .

---

١ الكر : بضم الكاف مكيال قيل انه اربعون اردباً ، وقيل غير ذلك .

٢ تقدمت بصورة « مثيبة » والصواب عند بعض العلماء « مثيبة اليهود » أي جلاؤهم ومثله « رأس الجالوت » أي زعيم الجالية .

وفيها ، ولدت امرأة فقيرة اربعة في بطن ، فشاع ذلك وأنهي خبرها الى الخليفة ، فأمر باحضار الأولاد فاحضروا في جونة فتعجب من ذلك ، وأمر لهم بستمائة دينار وثياب ، وكانت المرأة وزوجها في غاية من الفقر لايملكان حصيراً .

وفيها ، استولى يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن ايوب صاحب حلب على حمص مصالحة ، وعلى قلعة عزاز ، وفارقها سلطانها ابن شيركوه ، فخطب حينئذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل لصاحب حلب ببلاده تبرعاً منه .

وفيها ، انفذ الخليفة الى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي دواة فضة مذهبة مع صلاح الدين عمر بن جلدك في جونة ، فخلع عليه ونظم الشعرآء في ذلك أشعاراً كثيرة :

قل للكواكب ما أردت فحاولي	لم يبق في الدنيا عليك دليل
ذهب الذي رصد النجوم رياضة	فأطاعه التسيير والتعديل
لو كان بطليموس في أيامه	لغدا وناظر فكرتيه كليل
جمع الرواية والدراية فاستوى	في وصفه المنقول والمعقول
فيه أسانيد الحديث صحيحة	وبه استفيد الجرح والتعديل

والبه ساق الناس علم حقائق أدى اليه الوضع والتشكيل
علم البراهين التي بنتاجها يتفاوت الوضوع والمحمول
والهندسيات التي بنتاجها يستنبط المعلوم والمجهول
وقضى على مزج العناصر حكمه فاجابه التصعيد والتحليل
وافى به النسب العريق الى العلى وسما بنفس حبلها موصول
فالمنزل الأدنى به في وحشة والمنزل الأعلى به ماهول

وتوفي النقيب قطب الدين ابو عبدالله الحسين بن حسن بن علي المعروف بابن الاقساسي العلوي ببغداد ، وكان اديبا فاضلا يقول شعراً جيدا ، بدرت منه كلمة في أيام الخليفة الناصر على وجه التصحيف وهي « اردنا خليفة جديد » فبلغت الناصر فقال : لا يكفى حلقة لكن حلقتين ، وأمر بتقييده وحمله الى الكوفة ، فحمل وسجن فيها فلم يزل محبوساً الى ان استخلف الظاهر ، فامر باطلاقه ، فلما استخلف المستنصر بالله ، رفق عليه ، فقربه وأدناه ورتبه نقيبا وجعله من ندمائه ، وكان ظريفاً خليعاً طيب الفكاهة حاضر الجواب .

وتوفي الشيخ محمد الركابدار ، وكان اديباً سمع الحديث النبوي ، وكان يحب اهل الدين وارباب التصوف ، خدم في مبدأ أمره

مع ركبدارية الامير قشتمر، ثم خدم ركابدار الخليفة الظاهر، وقرب وأدني، فلما استخلف المستنصر اقره على ذلك وزاد في اكرامه، حكى عن نفسه قال: خلوت يوما بالخليفة المستنصر وهو مسرور يباسطني فقلت له: ياأمير المؤمنين عندي أمر واشتهي أن تأذن لي في السؤال عنه، فقال: قل، فقلت: يا أمير المؤمنين تدعوني تارة بالشيخ محمد، فأطير فرحا وأقول قد شرفني مولانا، ومرة تقول أي ركابدار، فاموت خوفا واخشى ان اكون قد أذنبت ذنبا، فقال: لا والله ياشيخ محمد مالك عندنا اساءة، وانما متى كنت على غير طهارة أقول أي ركابدار اجلالا لذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام

وقد نسب اليه شعر، منه: قوله من قصيدة طويلة:

أدرها باليمين او الشمال ... فلو كانت حلالا ياحلالي
ولا تطفئ توقدها بماء ... ففي ياقوتها نور اللآلي
وصرف صرفها بغناء شاد ... مليح الوجه معشوق الدلال
يريك اليأس منه على دنو ... يريد هوى ويطمع في الوصال
ولا تخش الهموم على سرور ... ولا تجزع لحادثة الليالي

وفيها، قتل الهندي بهمذان، كان من اولاد المماليك الناصرية،

وكان جميل الصورة رائق الحسن ، صحب العيارين والفتاك الى أن خرج عن الطاعة ، فانضم اليه جمع كبير من الفتاك ، وكانوا كلهم عشاقاً له ، فطلبوا طلباً شديداً فتفرقوا ، وحصل بعضهم فقتل ، ولحق هو بصهر له ، كان دزداراً بقلعة « كره » ، فكوتب بحمله فحمله مستظهراً عليه ، فحبس في بغداد فلما ولي المستعصم أفرج عن المسجونين فكان من جملتهم ، فعاود ما كان عليه من الفساد ، فطلبه أيبك الحلبي شحنة بغداد ، وأخذ بعض اصحابه فاستخلصه ، وخرج جماعة من اصحاب الشحنة واعتصم في اصطبل لبعض أصهاره « بدرب الجصاص « فكبس نائب الشحنة عليه ليلة ، فصعد برجاً للطيور فتقدم النفاط (١) في الصعود ، فضربه الهندي فأزال رأسه فرجع الناس عنه ، فهرب ولحق بهمذان ، واتصل بشحنتها ، فخوف منه فسقاه ليلة خمراً فلما سكر قتله وحمل رأسه الى بغداد ، فعلق بظاهر سور الظفرية (٢) .

---

١ النفاط هنا « حامل الضوء » راجع تاريخ الحكماء للقفطي ص ١٤٥ ومختصر الدول ص ٤٢٢ وشرح الحديدي ٤ : ٢٣٣

٢ تقدم ذكرها في وفاة شهاب الدين عمر السهروردي ، فهي اليوم خراب ، بين قبره وبين عمارة بغداد وهي من السور باب الظفرية : المعروف حديثاً بالباب الوسطاني .

وفيها ، منع جميع الوعاظ من الجلوس للوعظ ببغداد .

وفيها ، قلد تاج الدين الحسن بن المختار نقابة الطالبيين فعين على ولده علم الدين اسماعيل في نقابة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام .

وفيها ، أنهى خازن المدرسة المستنصرية : أنه شاهد ختم الخزانة متغيراً والقفل بحاله ، فاعتبروا ما فيها من الرهون والعين ، فشذ منها شيء ، ومن المال ثلاثمائة دينار ، فأنهي ذلك الى الخليفة ، فأمر بالزام الفقهاء والحاشية برمي تراب (١) ، ففعلوا ذلك ثلاثة ايام ، فلم يجدوا شيئاً ، فتقدم بتقسيط ذلك على البواب بالخزانة والفراشين على قدر احوالهم فاستوفي ذلك منهم ، ورتب عوضهم .

وفيها ، شاع ببغداد أن الديوان قد عزم على ابطال المعاملة بالدراهم ، وأن يتعاملوا بالقراضة الصورية ، وسبب ذلك أن الدراهم كثرت في أيدي الناس وقل الذهب و تجافى (٢) الناس أخذها حتى بيعت : كل اثني عشر درهما بدينار ، فتألم الناس مما يلحقهم في

---

١ أي رمي كل واحد كومة من التراب ، فالسارق يدس السرقة في الكومة فلا يعرف وهذا كالمقاولة عند العرب .

١ كذا ورد والذي في كتب اللغة : تجافى عنه ، ولكن ورد في كلام ابن جرير الطبري : واتبعوا من تجافي النهر منهم ، وهو مما استدركناه .

ذلك من الخسارات فيها ، فأمر أن يضرب دراهم جيدة ، يتعامل بها الناس كل عشرة دراهم بدينار ، وتؤخذ تلك التي تألموا منها كل عشرة دراهم ونصف بدينار ، فتألموا من ذلك أيضاً ، فتقدم أن يؤخذ العتيق كل اثني عشر درهماً بدينار ، وتكون الدراهم الجدد كل احد عشر درهما ونصف بدينار .

وفيها ، هب هواء شديد أحرق كثيراً من الزروع و كسر كثيراً من النخل وقلع جملة من الاشجار ، ووقعت صاعقة في دار القاضي بالجانب الغربي وأخرى في الخاتونية (١) ولم تؤذ أحداً .

وفيها ، توفي أبو الفتح اسحاق بن الشويخ رأس مشية اليهود ، وكان ذا فضل وأدب ، يكتب خطاً حسنا وينظم شعراً جيدا ويعرف علم النجوم معرفة جيدة ، كتب الى تاج الدين ... الدباهي (١) صدر المخزن رقعة لبعض اليهود من حربي ، فكتب عليها « يجاب سؤال رافعوها » فكتب ابن الشويخ ، ليلة :

مذ كان همتكم في جبر منكسر ... أو رفد مفتقر او رفع منخفض

حذا يراعكم في الفعل حذوكم ... فليس ينكر منه رفع منخفض

---

١ كذا وردت : وأقرب الالفاظ اليها المأمونية ، وتبدأ من جنوبى جامع سوق الغزل الشرقي فنازلاً : المعجم فى مادة قراح .

٢ تقدم مرارا أنه معلى بن الدباهي .

سنة ست واربعين ستمائة

وفيها ، انحدر الخليفة المستعصم بالله الى واسط متنزهاً ، وفي خدمته ابن الدامغاني صاحب الديوان وابن النيار ، وعدة من الأمراء ، فأقام أياما وعاد الى بغداد .

وفيها ، حدث باكثر اهل بغداد امراض في حلوقهم وخوانيق ومات بذلك خلق كثير ، وذكرت امرأة : أنها رأت في المنام امرأة من الجن تكنى « ام عنقود » قالت لها « ان ابني مات في هذه البئر » وأشارت الى بئر داخل سوق السلطان « ولم يعزني فيه أحد ، فلهذا أخنقكم (١) » فشاع ذلك في الناس ، فقصد البئر المذكورة جماعة من العوام والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمة ، وأقاموا هناك العزاء ، وكان النساء ينحن ويقلن :

---

(١) ذكر مختصر ابن الساعي ص ٩٢ مثل هذه الخرافة في حوادث سنة ٤٥٠ ، فخرج ه‍ بغداد الى المقابر ينوحون ويلطمون على وفاة يدوك ملك الجن المزعوم .

أى أم عنقود اعذرينا مات عنقود ومادرينا

لما درينا كلنا قد جينا لا تحردين منا فتخنقينا

وما يناسب ذلك من الهذيان ، وأكثرن من هذا وامثاله، والقى الناس فيها الثياب والحلى والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وانواع الحلواء ، واشعلوا عندها الشموع ، فلما اكثروا من ذلك عابه العقلاء والأكابر وانكروه ، فأمر الخليفة بمنع الناس من ذلك ، فحضر الشحنة الى هناك وقال « ان الديوان قد أقام أم عنقود من العزاء » وأمر بسد البر ، فتفرق الناس عنها .

وفيها ، وقع ببغداد وأعمالها مطر كثير وبرد كبار ، قتل كثيراً من الحيوان ، قيل . كان وزن البردة حدود ثلاثة ارطال ، وغلت الأسعار عقيب ذلك ، حتى بلغ الكر من الحنطة مائة دينار ، والشعير خمسين ديناراً .

وفيها ، توفيت هاجر (١) أم الخليفة المستعصم بالله ، ودفنت في تربة بنتها لنفسها بجانب رباطها المعروف بالمستجد بغربي بغداد بشارع ابن رزق الله ، وكانت على قاعدة جميلة ، راغبة في فعل

(١) تقدم خبر حجها : وذكرها في الخلاصة ص ٢١٤ .

الخيرات والمواصلات للفقرآء ، حجت في خلافة ولدها وتصدقت تلك السنة بأموال كثيرة .

وتوفي الامير قيران الناصري ، كان مقطع الكوفة وولي امارة الحاج ودفن في تربة بناها لنفسه بمقبرة الامام احمد بن حنبل قيل: كان عمره ثمانين سنة .

وتوفي نظام الدين أبو المعالي هبة الله بن الحسن بن الدوامي ، وقد جاوز عمره أربعاً وثمانين سنة ، وكان جواداً فاضلا ، رتبه الناصر في عدة خدمات ، وجعله صاحب ديوانه ، سنة احدى عشرة وستمائة ، وعزله سنة ثلاث عشرة ، وكان الصدور والأكابر يترددون الى . . . في مقبرة الشونيزي ، وكان حسن السيرة في خدماته مشكوراً ، له مواصلات وصدقات كثيرة .

وتوفي عضد الدين (١) أبو الفتوح المبارك بن رئيس الرؤسآء ابن المسلمة ، وعمره خمس وثمانون سنة وكان اديباً فاضلا مهندساً متقناً لأكثر الفنون ، كان ابوه وزيراً للمستضيء ، وخدم هو في

---

(١) في ٦ : ٢٢٢ من معجم الادبا : عضد الدولة ابو الفتوح بن الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء ، وفي الكامل ٢ : ١١٨ ابو الفتوح المبارك بن الوزير عضد الدين . وهو الصواب .

خدمات كثيرة ، رتبه الخليفة الناصر مرة صدراً المخزن ، فلم يكن عنده معرفة ولا كفاية ، قيل انه خرج مرة الى طريق خراسان واستصحب معه طيوراً ، كتب على الجناح يوماً . « سرح هذا الطائر ورفيقه يوم كذا من شهر كذا . وقد استخرج بديوان بعقوبا من البقايا خمسة وتسعون ديناراً » ، فلما رفع ذلك الى الخليفة استجهله وأمر بعزله ، فلزم منزله منقطعاً الى مراجعة العلوم ، وبنى رباطاً الى جانب داره بقصر عيسى مجاور جامع فخر الدولة ابن المطلب ووقف عليه وقوفاً كثيرة ، فلما توفي ، رثاه تلميذه موفق الدين أبو المعالى بن هبة الله بن أبي الحديد بأبيات ، منها :

انظر الى العلماء كيف تزول ومراقب الأحوال كيف تحول

واعلم بأن الدهر ليس بحافظ عهداً ولا هو للأنام خليل

مات الذى كنا نعيش بفضله ولسوف يتلو الفاضل المفضول

وفيها ، عزل عماد الدين يحيي بن المرتضى النيلى عن صدرية المخزن ، وأعيد اليه فخر الدين محمد بن أبي عيسى الشهرباني بعد أن بقي بطالا اربع سنين .

وفيها ، أحضرت الى الديوان ببغداد عناق (١) لها أربع آذان

---

(١) العناق : بفتح العين الانثى من ولد المعز .

وأربع ايدي وأربع ارجل ، وهي منفصلة من حد العنق ببدنين لكل بدن بطن وأضلاع زفخذان ورجلان ، ولكل بدن ذنب ودبر وفرج.

وفيها ، رتب تاج الدين محمد بن . . . نقيب العباسيين بواسط عوض ابيه الدارج ، وخلع عليه في دار الوزير ، ورتب عبد العزيز ابن الطراح مشرف واسط .

وفي يوم عيد الفطر ، أنهى محمد بن صليجان ناظر ديوان التركات الى الديوان ، أن مدينة السلام خلت عن ميت سوي طفل صغير « بدرب نصير » .

ذكر تواتر الامطار وزيادة دجلة

وفي شوال ، تواترت الغيوث حتى امتلأت البواليع واستجد عوضها وامتلأت أيضاً ، وتعطل على الناس معظم اشغالهم ، وكان ذلك عاماً ببغداد وتستر واربل والموصل وغير ذلك من البلاد ، ودام حتى منع الناس عن الزرع وغرقت القرى وهدمت الدور وتشتت قلعة اربل ، وانهدمت قلعة الكرخيني بالمرة ، وامتلأت

الزابات ، وتجمد الماء بدجلة وزادت (١) زيادة عظيمة ،غرقت الشطانيات بالجانب الغربي من بغداد ،ومن فتحة انفتحت فوق قبر احمد بن حنبل ، غرق منها محلة الحربية والكرخ والمارستان والخلد (٢) ودار بختيار والسوق بأسره ، من رباط الخلاطية الى القنطرة، وقطعة من محلة قطفتا والشيخ (٣) باسره والجنبشة(؟) ووقع قطعة من جامع فخر الدولة الحسن بن المطلب وقطعة من سور المشهد الكاظمي على ساكنه السلام،وجامع الحربية بأسره،وانتقل الناس من مساكنهم القريبة من دجلة الى المواضع العالية ،وساخ مسجد مجاور رباط ابن جهير على دجلة ، يعرف بمسجد عشاّر كان به حجرة ورواق وسقاية ، ولم يبق له اثر ، ولم تبلغ هذه الزيادة تلك التي كانت سنة اربع عشرة وستمائة ، وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السور من مساكن كانت استجدت منذ ايام الخليفة

١ راجع مناقب بغداد ص ٢٤ فقد اشار الى ذلك .

٢ هو قصر المنصور، بناه على الجانب الغربي من دجلة ، راجع تاريخ الخطيب البغدادى ١ : ٥٣ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٢ » ومناقب بغداد ص ١٢ ، ٢٠ ، ٣٣ ، قال عبد الرحمن الاربلي في اواخر القرن السابع الهجري : وقد اندرس الان فلا عين ولا اثر ، والخلاصة ص ٦٤ ، ٣ أراد به قبر للشيخ معروف الكرخي .

المستنصر بالله، وبولغ في عمارتها ، وكان بها أسواق مادة ،وحمامات
وبساتين مثمرة ، حتى كادت تشبه حاضر حلب او سوق التركمان
بالموصل ، كان ذلك مما يلي سوق العجم ، واجتمع بها خلق كثير
من الزعماء والأجناد ، فهدم الماء معظم ذلك وتلف من الامتعة
والغلات شيء كثير ، ونبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية
ومن دار سنقرجاه عيم خوزستان المجاورة للمستنصرية ،ومن مسجد (١)
الحظائر المعروف بأم الناصر المجاور لهذه الدار ، وامتلأت الطريق
وامتنع الناس من الجواز الى هنالك من باب سوق المدرسة الى
باب مشرعة الأربعين ، وكان من حيث تزايد الماء في
دجلة ، تقدم باحكام القورج ، وخرج الوزير مؤيد الدين ابن
العلقمي الى هنالك ونزل عن فرسه وحمل باقة حطب فوافقه كافة
الناس ، واشتد العمل ، فاتفق أن دجلة نقصت فأنشد الشعراء في
ذلك اشعاراً ، فمن جملة من قال في هذا المعنى ، موفق الدين القاسم بن
ابي الحديد ارتجالا ولم يورده لكثرة الزحام ، وهو :

تلقيت دجلة لما طغت   وخاف البرية من مائها

---

١ هذا يوافق اليوم مسجد الخفافين في جنوبي المستنصرية .

بوجه يشابه بدر السماء ... وكف حكت جود انوائها

فلما رأتك رأت عالمـــاً ... بطب المصالح من دائها

فولت حياءً كما تنزوي ... القبيحة من جنب حسنائها

ثم زادت في ذي الحجة، زيادة مفرطة أعظم من الاولى، فانفتحت في القورج فتحة، وصاحب الديوان فخر الدين ابن الدامغاني هناك فنجا بنفسه مسرعاً ودخل البلد. وانفتحت أخرى الى جانب دار المسناة واحاط الماء ببغداد، وكان الهواء شديداً فهدم من السور الآخر عدة أبراج وخرج من مرامي النشاب، فاحكمت هذه المواضع، وهدم السور الطيني واخذ ترابه، لأجل ذلك، فاخذ الماء في النقيصة بعد ذلك بأيام بعد أن خرج من باب الغربة، فرمى ما بين يديه من الحيطان والخانات، وغشى رباط شيخ الشيوخ وما يجاوره، ودخل درب السلسلة فلم يبق به دار الا هدموا، ولم يتمكن أحد من أهل هذه المواضع من نقل شيء مما لهم بها، بل نجو بأنفسهم؟ ووقعت الدور على ما فيها، ووصل الى البدرية ودار الخليفة والريحانيين (١) ودار الوزير وباب العامة، وتعذر سلوك

---

١ الريحانيون: هم باعة الريحان وسمي بهم السوق، وهو اليوم السوق المعروف بالقالخانة على ب تعريف كتاب المراصد.

هذه الاماكن وانهدمت الدور الشطانيات بأسرها وسوق المدرسة ودرب المسعود ، وأقام الماء في المدرسة النظامية ستة اذرع وغرقت محـلة الرصافـة ، ووقع اكثر دورها وسورها وغشي قبور الخلفاء رضوان الله عليهم ، وهدم مشهد عبيدالله ورباط الأصحاب المجاور له واما الجانب الغربي فغرق بأسره من محلة الحربية الى الخليلات (١) ، وانهدمت معظم الدور، ولم يسلم سوى بعض باب البصرة والكرخ واما المشهد الكاظمي على ساكنه السلام، فانه هدم سوره ودوره فأقام على الضريحين الشريفين بحيث لم يبن من الرمامين (٢) سوى رؤوسهما ودخل الماء جامع المنصور وهدم رباط الزوزني ، ودخـل رباط الحريم بعد أن بولغ في تعليته ، وغرق المحلة التي بالحريم (٣) والترب التي للخلفاء بها وهم ، المعتضد والمكتفي والقاهر والمستكفي والمتقي ، وفيها اشتد البرد يوم نزول الشمس برج الحمل وعاد الناس

---

١ ورد ذكرها في وقفية مرجان صاحب المدرسة المرجانية .

٢ جمع رمانة . كخطافة وخطاطيف ووضادة ووضاضي .

٣ هو الحريم الطاهري نسبة الى طاهر بن الحسين : وكان فوق المنطقة بدون شك .

لبس الفرو ، وكاد الماء يجمد فنظم موفق الدين بن أبي الحديد في ذلك :

أتى فصل الربيع وكان فصل ... به جمدت من البرد المياه

تشابهت البروج وليس بدعا ... فبين الجدي والحمل اشتباه

وفيها ، سعى علي بن الاربلي من دقوقا الى بغداد ، فوصل بعد العصر وفضل على معتوق الموصلي المعروف بالكوثر نصف ساعة ودار حول الكشك شوطا ، وخرج الى التفرج عليه الخليفة المستعصم بالله واولاده وجلسوا في الكشك الى حين وصوله ، وكان هذا المذكور مختصا بخدمة الأمير مبارك ولد الخليفة ، فأمر له بفرس من مراكبه وخلعة وذهب ، ودار من الغد في البلد بالطبول والبوقات فحصل له شيء كثير .

وفيها ، فقد التقي بن كلالة التاجر من صندوق له الف دينار ، فأشكل عليه الامر في ذلك وحار فكره في من فعله ، فكتم الحال نحو خمسة عشر يوما ، فظهر له أن مملوكين صغيرين أحدهما هندي والآخر حبشي قد طلبا غفلة وكسرا قفل الخزانة وأخذا ذلك ، لأنهما اكتريا داراً واتفقافيها على الفساد فأخذهما وضربهما ، فاعترفا

وأحضرا المال ، فلم يشذ منه سوى مائة دينار ، ثم حملهما الى أستاذ الدار فاقرا بأنهما سرقا مالاً آخر من تاجر يجاور دار سيدهما ، فأمر بحبسهما ، وهذا الفعل من ابن كلالة يدل على عقله وثباته ، لانه لو أشاع ذلك واتهم جيرانه ربما أفضى الى ضياع المال وستر حال المملوكين لانهما لم يمكن يؤبه لهما ولا يظن فيهما ذلك لصغرهما .

وفيها ، توفي الحريري(١) الفقير الدمشقي بها ، كان له زاوية يقصده بها الفقراء وغيرهم ، وكان يعاشر الصبيان الأحداث ، وكان الناس يكثرون القول فيه ويقولون انه اباحي وما كان عنده مراقبة ولا مبالاة بمن يقول عنه بل يدخل معهم الحمام ويعتمد مايسميه الفقراء تخريبا(٢) والفقهاء ينكرون فعله ، حتى ان السلطان اخذه مراراً وحبسه وهو لا يرجع عن ذلك ، ومع هذا كان من وقع نظره عليه من الأحداث وأولاد الأجناد والأمراء وغيرهم يحسن ظنه فيه ويميل اليه ولا يعود ينتفع به اهله ، بل يلازمه ويقيم عنده اعتقاداً فيه وميلاً اليه ، وكان فيه لطف ويقول شعراً دوبيت

---

١ وردت ترجمته في كتاب « الفلاكة والمفلوكين » .

فمن قوله :

كم تتعبني بصحبة الأجساد كم تشهرني بلذة الميعاد
جد لي بمدامة تقوي رمقي والجنة جد بها على الزهاد

وفيها ، توفي جمال الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن المخرمي المعروف بالمخرمي ، شاب فاضل اديب حافظ للقرآن المجيد ، كان ينوب أخاه فخر الدين المبارك بن المخرمي الى ان عزل ووكل بهما ، فلما أفرج عنهما تشاغل جمال الدين بالعلم وزيارة اصحابه واخوانه والف كتاباً مختصراً سماه « نتائج الافكار » يشتمل على رياضة النفس ومدح العقل وذم الهوى ، وكان يقول شعراً جيدا ، وله اشعار كثيرة ، ورثاه اخوه فخر الدين بقوله :

لقد شفني وجدي وضاقت مذاهبي وحل عزائي بعد موت المخرمي
أخي وابن امي والذي كان ناظري وسمعي وروحي بين لحمي وأعظمي
رزتك المنايا وكنا(١) ولو انصفت لقد كان من قبل التفرق مأتمي
ترحلت عن دار الفناء مطهراً من الذام فابشر بالسلامة وانعم
فان حال مابيني وبينك تربة مجاورة السبط الامام المكرم

١ لعل الاصل « دوننا » ليستقيم البيت والمعنى .

اليك تراني قد حنثت مطيتي وعن كثب يأتي البشير بمقدمي

فو الله ما أسلوك دون منيتي وحبك من قلبي كما كنت فاعلم

فلا طلعت شمس اذا كنت غائبا ولا سار بدر في الدجى بين أنجم

ولا نسمت ريح الصبا بعد بعدكم ولا راق لي عيش ولا لذ مطعمي

سأبكيك مادامت حياتي فان جرى من الدمع تقصير سأتبعه دمي

وشكري لما اولاك حيا وميتا من البر ماقد كل عن نشره فمي

أبو الطيب الوافي الذي فاق فضله وانعامه أربى على كل منعم

الاشارة بذلك الى شهاب الدين ريحان السكيني فانه وفى له حيا وميتا ، وبالغ في بره وتجهيزه ودفنه ، فانه أوصى أن يدفن في تل قريب من مشهد الحسين عليه السلام وأن يكون تابوته مكشوفا ليس عليه غطاء ولا ثوب ولا يقرأ بين يديه قرآء الألحان بل جماعة فقرآء يقرأون تلاوةً وجماعة يسبحون الله تعالى ويهللونه ويحمدونه ، ففعل ذلك كله .

وفيها ، توفي ابو الحسن علي (١) بن يوسف القفطي المعروف

---

١ ترجمته في فوات الوفيات ٢ : ٩٦ ـ ٧ ومختصر الدول ص ٣٣٠ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٧٦ ـ وترجمه ياقوت في ٥ : ٤٧٧ وما بعدها من معجم الادباء في الاحياء وذكره في ٦ : ١٢٤ ، ١٩٥ ايضا وذكره في الوفيات استطرادا كما في ٢ : ٣٧٦ .

بالقاضي الأكرم وزير حلب ، مولده بمدينة قفط من اعمال الصعيد الأعلى بمصر ، كان غزير الفضل والأدب قد احتوى على فنون العلوم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة ، وفاق في النظم والنثر ، وله تصانيف كثيرة في عدة فنون ، فمن شعره :

ضدان عندي قصرا همتي | وجه حيي ولسان وقاح
ان رمت امراً خانني ذو الحيا | ومقول يطيعني في النجاح
فانثني في حيرة منهما | لي مخلب ماضٍ وما من جناح
شبه جبان فر من معرك | خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وله في أعور :

شيخ لنا يعزى الى منذر | مستقبح الأخلاق والعين
من عجب البحر نحدث به | بفرد عين ولسانين

وكان محباً للكتب ، جمع منها مالم يجمعه أحد ابناء جنسه ، لأنه غالى في أثمانها ، فقصد بها من الافاق ، ولم يكن له ولد ولا زوجة ولم يخلف سوي اخيه ، ووصى بكتبه للسلطان ، فأخذها ولعلها تساوي خمسين الف دينار .

وفيها ، خرج شيحة أمير المدينة في نفر يسير فلقيه جماعة من «بني لام» وكان بينهما دم فحاربوه وقتلوه واحتزوا رأسه وسلبوه ، فملك بعده ولده الأكبر «عيسى» ، وانفذ من احضر جثته ودفنت بالمدينة .

وفيها ، حضر بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مدينة ماردين وملكها ونهب وأسر ، ومن جملة الأسرى «ايدمر» وبدار (١) الكامل ، وكان قد بلغه أنه سبه وشتمه ، فأمر بصلبه .

سنة سبع وأربعين وستمائة

وفي هذه السنة ، قصد الفرنج مدينة دمياط (٢) وحصروها ، فنفذ الملك الصالح أيوب بن الكامل محمد صاحب مصر عسكراً نجدة لمن كان بها من العسكر ، وكان الملك الصالح مريضاً ، فالتقى العسكران واقتتلا قتالاً شديدا ، فكسر المسلمون الفرنج ، ثم عاد الفرنج وقاتلوا

---

١ كذا ورد ، وقد ذكر المؤلف في حوادث سنه ٦٤٢ ان المغول أخذوا ماردين صلحا .

٢ ذكر هذه الحادثة في الوفيات ٢ : ٤٠٦ اختصارا : وفي مختصر الدول ص ٤٥٢ تفصيلا وتاريخ السيوطي ص ٤٧٧ .

أشد قتال واستظهروا على المسلمين فانهزموا ودخلوا دمياط واغلقوا الأبواب ، وكاتبوا الملك الصالح بالخبر ، وكان قد سقاه الطبيب دواء مخدراً وقال : « لا يزعج ولا ينبه » فوصل الكتاب الى خادمه فكتمه ولم ينبهه ولا رد عليه جوابا ، فكتبوا مرة اخرى ، فلم يرد اليهم جوابا ولا أعلمه ، فأرجف الناس في دمياط : بانه قد مات ، فضعفت نفوس أهل البلد والعسكر ايضا ، فاجتمع اهل البلد وعزموا على الهرب والنجاة بأنفسهم واولادهم وأحرقوا ابواب البلد ، فأخذ العسكر يردهم فلم يوافقوا على ذلك ، فنهبوا البلد نهبا شنيعاً فازدحم اهل البلد في الابواب وخرجوا عن آخرهم ، وتلف منهم خلق كثير وبقي البلد خالياً من اهله ومن العسكر ، وقصدوا جميعاً مصر ، فلما علم الفرنج بذلك دخلوا البلد وملكوه بغير كلفة ولا مشقة ، وأما الملك الصالح فانه أفاق من نومه ، وسأل عن أخبار دمياط فقيل له عن الكتب الواصلة وعرضت عليه ، فلما وقف عليها انزعج وانكر على الخادم فعله ، فعرفه أن الطبيب أشار بأن لا يزعج من نومه ، فلما وصل العسكر وأهل دمياط الى مصر ، عزم الملك الصالح على قتل الذين نهبوا اهل البلد فأشير عليه بترك ذلك لأجل قرب العدو

منه فتركهم مدة مديدة ، ثم صلب نيفاً (١) وثمانين زعيما ، واستعاد من من العسكر معظم ما أخذوه من الناس واعاده عليهم .

وفيها ، وصل الخبر الى بغداد أن طائفة من المغول كبسوا ايوان خانقين وما يجاورها ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ونهبوا أغناماً كثيرة وأبقاراً وغير ذلك ، وساروا الى « رانكاو » وفعلوا مثل ذلك وانتقلوا الى البت والراذان واعتمدوا ايضاً .... كذلك ، نجفل الناس من طريق خراسان والخالص ، ودخلوا بغداد ، فخاف الناس وانزعجوا ، وتقدم الديوان الى الأمراء والعساكر بالخروج الى ظاهر البلد ، وتقدم الى كافة اهل البلد برمي النشاب والاستعداد وتعليق السلاح في الأسواق والخانات والدكاكين والمبيت في الأسواق واشعال الأضواء ، ففعلوا ذلك بجانبي مدينة السلام ، ونفذت الطلائع ومعهم الطيور ليخبروا بصورة الحال ، فعادوا وأخبروا أن المغول عادوا ، ودخلوا الدربند بعد ان قتلوا في « دقوقا » خلقاً كثيرا وأسروا جماعة ، وارتكبوا الفواحش بالنساء

١ في مختصر الدول « وكانوا أربعة وخمسين أميرا . فصلبوا »

والصبيان ، فحينئذ دخلت العساكر واطمأن الناس .

وفيها ، نقل فخر الدولة الحسن بن المطلب من مدفنه بالايوان الذي في جامعه على شاطئ دجلة ، حيث وقع حائطه ، الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، تولى نقله النواب الذي ينظرون في وقوفه ، وارادوا نقله الى موضع في الجامع فلم يجوز الفقهاء ذلك وذلك بعد نيف وستين سنة من موته ، وكان في السنة الخالية قد انشق حائط تربة (١) الخليفة المستضيء بامر الله ، فنقل من مدفنه الى موضع في التربة المذكورة ، ونقل معه سبعة توابيت فيها : أخته عائشة المعروفة بالفيروزجية ، وولده ابو منصور ، وولدان للظاهر ، وزوجة الظاهر ، ثم نقلوا في هذه السنة الى الترب بالرصافة ، ونقل أيضا من الحريم الطاهري الى الرصافة : المعتضد بالله بعد ثلثمائة ونيف وخمسين سنة من وفاته ، وولده المكتفي بعد ثلثمائة وخمسين سنة ، والقاهر اخو المكتفي ، بعد ثلثمائة سنة ، وابن اخي القاهر بعد مائتين وتسعين سنة ، والمستكفي بعد ثلثمائة وعشر سنين .

١ كان قد دفن في محلة قصر عيسى من الجانب الغربي وقد ظن المؤرخ الانجليزي المشهور « لسترنج » انه بقي في مدفنه الأول ، لنقص مصادره « راجع تاريخ بغداد على عهد الخلافة العباسية بالانجليزي ص ٨٧ ، ١٩٥ .

وفيها ، كتب انسان فتيا مضمونها : هـل الايمان يزيد وينقص أم لا ؟ وعرضت على جماعة ، فلم يكتبوا فيها ، فكتب فيها ابن وضاح (١) الحنبلي وعبدالعزيز القحيطي ، وبالغا في ذم من يقول : ان الايمان لايزيد ولا ينقص ، ثم سلمت الى فقيه حنفي ، فحبسها عنده ولم يكتب فيها ، فانتهى حديثها الى الديوان وتألم الحنفية من ذلك وقالوا هذا يعرض بذم ابي حنيفة ، فتقدم باخراج ابن وضاح من المدرسة المستنصرية ، ونفي ابن القحيطي عن بغداد ، فحمل الى الحديثة وألزم المقام بها .

ووصل الى بغـداد في هـذه السنة ، شخص صغير الخلقة جداً ، يقال له أبو منصور الأصفهاني ، وطوله ثلاثة أشبار وثلاثة أصابع ، ومن كعبه الى ركبته قبضة ولحيته ، طويلة ، وعمره خمس وأربعون سنة ، فحمل الى الخليفة ، فتقدم له بثياب ومال وأسكن في دار الخلافة وأجري عليه مايحتاج اليه ، ثم نقل الى دار قريبة من دار الوزير ، وكان فيه معاشرة وانطباع .

---

١ هو كمال الدين علي بن وضاح الشهرباني : ذكره علي بن عيسى الاربلي في كشف الغمة ص ١٠٩ ، ١٣٥ وفي بهجة الأسرار ، كما في ص ٢٥ ، ٢٢٧ .

وفيها ، أمر الخليفة بعمارة سور(١) مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، فلما شرعوا في ذلك وجدوا برنية فيها الفا درهم (٢) قديمة منها يونانية عليها صور ، ومنها ضرب بغداد . سنة نيف وثلاثين ومائة ، ومنها ماهو ضرب واسط . يقارب هذا التاريخ ، فعرضت على الخليفة ، فأمر أن تصرف في عمارة المشهد ، فاشتراها الناس بأوفر الأثمان ، وأهدي منها الى الأكابر فنفذوا الى المشهد أضعاف ما كان حمل اليهم .

وفي حادي عشر ذي القعدة ، أمر الخليفة بحمل مشدتين الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، وتعليقهما على القبتين الشريفتين ، ثم تقدم بازالتهما في خامس عشري الشهر المذكور .

وفيها ، رتب محمد بن حسين صدراً بالأعمال الواسطية ، بعد أن فصل عنها ابن يحيي البصري ، واستقل بنظارة البصرة .

وفيها ، توفيت ابنة الخليفة المستعصم بالله ، فأمر بدفنها في الدار

---

١ ورد ذكر هذا السور في كشف الغمة ص ٣ - لعلي بن عيسى الاربلي المذكور .

٢ تقدم في حوادث سنة ٦٤١ وجد ان مثل هذه النقود في مقبرة باب حرب : وقبل ثلاث سنين من طبع هذا الكتاب وجدت مثل هذه النقود قرب الكاظمية .

التي انشأها علي نهر عيسى مجاور « شارع رزق الله » وقنطرة الشوك المعروفة بدار سوسيان .

ولم يحج أحد من العراق في هذه السنة .

سنة ثمان واربعين وستمائة

وفيها ، توفي الملك الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر ، وكان ولده غياث الدين تورانشاه (١) مقيماً في حصن كيفا ، فكتم موته ووصل ولده (٢) فتوجه على البر الي دمشق فدخلها وملكها ، وفرق الأموال على العساكر واصلح أحوال البلد وقرر قواعده ، وخرج متوجهاً الى مصر فوصلها واعتمد فيها مثل ما اعتمد في دمشق ، وقيل : كانت وفاة الملك الصالح في شعبان سنة سبع واربعين ، ولقب غياث الدين بالملك المعظم وانتظمت أموره

١ بضم التاء وسكون الواو ، قال ابن خلكان : معناه ملك الشرق .

٢ ذكر هذه الحادثة في مختصر الدول ص ٤٥٣ وترجمة توران شاه في فوات الوفيات ١ : ٩٧ - ٩٨ » وذكره عبدالله بن فتح الله البغدادي في تاريخه المعروف بالغياثي والقرماني ص ١٩٧ مع ذكر ابيه الصالح . ومختصر الدول ص ٤٥٤ وتاريخ السيوطي ص ٤٧٧ وذكره في كشف الغمة ص ٢٤٩ .

واستقر ملكه ، ففرق الأموال في الأمراء والعساكر وجهزهم وسيرهم الى دمياط فقاتلوا من بها من الفرنج أشد قتال ، فانهزم الفرنج وولوا مدبرين ، وأخذتهم السيوف ، فقتل منهم زيادة على ثلاثين الف انسان ، واسر مالا يحصى كثرة ، واحتمى الملك افرنسيس(١) وجموعه في ضيعة تعرف «بمينا» وطلب الأمان فاجيب الى ذلك ، وتسلموا دمياط وعاد اهلها اليها وعمروا ماتشعث منها وقرر على الفرنسيس مائتي الف دينار ، فرهن عندهم اخاه وولده وجماعة من عشيرته ، فعند ذلك خلي سبيله ، فسار الى بلاده ليحمل المال ، واما الملك المعظم فان الاتراك البحرية انكروا بعض سيرته فتحالفوا على قتله ، وكان رأسهم في ذلك أمير يعرف بعز الدين ايبك (٢) التركماني ، فحضر عند السلطان وهو على المائدة وخاطبه في حاجة ، فغلظ عليه فوثب أيبك وسل سيفه وضرب السلطان ضربة ، فاتقاها بيده ونهض فدخل بيت الخشب ، واغلق عليه

---

١ ترجمته في فوات الوفيات ١ : ٨٣ ـ ٤ وذكر هذه الحادثة في مختصر الدول ص ٤٥٤ ـ ٥ .

٢ ترجمته في مختصر الدول ٤٥٣ ـ ٥ ، والقرماني ص ١٩٧ وذكره في الغياثي ، وتاريخ السيوطي ص ٤٧٧ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٥ : ١١٣ .

بابه ، فقال الاتراك لأيبك : « تم عملك » فأراد أن يدخل عليه البيت فلم يقدر على ذلك ، فدعا بنفاط وأمر أن يرمي البيت بقوارير النفط ففعل ، فعلقت النار فيه فصعد السلطان الى السطح وألقى نفسه الى جهة البحر فاتبعوه وقتلوه ، ثم ألقوه في البحر ، وكان قتله في آخر المحرم من هذه السنة ، وقيل كان ذلك بمواطأة من زوجة ابيه الملك الصالح المعروفة بأم خليل وهو ولد الملك المعظم ، وكان صغيراً فاتفق الترك البحرية على ان يجعلوا أمرهم اليها في التدبير فملكوها وخطبوا لها بمصر وأعمالها ، ونقشوا اسمها على سكة الدينار والدرهم وكان الخطباء يقولون بعد الدعاء للخليفة المستعصم بالله : « واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح خليل أمير المؤمنين » ولما قتل السلطان ثار أسرى الفرنج بمصر وفكوا القيود من أرجلهم وقتلوا خلقاً كثيرا ، فأحاط العسكر بهم وقتلوا منهم زيادة على ثلاثة عشر الف انسان ، ثم ان أم خليل عزلت نفسها من السلطنة في آخر السنة ، وخطب بعدها للمعظم بن اقسيس بن (١) الملك المسعود

---

١ الذي نعرفه ان اقسيس : هو الملك المسعود نفسه ، راجع الوفيات ٢ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، والقرماني ص ٢٢٥

بن . . . وهو طفل .

وفي المحرم ، تقدم بمنع أهل الكرخ والمختارة من النياحة والانشاد وقراءة مقتل الحسين عليه السلام ، خوفاً من تجاوز ذلك الى مايؤدي الى وقوع الفتنة .

وفيها ، صلب حسين بن تاج الدين بن العلقمي نسيب الوزير مؤيد الدين بن العلقمي نفسه ، وكان شاباً ، وسبب ذلك أنه تنابذ هو ويهودي بقال ، فأهانه فشكا منه ، فطلب ليحضر الى دار الوزير فامتنع من الحضور وصلب نفسه .

وفيها ، سأل عالي بن زخريا اليهودي الاربلي أن يرتب رأس مشية اليهود فأجيب الى ذلك وشافهه الوزير به ونفذه الى أقضى القضاة ، فأجلسه بين يديه وحمد الله واثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال له : « قد وليتك الزعامة على أهل شريعتك المنسوخة التي نسختها شريعة الاسلام أدامها الله مادامت السماوات والارض على أن تحكم بين المترافعين اليك منهم ، فتأمرهم بما أمروا به في دينهم وتنهاهم عما نهوا عنه في دينهم » ثم نهض من عنده ولبس طرحته في دهليز القاضي وخرج ومعه جمع من اليهود وأتباع باب

النوبي ومعه تقليده الذي كتب له من الديوان .

وفيها ، أنفذ الخليفة الى الوزير علي (١) بن عمر بن جلدك ، شدة من اقلام ، فكتب الوزير : « قبل المملوك الأرض شكراً للانعام عليه بأقلام قامت عنه أظفار الحدثان ، وقامت له في حرب صرف الدهر مقام عوامل المران ، وأجنته ثمار الأوطار من اغصانها وحازت له قصبات المفاخر يوم رهانها، فبالله كم عقد ذمام في عقدها وكم بحر سعادة أصبح من مدادها ومددها ، وكم منا آدحظ استقام بثقفاتها، وكم صوارم خطوب فلت مضاربها بطروق (؟) مرهفاتها والله تعالى ينهض المملوك بفروض دعائه ويوفقه للقيام بشكر ماأولاه مولاه من جميل رأيه وجزيل حبائه بمحمد وآله :

خولتني نعماً تكاد تعيدلي (٢) عصر الشباب وتدني منه اياما
لم يبق لي أمل الا وقد بلغت نفسي أقاصيه براً وانعاما
تعطي الاقاليم من لم يبد مسألة جوداً فلا عجباً ان تمط اقلاما

---

١ لعل الأصل، علي بن عمر بن جلدك المقدم ذكره في حوادث سنة ٦٤٥ وسيكرر ذكره .

٢ كذا ورد . وهو غير مستقيم ولعله : خولتني انعما كادت تعيد الى .

لأفتحن بها والله يقـدرني مصاعباً أعجزت من قبل بهراما

اذا نسبن الى خط فان لها شـباً اذا اعملته يخرق الهاما

بالحمد والشكر أجريها لدولتكم والرأي يحصد من اعدائها الهاما

طالع المملوك بدعائه الصادر عن ناصح ولائه والامر أعلى واسمى ان شاء الله تعالى . »

وفيها ، حضر الامير سيف الدين علي بن قيران عندالوزير واستاذ الدار ، وانهى اليهما : أنه شاهد العـدل شمس الدين علي بن النسابة خطيب جامع القصر في بستان يعرف بالديلمي(١) ومعه جماعة رجال ونساء وهو على حالة منكرة ، ثم شاع ذلك حتى تحـدث به العوام والأسواق والأكابر في المحافل ، فأنكر الخطيب ذلك وحلف على بطلانه ، بل اعترف أنه كان في البستان المذكور بشبهة أن معظمه وقف على الترب بالرصافة وهو ينظر فيه ، وأن الذين كانوا معه ولده وغلمانه وأصحابه ، فقبل الديوان عـذره غير أن العوام افرطوا في شنعته وكتبوا رقاعا ورموها في الجامع تتضمن الشناعة على الخطيب وامتنع جماعة من الحنابلة من الصلاة وراءه ، ولم يكن في بغـداد

١ كذا وردت ، ولم نهتد صوابها .

من يرجح عليه من الخطباء ، ، وأثني على رجل يخطب بواسط يقال له : « العدل ابو المظفر عبدالله بن العباس الرشيدي » فتقدم باحضاره ، فوصل في يوم جمعة ، ودخل الى الوزير فنفذه الى الجامع واهبته مع فراش وراءه ، فخطب في ذلك اليوم وحضر بكرة السبت عند شيخ الشيوخ ابن النيار فلقيه بالبشر والاكرام وانشده :

فلتهنك اليوم الولاية انها قصدتك من بلد بعيد المنزع

لم تعطها أملاً ولم تشغل بها قلباً ولم تسأل لها عن موضع

وقيل في الخطيب المعزول أشعار ، منها : ما قاله بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية :

قل للخطيب تعزعن شرف مضى وسعادة من جدك المتناهي

ان الخطابة كالخلافة اقسمت ان لا تكون لغير عبدالله

فتعلقت بسمي مولانا كما يتعلق العشاق بالأشباه

ولئن عزلت لما عزلت لريبة بل انت تحت أوامر ونواهي

لكنما الأقدار ليس يردها شرف الجدود ولا علو الجاه

فارج العواطف فهي تجبر كسر من يرميه صرف زمانه بدواهي

وفيها ، توفي عبدالغني بن فاخر ، مهتر الفراشين بدار الخليفة ،

وكان شيخاً ظريفاً لطيفاً ، خالياً من العلم حسن الزي مليح الملبوس
كثير التنعم متشبهاً بالملوك في ترتيب داره ، وكانت داره تشتمل
على عدة حجر ، في كل حجرة جارية وخادم ، تسمى تلك الحجرة باسم
ذلك الخادم ، كانت نفقته في الشهر زيادة عن مائة وخمسين ديناراً ،
عدا ما يحتاج اليه سطح الطيور وهو نحو عشرين دينارا ، وكان
متهوساً بحديث الجن ، يزعم أنه يستحضرهم وينفذ فيهم أمره ، قال
الشيخ تاج الدين علي بن انجب المعروف بابن الساعي (١) رحمه الله :
« قال لي مرة ان جنياً اسمه شمردل تمرد علي وخالف أمري واني
تألمت منه الى ملك الجن فأمر بحبسه » فقلت « وأين ذلك الحبس ؟ »
فقال « في النجف » فكنت أسأله دائما عنه فيقول « هو على حاله
في الحبس » قال : وشفعت فيه مرة ليطلقه ، فقال لي اي شيء
يعجبك منه حتى تشفع في اطلاقه فانه وحش الصورة قذر أحمق
مؤذ ، قلت : فيستتاب ، قال لا والله ، وكنت أعجب منه كيف كان
يقول ذلك بكليته مع دهاء كان عنده ومكر وعدم غفلة ، ورأيت
في حمام داره مخاد جلود كباراً وصغارا ، فسألته عن ذلك ، فقال

هذا الترحم ، يفيدنا أن التاريخ ألف بعد سنة ٦٧٤ المتوفى فيها ابن الساعي .

هذه أجعلها تحت كعبي وركبتي ورأسي اذا نمت لأجل تذليك جسمي ، ووقف داره على المارستان العضدي ، وبنى تربةً في المشهد الكاظمي — على ساكنه السلام — وعمل ضريحاً وصندوقاً وجعل في التربة فرشاً وربعة وقناديل وخادماً ، ووقف أملاكه على التربة والخادم ، ومن يختار المقود هناك من معتقيه ومقرئ وفراش ، وكان عمره نيفاً وسبعين سنة .

ولم يحج في هذه السنة أحد من العراق بل حج جماعة من بغداد على طريق البصرة ، فلما عادوا اخبروا أن ابا سعيد امير مكة أغلق بابها ومنع الناس من الخروج ، وانه اخذ من كل انسان ديناراً عن نفسه وديناراً عن جمله ، وأنه رتب بالحرم الشريف اماماً للزيدية يقول « حي على خير العمل » تقرباً بذلك الى صاحب اليمن (١) .

وفيها ، رتب شرف الدين اقبال الشرابي عماد الدين بن ذي الفقار العلوي مدرساً بالمدرسة التي انشأها بواسط ، حكي أنه لما حودث الشرابي في ترتيبه دخل بعض الخدم وقال له : قد رأيت الليل

١ صاحب اليمن اذ ذاك الامام المهدي لدين الله احمد بن الحسين العلوي « فرجة الهموم ص ٢١ » .

مناماً ، فسأله عنه فقال رأيت علياً - عليه السلام - ومعه سيف في غمد أخضر وقد ناولك اياه وقال لك هذا ذو الفقار ، فأذن في ترتيبه

وفيها ، ظهر العيارون في بغداد ، حتى انهم صاروا يحضرون في جماعة ويأخذون مايجدونه على وجه القهر والغلبة ، ودخلوا بيوت الامرآء وجرحوا وفتكوا ، ودخلوا دار قطب الدين سنجر البكلكي وكان قد أرجف بانه يرتب شحنة بغداد وأخذوا منها جملة كبيرة .

وفيها ، توفي فخر الدين عمر بن اسحاق الدوراقي ، كان يتولى أشغال زعمآء البيات ، وينوب عنهم ، وكان ذا مال كثير فائض ، وجاه عريض ، بنى بشرقي مدينة واسط جامعاً كان قد دثر ، يعرف بجامع ابن رقاقا ، وعمر الى جانبه رباطاً ، وأسكنه جماعة من الفقرآء ، ورتب فيه من يلقن القرآن المجيد ويسمع الحديث ، وأجرى عليهم الجرايات اليوميه والشهرية ، ثم انشأ قريباً من مدرسة الشرابي التي بشرقي واسط رباطاً آخر على شاطئ دجلة ، وتربة يدفن فيها ، ووقف عليها وقوفاً سنية ، وكان قد تجاوز السبعين من عمره .

سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها ، اتبع علي بن أبي الفتح بن أبي الفرج (١) الوزير بن رئيس الرؤساء صيرفياً يهودياً معه مال ، فلما دخل داره هجم عليه وقتله ، وأخذ المال فاستغاثت زوجته فقتلها ايضا ، وخرج فاتبعه الجيران وقبضوه وحملوه الى باب النوبي ، فقتل توسيطاً ، وكان مشهوراً بالفساد مقدماً على فعل المنكرات ، ومن العجب أن أبا الفرج الوزير ركب في موكبه عازماً على الحج فلما وصل باب قطفتا ، عرض له ثلاثة نفر من الباطنية في زي الصوفية وناولوه رقعة ، فلما مد يده ليأخذها قتلوه فقتلوا في الحال ، وجد هذا أبي الفرج وهو الوزير « رئيس الرؤساء » وزير الامام القائم بامر الله لما ظفر به ألب ارسلان (٢) البساسيري قتله بعد أن شهره وصلبه ، وفي تصاريف

١ ذكره في الوفيات « ٢ : ٣٩٧ ، ٣٩٨ » والفخري ص ٢٣٣ الى ٢٣٥ وخلاصة الذهب ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ والكامل « ١١ : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ١٨٧ » ومختصر الدول ص ٣٧٦ .

٢ أصلحناه في حوادث سنة « ٦٤٠ » بصورة « ارسلان » كما هو معروف في غالب كتب التاريخ .

الزمان عبر ، نعوذ بالله ونسأله خاتمة الخير .

وفيها ، توفي محمد بن أبي الفرج بن رئيس الرؤساء ، وكان رجلاً ساذجاً سليم الصدر ، خدم الديوان اكثر عمره ، ذكر أنه صنف كتاباً وهو عدة مجلدات يحتوي على جميع العلوم ، فطلب منه ، فأحضر الجزء الأول فاذا فيه بعد البسملة : « باب فضيلة العلم وما ورد فيه من الآيات والأخبار والأشعار » وباقي المجلد كاغد ليس فيه شيء مكتوب ، فطلب منه الجزء الثاني فأحضره وهو كذلك ، فطلب الجزء الذي بعده ، فقال لم أبوبه ، وله حكايات غريبة منها : أنه أحضر بناءً وأمره ببناء دارٍ يكون حائطها في غاية الاحكام والعرض بحيث اذا شرع العيارون في نقبه من آخر الثلث الأول من الليل يفرغون منه وقت السحر ، فجعل البناء عرضه ست آجرات بالقالب الكبير ، فلما فرغ أمر جماعة أن ينقبوه من الثلث الاول من الليل ففعلوا ففرغوا منه نصف الليل ، فقال للبناء زد ثلاث آجرات أخرى ، وعاش حتى تجاوز الثمانين سنة .

وفيها ، توفي جلال الدين عبدالله بن المختار العلوي الكوفي ، كان عريق النسب ، كبير القدر ، أديباً فصيحاً ، حفظ القرآن في نيف

وخمسين يوما ، وكان اذا حضر مجلساً بسط القول فيه ، واكثر من الحكايات والأشعار والأخبار والسير ، ندب الى صدرية المخزن فاستعفى ولم يجب ، وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام ، وكان يفتي فيه ، ويرجع الى قوله ، ولم يزل على ذلك الى ايام الخليفة المستنصر بالله ، فأشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي عليه السلام — وأفتى بجواز ذلك ، فتوجه الخليفة الى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف ، وكان هو النقيب في ذلك ، ورتب كاتب شرائج الطيور الحمام ولم يزل على ذلك الى ايام الخليفة المستعصم ، وضبط انسابها في الدساتير ، وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وفيها ، ادعى رجل أنه علوي ، وعمل دعوة واستحضر جماعة فيهم رجل معه ولد له صبي فأطعم والده حلواء فيها مرقد ، ثم فسق بولده ، فلما أفاق شكا الى الديوان ، فأحضر الرجل وقرر ، فاعترف فتقدم بصلبه فذكر أن له بالموصل مالاً كثيراً ، وسأل أن يؤخذ منه ويعفى عنه ، فقيل له من أين لك هذا المال (؟) فقال كان في

جواري شيخ مريض وكنت اتولى حاله ، فجعلت له في بعض مايسقى سماً فمات ، فأخذني صاحب الوصل فعرضت عليه نسبي فخلى سبيلي ، وأخذ المال منه ، فلم يلتفت اليه ، وتقدم بعطلبه .

ذكر الشيخ ظهير الدين بن الكازروني — رحمه الله (١) — في تاريخه بخطه ، قال « كنت أتولى عمارة الرباط المستجد ، فجاءني شقاق الصخر وقال لي : قد رأيت عجباً وينبغي أن تشاهده فقمت معه وأراني صخرة قد انفلقت عن موضع قد تمداه المنشار ، وفيه أوراق خضر ودودة تضطرب ، فأخذت الدودة والورقة وجعلته في قرطاس وختمت عليه ، وحملته الى الشيخ صدر الدين بن النيار فحمله الى الخليفة ، فعجب من قدرة الله عز وجل ، ثم ان الخليفة حضر وشاهد الصخرة ولم يكن عليها سبيل من ظاهرها .

وفيها ، وصل رسول صاحب اليمن الى بغداد يخبر أن خارجياً خرج وادعى الخلافة واجتمع معه خلق كثير ، وأنه اخرج اليه طائفة من عسكره وقابلوه فانهزم وقتل اكثر اصحابه .

---

١ هذه الترجمة تفيدنا أن التاريخ الف بعد سنه ٦٩٧ المتوفى فيها علي بن محمد الكازروني هذا .

وفيها ، تزوج مقلد بن احمد بن الخردادي التاجر ببغداد ابنة عم له على صداق مهلفه « مائة الف دينار » ولم يسمع مثـل ذلك الا عن الخلفاء والملوك ، وهذا احمد المذكور قدم بغداد بعد وفاة أبيه وقد خلف مالاً كثيراً ، فأقام بها ، ثم سافر الى خراسان واتصل بملوك المغول وتحـدث مع السلطان كيل خان (١) في الصلح مـع الخليفة وقدم بغداد مع رسول السلطان ، ثم عاد ومعه الهدايا والتحف وتوفي سنة اثنتين وخمسين ببغداد .

وفيها ، نفذ الخليفة المستعصم الى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي بغلة ، فقام وقبل حافرها ، وخلع على عمر بن جلدك الذي أحضرها فأنشد موفق الدين القاسم بن أبي الحديد ارتجالاً :

هنئت ياخير الملوك ببغلة — من مالك متفضل متطول
جاء البشير بها اليك كأنما — جبريل جاء محمد بالدلدل
اخت الحصان وهكذا رتب العلى — تأتي مكملة بغير مكمـل

وفيها ، وصل الشيخ محمد بن الداية الواعظ الى بغداد من تستر وحضر عند الوزير ، وقال « ان الله تعالى أمرني بان استنجد جماعة والتى

---

١ هو كيك خان أو كيوك ، كما في مختصر الدول ص ٤٣٣ وكما نقلناه قبل هذا .

عساكر المغول » فقال له الوزير : أفي المنام قبل لك ذلك ؟ قال لا ثم قال « ووقع لي أني اذ القيتهم لا ابالغ في القتل » فقال لي الله تعالى « بكش » معناه بالعربية « أقتل » ، فأمر الوزير أن يجعل في تربة الشيخ شهاب الدين السهروردي — قدس الله روحه — بالظفرية ، قال الشيخ تاج الدين ابن الساعي صاحب التاريخ « اجتمعت به فرأيته شيخاً مليح الشيبة حسن الهيئة وسألته عن هذه الحال ، فقال لي مثل ذلك ، وقال انما جئت ليرسل الديوان معي عسكراً ، ثم ان الوزير أحضره وأمره بالعود الى تستر الى أن يرى الديوان رأيه فتوجه اليها .»

وفيها ، شرع في بناء المدرسة البشيرية .

سنة خمسين وستمائة

فيها ، وصلت عساكر المغول الى اهل الجبال وأوقعوا بالأكراد وغيرهم ، وقتلوا واسروا ونهبوا وسلبوا ، وسارت طائفة منهم الى أن بلغوا حران والرها ، فأغاروا على ماهناك ؛ ثم عادوا فصادفوا

قفلاً واصلاً من الروم نحو بغداد ، فقتلوا من فيه ونهبوا الاموال فكتب ابن الصلايا والي اربل الى بغداد بذلك ، نخاف أهلها خوفاً شديداً ، وأما المغول فعادوا الى منازلهم بأذربيجان وغيرها .

وفيها ، انحدر الخليفة المستعصم الى واسط متنزهاً ، ثم سار الى الحلة وفي خدمته فخر الدين بن الدامغاني صاحب الديوان ، وكان قد بنى له في الحلة داراً على شاطئ الفرات ، فاستحسنها وأقام بها ثلاثة ايام وعاد الى بغداد .

وفيها ، فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم ولحقوا ببلاد الشام .

وفيها ، فتح الرباط المستجد الذي امرت ام الخليفة المستعصم بعمارته الجانب ترتبها « بشارع ابن رزق الله » وحضر الوزير وكافة أرباب الدولة ، وكان الخليفة في سطحه وعملت فيه دعوة عظيمة وخلع على كل من تولى عمارته .

وفتح الرباط الذي أمرت بتجديده ام الخليفة الناصر مجاور مشهد عبيدالله عليه السلام ، وعمل فيه دعوة ، وكان قد تشعث منذ الغرق وأجري على ما كان عليه أولاً .

وفيها ، زلزلت الارض ببغداد ، وحكي عن الوزير مؤيد الدين أنه قال : تحركت من غير محرك ، وماج ماء بركة كانت بين يديه ، وتواترت الغيوث ودامت ليلاً ونهاراً حتى منعت الناس عن الحركة وسقطت دور كثيرة .

وفيها ، كتب أقضى القضاة سراج الدين النهرقلي الى الوزير يذكر ان المدرسة التاجية (١) قد استولى عليها جماعة من العوام وسكنوا بها وصارت لهم بمنزلة الملك يتبايعون بها ، ويسكنها النساء وتجري فيها أمور ، فتقدم باخراجهم فأخرجوا وسلمت اليه ، فرتب فيها مدرساً وفقيها ، وهذه المدرسة بناها تاج الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي بعد نظام الملك للشافعية ، وجعل مدرسها الشيخ أبا بكر الشاشي ، وفتحت سنة اثنتين وثمانين واربعمائة .

وفي شعبان ، توفي الشيخ أبو الفضائل الحسن (٢) بن محمد الصغاني شيخ وقته ومقدم اهل زمانه في علم اللغة وفن الأدب مع معرفة

---

١ التاجية : مجاورة لمقبرة باب أبرز ، الوفيات ١ : ٢٤٥ وهذه المقبرة كانت مجاورة الوردية أي مقبرة الشيخ عمر السهروردي اليوم .

٢ ترجمه ياقوت في معجم الادباء ٣ : ٢١١ في الاحياء وطبقات الحنفية لمحمد بن عبدالحي اللكنوي ص ٦٣ وذكره في الفخري ص ٢٤٣ وغيرهم .

بعلم الحديث والتفسير والفقه على مذهب أبي حنيفة ، وكان زاهداً عابداً كثير الصمت ، قدم بغداد سنة خمس عشرة وستمائة ، وقرأ الناس عليه وانتفعوا به ، والحقه القاضي محمود بن احمد الزنجاني بالمعدلين ، فلم يحضر مجلس قاض ولا شهد ، ونفذه الخليفة الناصر رسولاً الى ملك الهند ، فعاد بعد مدة طويلة في خلافة المستنصر بالله ، ونفذه مرة أخرى وعاد بعد مدة ، فرتب شيخاً برباط المرزبانية ، فلم يزل الى آخر ايام المستنصر ، ثم نظر في شرط الواقف فوجد فيه : أن يكون الشيخ شافعياً ، فعزل نفسه ، فرتب مدرس المدرسة التشية (١) وكان يتردد الى دار الوزير يشغل ولده عز الدين في الأدب وصنف كتاب « مجمع البحرين » وكتاب « العباب الزاخر ودر اللباب الفاخر » فانتهى منه الى فصل البناء من باب الميم و كتب بخطه « بكم » ولم يتمه ، وتوفي فجأة ودفن في داره ، و كان قد أوصى بذلك وأن يحمل الى مكة ويدفن مجاور الفضل بن عياض ، ففعل أولاده ذلك وتولى تجهيزه ودفنه أصحاب الوزير ، ورثاه عز الدين

---

١ الصواب « التتشية » نسبة الى تتش أحد الامراء : وكانت قريبة من النظامية ، وتسمى البهائية .الوفيات ٢ : ٤٠ .

ابن الوزير بأبيات ، أولها :

تخاطبنا الدنيا خطاب مناصح ... وأسماعنا عما تقول صوادف

تخوفنا والأمن حشو قلوبنا ... كأن سوانا من عنته المخاوف

وترشدنا أحداثها فتري الهدى ... عيانا ولكنا غروراً نخالف

ونرجو من الايام عدلاً لجهلنا ... ويقضي بجور صرفها المترادف

هوت بالصغاني الذي لج قدره ... علواً من الأقدار دهماء قاذف

ليبك عليه العلم ان عاش بعده ... وتندب ان تبق النهى والمعارف

ويقول فيها :

بكاك كتاب لم تتم فصوله ... ودون أماني الرجال صوادف

كذا مجمع البحرين فرق شمله ... وغاص اكتئاباً موجه المتقاذف

لئن أصبح التصحيف بعدك فاشيا ... لقد ألفت بسط الوجوه الصحائف

فحال بني الآداب بعدك حائل ... وبال بني الآداب بعدك كاسف

قضى فقضت أم الفضائل نحبها ... وما حكمها فيما قضت متجانف

ومات حميداً حين لم يبق مشرق ... ولا مغرب الا له فيه واصف

وفي شوال ، توفي علاء الدين الطبرسي الظاهري المعروف بالدويدار الكبير ، كان دويدار الخليفة الظاهر ، وكان حظياً عنده ،

ابتاعه من أباذ (١) مملوك الشرواني وزوجه ابنة «قراطاش» وخوله فلما استخلف المستنصر قدمه وقربه وزوجه ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وأعطاه ليلة دخوله «مائة الف دينار» وأقطعه «قوسان» وكان يحصل له منها من املاك استجدها حدود «ثلثمائة الف دينار» وكان يحب العمارات والمتنزهات ، فمما بناه داره التي بشرقي بغداد على شاطيء دجلة تجاه الرباط المعروف بدار الفلك ولم يكن ببغداد مثلها وعمل بها بستانا غرس فيه النخل والشجر والنارنج ، وعمل له دولابا فاستحسنها الخليفة المستعصم فطلبها منه ، فلم يسمح له بها ، فلما توفي أخذها ، وكان علاء الدين جواداً كريما حسن السيرة مواصلاً لأرباب البيوت ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر عليه السلام ، في الأيوان المقابل لباب الدخول عند زوجته ابنة بدر الدين صاحب الموصل ، ورثاه الشعراء فمما قاله عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد من أبيات :

بأبي الذي فقد الحياة وعوده   لدن وغصن شبابه فينان

---

١ ورد في ص ٢٤١ من الفخري اسم بدر الدين آباز .

تبكيك دار الشط فهي كئيبة   والجسر والشرقي والميدان

ابكيك للأنس القديم وصحبة   كانت وقد تتفرق الأخوان

من زعزع الطود الاشم فدكت الا   أبراج منه وهدت الأركان

فعليك من رضوان ربك رحمة   يغدوك منها الروح والريحان

ومما قاله :

لا تأمن الدنيا وقد   غدر الزمان بالطبرسي

ورماه من بعد العليا   من والسعود بيوم نحس

وكساه ثوباً من ترا   ب بعد أثواب الدمقس

فاحبس عنان النفس فه   ي مقيمة في شر حبس

واقنع من الدنيا بثو   ب لا يساوي نصف فلس

وتقدم بتأمير ولده شرف الدين ، وولد مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير وخلع عليهما ، وحج بالناس قطب الدين سنجر البكلكي .



سنة احدى وخمسين وستمائة

فيها، سير منكوخان (١) الى ماوراء النهر وما والاها، هولاكوقان وأصحبه عدة من اهل بيته، وسير معه جيشاً كثيفاً، فسار من قراقرم اليها وأقام بنواحيها الى أن ملك العراق والشام على ماذكره، وعبر الأمير أرغون الى خدمته فاقره على أعمال خراسان.

وفيها، أضيفت صدرية المخزن الى صاحب الديوان فخر الدين بن الدامغاني فبقي قليلاً، ثم رتب بالمخزن أبو الفضل محمد بن الوزير ابن العلقمي.

وفيها، زادت دجلة زيادة عظيمة غرق بها كثير من مزروعات بغداد وغيرها، وتواترت الغيوث حتى ملأت البلاليع، وصار الماء في الدروب كالغدران، حكى القاضي أبو المعالي القاسم بن ابي الحديد أنه رأى غسالاً بقصمة «بين الدربين» يغسل كما يغسل

---

١ ورد ذكره في مختصر الدول ص ٤٣٤، ٤٥٦، ٤٦٠-٧-٨-٩، ٤٦٠-١-٥، ٤٩١ بصورة مونكلكا.

في شاطئ دجلة ، وأنهى نواب البصرة الى الديوان أنه وقع في آب بالبصرة غيث بل الارض واشتد الحر حتى مات جماعة ممن كان يخرج من قرية الى أخرى يكون بينهما دون الفرسخ .

وفيها ، أعطى رجل سائلاً في بعض أسواق بغداد ديناراً ، فقال السائل : اني أعرف هـذا الدينار وانه فقـد مني في جملة دنانير ، فسأل الرجل عن علامة مافقد منه فذكرها ، فقال : اني وجدت هذا منذ سنة ومازال عندي الى الآن ولم أجد احداً يذكره واخرجته لأتصدق به عن صاحبه وهذا اول دينار أخرجته ، ثم سلم الذهب الى السائل فاغناه عن السؤال ، وقـد ذكر ابن الحافظ النجار في تاريخه : أن رجـلا ضاع منه دملج ذهب وزنه خمسون دينارا ومضى عليه دهر طويل وافتقر الرجل وصار يبيع الزجاج في سلة على رأسه فعثر يوماً فسقط الزجاج وتكسر فبكى واجتمع الناس عليـه فقال : والله لقـد ضاع مني مرة دملج ذهب وزنه خمسون مثقالاً (١) فلم أحزن عليه كحزن هذه السلة ، فقال له رجل ممن اجتمع عليه : أنا وجـدته ولـكني خرجته وأعطاه خمسين مثقالاً

١ هذا يثبت أن وزن الدينار اذ ذاك « مثقال واحد »

ذهباً ، ويقرب من ذلك ويناسبه ماحكاه ابن صليجا (١) ناظر التركات ببغداد ، قال : جاء رجل وقال معي مائتا دينار لبيت المال ، فقلنا ، من اين قال : ان رجلاً غريباً سلم الي ذلك عند وفاته وأمرني أن اوصله الى اخت له سماها في مكان ذكره ، وقد سألت عنها فعرفوني أنها توفيت ، فقبضنا ذلك منه وأنهينا حاله الى الخليفة المستعصم فأمر أن يعطى منها مائة دينار فطلبناه فلم نجده .

وفيها ، أحضر بين يدي الوزير عجل له في سنامه حافر وظلف فحمل الى دار الخليفة فشاهده وأمر أن يحمل في بستان الخلد .

وفيها ، تكاملت عمارة دار الخليفة المستعصم بالحول .

وفيها ، حبس أنسان في بعض الحجر ، فدخل عليه الموكلون به يوماً فلم يجدوه ، فانهوا ذلك ، فحضر من يشاهد محبسه ، فوجده جالساً ، ثم تكرر منه ذلك تارة يفقد وتارة يرى ، فسألوه عن ذلك فقال : كنت في زيارة الصالحين والأئمة عليهم السلام ، فأمر بضربه وتقريره ، فضرب فكان لا يتأوه بل يقول بسم الله ، فاعتبروا طوابيق الحبس فوجدوا فيها خللاً فكشفوه فاذا به قد عمل كهفاً

١ هو محمد بن صليجا المتقدم ذكره في حوادث سنة ٦٤٦ .

يقعد فيه وعنده ابريق فيه ماء ورغيفان ، فقيل له : لم فعلت ذلك ؟
فقال رجاء ان يفرج عني اذا نظرت بهذه العين .

وفيها ، توفي علي بن ابي الفوارس المقرئ الواسطي الخياط
المعروف بالسبر باريك (١) ، قدم بغداد واستوطنها ، وكان حاذقاً في
الخياطة ، قيل : ان الأمير الأرنباي (؟) أحضره ليلة العيد وقد عرض
عليه ثوب اطلس قد اشتط صاحبه في ثمنه فقال : انا أخيطه ولا
اقطعه وتلبسه ، فان رضي صاحبه بما يعطى والا يعد عليه ، فقال
له : افعل ذلك ، ففعل وجاء صاحبه وأصر على الاشتطاط ، ففتق
وطوي وثقل وأعيد عليه ، فلما رآه صحيحاً رضي بما أعطي .

وفيها ، توفي الشيخ صدقة بن وزير الواسطي ، كان احد الصوفية
برباط المأمونية ، ثم ترك ذلك وخدم ناظر حجر البيع ، ثم عزل فانقطع
في زاوية له وهي مشهورة في بغداد .

وتوفي ، زهير (٢) الشاعر المصري المشهور بمصر ، وشهاب الدين
ريحان الخادم كان لاقبال الشرابي ، وكان قريباً اليه ، وكان ذا فضل

---

١ هكذا وردت : وما نعرف حقيقتها لقلة مصادر التاريخ .

٢ ترجمته في الوفيات ٥ ٢١٢ ، ٢١٣ لكنه ذكر أن وفاته سنة ٦٥٦ وهو اعرف
بذلك لانه كان صديقه .

وأدب ومروءة وكرم .

وتوفي ، الشيخ محمد الواعظ وعمره ثمانون سنة ، كان ذا حظوة عند الخليفة الظاهر ، فلما حضرته الوفاة أوصى أن يغسله ، فحصل له من الفرش والآلات مايزيد قيمته على الفي دينار ، وحج بالناس قطب الدين سنجر البكلكي .

سنة اثنتين وخمسين وستمائة

في هذه السنة ، جرت بين أصحاب الشيخ عدي (١) بن مسافر واصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة ، كان سببها أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدي ويكلفهم مالاً على وجه المساعدة ، فأطلقوا ألسنتهم فيه ، فأرسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلوهم قتالاً شديداً ، فانهزمت الأكراد العدوية وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسروا منهم جماعة ، فصلب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل ، وأرسل

١ وهو امام اليزيدية الاموي المشهور ، وقد ترجمناه في مجلة الاخاء المصرية ص ٢١٦ سنة ١٩٣١ ونقلنا هذه الحادثة ، وذكره ابن الاثير ج ١١ : ٢١٧ .

من نُبش قبر الشيخ عديا من ضريحه وأحرق عظامه .

وفيها ، قتل القراطاي بمصر ، وسبب ذلك أنه كان يناوئ أيبك التركماني في منزلته ويضاهيه في مرتبته ، وكانا قد أقاما طفلاً من ولد الملك الصالح ايوب بمصر يخطب له ، ثم للتركماني بعده ، فاتفق أن القراطاي تزوج ابنة نجم الدين غازي صاحب ماردين ، فلما نقلت اليه أشار التركماني عليه أن يختار لها بالقلعة داراً تسكنها ، فلما عزم على ذلك أكمن له جماعة وثبوا عليه وقتلوه والقوا رأسه الى اصحابه ، فتفرقوا ونودي باباحة دوره ودور اتباعه ، فنهبت أموالهم وزالت نعمتهم في ساعة واحدة ، وكان القرطاي شجاعاً جواداً كريماً ، يصل الى يارداريته في السنة حدود خمسة عشر الف دينار ، فلما قتل فارق المماليك البحرية (١) مصر ، وفيهم بيبرس المعروف بالبندقدار ، وكانوا ثلثمائة فارس ، ولحقوا بدمشق وأقاموا عند الملك الناصر صاحبها ، ثم عزموا على الوثوب به ، فنم الخبر اليه ، فاراد القبض عليهم ، ففطنوا بذلك ، فخرجوا نحو الكرك ، فسير نحوهم جيشاً فعرف البندقدار انه لا قبل له بهم ، فأشار باصحابه ان يكمن لهم

(١) اشار الى هذه الحادثة القرماني ص ١٩٧ وذكر منهم قلاوون وسنقر الاشقر .

بنفسه فوافقوه على ذلك فكمن بوادي الكرك ، فلما التقوا واقتتلوا انهزم البحرية خديعة فتبعهم الدمشقيون حتى جازوا الكمين فخرج البندقدار عليهم فيمن معه ، وهو يضرب طبل الباز فأعاد البحرية الكر عليهم فانهزموا وتمت الهزيمة ، فنهى البندقدار اصحابه عن القتل وأمرهم بالسلب فغنموا جميع ما كان معهم ، ثم ان التركماني غيب الطفل الاقدم ذكره ، واستبد بملك مصر وخطب لنفسه بالسلطنة .

وفيها ، وقع ببغداد وأعمالها غيث كثير ، تبعه برد كبار كالبندق واظلم الجو ، فتضرع الناس الى الله تعالى ولجأوا الى الاستغفار ، فكشف الله ذلك ، وزادت دجلة عقيب ذلك وفتحت في الانورج فتحة غرقت كثيراً من الزروع ، وزاد الفرات زيادة عظيمة ، غرقت عانة والحديثة وهيت والفلوجة ، وانفجرت السدود الفراتية جميعها وغرقت الزروع .

وفيها ، وثب غانم بن راجح بن قتادة العلوي أمير مكة بجمع من العبيد على أبيه راجح ، فقبض عليه وقيده وزعم أنه مجنون وحجر عليه ، فسأله أن يخلي سبيله ليذهب حيث شاء ولا يعارضه في

مكة فأعطاه جملاً فحمل عليه وخرج هارباً ، واستقر قاسم بمكة وكاتب الخليفة المستعصم بذلك فاقره عليها .

وفيها ، وصل مكتوب قطب الدين سنجر البكلكي أمير الحاج الى الديوان ، يذكر أن المياه كانت قليلة وهلك جماعة من الحاج والجمال .

وفيها ، أمر الخليفة بوقفية دارسوسيان وما يجري معها من الحجر والبساتين ، وجعلت رباطاً للصوفية ، ورتب الشيخ عبد الصمد ابن أبي الجيش امام مسجد قمرية شيخاً للصوفية بها ، وجعل ولده موضعه في مسجد قمرية ، ثم وقف « دار الشط » المجاورة « لدار الفلك » وجعلت رباطاً للنساء ، وجعلت شيختها الشريفة بنت المهتدي .

وفيها ، توفي فخر الدين محمد بن هبة الله بن الحسن بن الدوامي ، وكان حسن البديهة ظريفاً خليعاً مشهوراً بالنوادر وحدة الخاطر طيب الفكاهة لا يمل جليسه مجالسته ولا تسأم محاورته ، هذا مع وقار وسكون وأدب وفضل ، خدم في عدة خدمات ، وكان يقول الشعر ، فمن ذلك ما كتبه الى شرف الدين اقبال الشرابي يسأله

أن يمكنه من ابتياع دار كانت مجاورة لداره وقد استصلحها وكلاؤه :

انا في الويل من حديث الدار فارحموني قد عيل فيها اصطباري

كل ما قيل لي : قد استصلحوها أتلظى ولا يقر قراري

يامليك الدنيا وياواحد الدهر ويامن نداه كالغيث جاري

ليس فيها معنى يرغبكم والله في أخذها سوى اضراري

ولعمري فان ذلك معنىً مستطاب يلذ للسمار

كل شيءٍ فيها خراب يباب يسخن العين وهي عش الفار

واذا دب عنكبوت على السطح تداعت من سائر الأقطار

لي اليها ضرورة فتطول وتماهد مني مكان اضطراري

وتقدم بانهم يتركوني اشتريها فانها وسط داري

وتصدق بها وعش في نعيم آمنا من شوائب الأكدار

وفي سلخ شعبان ، فتحت دار القرآن التي أمرت بعمارتها والدة الامير أبي نصر محمد بن الخليفة المستعصم المعروفة بباب بشير التي بنت المدرسة البشيرية ، وهذه الدار على شاطئ دجلة بغربي بغداد وتوفيت البشيرية في تاسع شوال من هذه السنة ، ودفنت تحت القبة التي أعدتها بجانب المدرسة المذكورة ، وتوفي بعدها ولدها

أبو نصر محمد في ثاني عشر ذي القعدة ودفن عندها .

وفيها ، ورد خط ابن عبدالباقي الحنفي قاضي واسط من مكة ، وكان قد حج في السنة الماضية ، الى أقضى القضاة سراج الدين النهرقلي يذكر فيه : أنه قد عزل نفسه عن القضاء وجاور بمكة ، فأحضر عماد الدين زكريا القزويني من الحلة ، وكان قاضيا بها ، وقلده القضاء بواسط ، وتوفي ابن عبد الباقي بمكة في رمضان من هذه السنة .

سنة ثلاث وخمسين وستمائة

وفي محرم ، حدثت فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة ، قتل فيها عدة كثيرة من الفريقين ، ودام الشر بينهم ، فأرسل الديوان طائفة من الجند نزلوا بين المحلتين لمنع الفتنة فالوا على اهل الكرخ ونهبوا الدور المتطرفة منها ، ثم أخذوا خطوط المشايخ من أهل المحلتين بكف الجهال عن الشر ، ونصبت أخشاب على أبواب المحلتين لصلب من يثير الفتنة ، فكفوا أنفسهم ، ثم عادوا الى

ذلك في ذي القعدة ، فخرج العسكر لكفهم عن ذلك ومنعهم فلم يمتنعوا وقتل بينهم خلق كثير ، ثم اصطلحوا ظاهراً ، فعاد العسكر عنهم ، وتجدد بسبب ذلك بين محال أهل بغداد فتن من اجل المذهب ، فكفهم الديوان ومنعهم .

وفيها ، وقعت غيوث كثيرة بالموصل وبغداد وزادت دجلة زيادة عظيمة غرقت كثيراً من بغداد واعمالها ، وزاد الفرات فغرقت عانة والحديثة وهيت والحلة واعمالها والكوفة واعمالها واحاط الماء بجامعها وبلغ النجف (ثم هبت ريح عاصف ألقت زيادة على ثلاثة آلاف نخلة من نخل الكوفة ، وكذلك من نخل السيب وتلف بالغرق نحو سبعين ألف نخلة) والتقى مآء دجلة والفرات واجتمعا عند قوسان ، وأتلف كثيراً ، ووقعت مسناة مسجد معروف (١) — رحمة الله عليه — وهو على شاطئ دجلة تحت مسجد قرية بسبب الغرق ، ولم يزل خراباً الى أن عمره ضياء الدين وهو خال الصاحب علاء الدين عطاء ملك بن محمد الجويني في سنة أربع وستين

---

١ . الظاهر أنه المسجد المعروف اليوم بجامع باب السيف في الجانب الغربي غرب الجسر العتيق من الجنوب .

وستمائة وتممه الصاحب شمس الدين أخوه ، وتولى ذلك بهاء الدين بن الفخر (١) عيسى الاربلي المنشئ بالديوان سنة ثمان وسبعين وستمائة .

وفيها ، كثر فساد العيارين ببغداد ، فكانوا يسلبون عمائم الناس ويأخذون ثيابهم من الحمامات ظاهراً ، ويقتلون من ظفروا به من اتباع صاحب الشرطة ، ونهبوا دكاكين « درب زاحل » ، وصار الناس معهم في ويل عظيم .



١ هو علي بن عيسى الذي نقلنا من كتابه كشف الغمة ، وترجمته في فوات الوفيات « ٢ : ٦٦ - ٧ » وروضات الجنات ص ٣٩٦ - ٧ .

(تتمة أخبار سنة « ٦٤٣ » [1])

في يوم الأحد ثامن ربيع الأول، استدعي مؤيد الدين ابو طالب محمد بن العلقمي استاذ الدار الى دار الوزارة فركب من داره المقابلة لباب الفردوس ، في جمع عظيم من حاشية دار الخليفة ، فلما خرج الى ظاهر باب النوبي خرج جميع الحجاب من دار الوزارة وتاج الدين علي بن الدوامي حاجب باب النوبي ، فتلقوه وقبلوا يده ومشوا بين يديه الى منتهى الدهليز الأول ، وعضده في نزوله حاجب الباب ابن الدوامي ، ونثر عليه سراج الدين علي بن النحلي (؟) ناظر دار الضرب ذهباً وفضة عند دخوله ، و لم يخلع عليه ، و كان كنبوش فرسه لما كان استاذ الدار ابريسماً ، فرفع وجعل عوضه صوف مسنح جرياً على قاعدة القمي ، ثم دخل وجلس في صدر الايوان في المسند ، واستدعى كافة ارباب الدولة والزعماء ، ماعدا الدويدار

---

١ ذكرنا في ص ١٩٦ عنوان ترتيب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي في الوزارة ولم نر معه في الاصل « وصف التعيين » والآن قد وجدناه مع كثير من الحوادث مدغما في حوادث هذه السنة ٦٥٣ وهذا من خلط النساخ وتخليط المجلدين ، ومما يؤيد رأينا : انه سيذكر في حوادث هذه السنة ٦٥٣ وفاة الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد مع ان وفاته كانت في سنة ٦٤٢ كما في الفخري ص ٢٤٤ او سنة ٦٤٣ على الصحيح .

الكبير والصغير ، فانهما لم يحضرا عقده جريا على عادتهما مع من كان
قبله ، و كتب انهاءه صورته « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من
تاويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا
والآخرة ، مثل المملوك بخدمة الديوان العزيز ظاهر الله تعالى
جلاله وأسدل على الاسلام واهله أورقة ظلاله ، متشرفا بلثم صعيده
والانتظام في سلك اوليائه المخلصين وعبيده ، رافعا من أدعيته الصالحة
متمسكاً من الامحاض في العبودية بكل ما يطيل أمد المواظبة عليه
ويديمه ، راجيا أن يوفقه الله تعالى من الخدمة لما يقربه زلفي ،
آخذاً من المبالغة في الطاعة الواجبة بالنصيب الأوفر والقسم الأوفى
وسيستفرغ في الخدمة جهده ويتجاوز في المناصحة دوا به الثاني ،
غاية من لم يقم بما يجب عليه وحده بتوفيق الله تعالى واعانته ،
وارشاده الى سبل الواجبات وهدايته ، وعن الهمة العلية المقدسة ،
النبوية ، وتثقيف الآراء الشريفة المستعصمية ، زادها الله تعالى شرفا
وجلالاً ، وللآراء المقدسة المعظمة النبوية أجلها الله تعالى في تامل
خدمته المشتملة على صالح أدعيته من يد الجلال والقدرة ان شاء الله
تعالى » ، فبرز الجواب على رأسه بيد صلاح الدين عمر بن جلدك فقراه

وسلمه الى صاحب الديوان فخر الدين ابي سعيد المبارك بن المخرمي وأمره ان يقرأه على الجماعة فقرأه وصورته : « وقف على خدمتك المشتملة على دعاء توالیه ، وانهاء تعيد الاخلاص فيه وتبديه ، وعلم ماذكرته وعرف ماأردته ، رزقك الله تعالى توفيقا بالتمسك بحبله وهداية الى طريق الارشاد وسبله بكرمه وفضله »وكان علي السحاه(؟) النائب بالديوان ، ثم انشده الشعراء المدائح والتهاني ولم تزل المقدمات ترد عليه مسجاة كما ذكرناه الى خامس عشر ربيع الاول ، ثم تقدم اليه ان يعرض مطالعاته في كيس ابريسم اسود مختوم ، ويبرز الجواب اليه كذلك ، واذن لمملوكه المنفذ بالمطالعات أن يدخل باب الحرم راكبا .



ذكر ولاية ابن الجوزي

استاذ الدار (٦٤٣)

في تاسع ربيع الاول ، مضى صلاح الدين عمر بن جلدك الى محي الدين يوسف بن الجوزي ، وهو في منزله بباب الأزج ، فاستدعاه فركب وقد رفع الطرحة الى الدار المقابلة لباب الفردوس ، المرسومة بسكنى الاستاذ دارية ، واجلسه في المنصب من غير أن يخلع عليه ، وشافهه بالولاية . ودخل الناس اليه مهنئين له ، وركب من الغد في جمع عظيم الى دار الوزير فجلس عند مؤيد الدين نائب الوزارة ساعة ثم عاد الى داره ، وفي هذا اليوم كان أقضى القضاة عبدالرحمن بن اللمغاني جالساً عند الوزير هو وجماعة من المدرسين في البستان ، فنزلت حمامة ووقعت على رأس أقضى القضاة وبقيت زماناً طويلاً ، فأنشد العدل موفق الدين بن أبي الحديد الكاتب. ارتجالاً :

قد قيل في وصف النبي وصحبه   في ما سمعناه من الأخبار

كانوا كأن الطير فوق رؤوسهم   فالآن شوهد ذاك بالأبصار

ذكر ولاية ابن المظفر

وكيل الخليفة سنة (٦٤٣)

في ثاني عشر ربيع الأول ، رتب الخليفة المستعصم بهاء الدين عبدالوهاب بن المطهر ، وكيلاً عنه ، وأشهد عليه بذلك الشيخ العدل شمس الدين علي بن النيار ، وجعله في هذه القضية قاضياً وشافهه بذلك ، فكتب « شرفني سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفرض الطاعة على كافة الأمم ، عبدالله ووليه وخليفته ووارث نبيه ومحيي دينه ومؤيد شريعته ابو أحمد عبدالله المستعصم بالله أمير المؤمنين أعز الله به الدين ونصر بدوام أيامه الاسلام والمسلمين ، وأحيا بسيرته الشرع المطهر وأعلن بدولته معالمه وأظهر بالحضور بين يدي شريف سدته ، والمثول بمعالي حضرته ، وبالاشهاد على نفسه الشريفة المقدسة بجميع ماتضمنه هذا الكتاب في تاريخ كذا ، وكتب العبد علي بن محمد بن النيار حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله محمد النبي وعلى

آله أجمعين، داعياً لسيدنا ومولانا الامام الأعظم والسلطان الأقوم بتشييد قواعد جده ومجاورته في التأييد سنن الائمة آبائه والقائم جده محمد النبي وآله »، وأحضر الشيخ عنده عدلين، وأشهدهما عليه أنه ثبت عنده وكالة المذكور، فمضيا الى أقضى القضاة كمال الدين ابن اللمغاني وشهدا عنده بذلك، ثم خلع على ابن المطهر في دار الوزير وشرفه بالوكالة مضافاً ذلك الى وكالة باب طراد ودار التشريفات.

ولاية شيخ الشيوخ سنة (٦٤٣)

كان الشيخ شمس الدين ابو المظفر علي بن النيار مختصاً بخدمة الخليفة منذ كان صغيراً وحذقه الخط وحفظه (١) القرآن المجيد، فلما أفضت الخلافة اليه رعى له حق الخدمة وقربه وعول عليه في كليات الأمور، فلما توفي الوزير (٢) بن الناقد خاطبه في تقليد الوزارة، فأبى هذا فيها وقال: اني عاهدت الله أن لا أغير لبس المتصوفين ولا أنزع عني ما تعودته، فقيل له: نحن نوافقك على ذلك، بحيث تؤرخ

١ تقدم في ص ٧١ تحفيظه اياه القرآن الكريم سنة ٦٣١ والخلع عليه.

٢ ستأتي وفاته بعد هذا، والسياق يقتضي تقدمها ولكنهما في سنة واحدة.

الناس أن شخصاً يختص بنا ندبناه الى الوزارة فأبى أن يغير زيه فاجبناه الى ذلك : فقال لأن تؤرخ الناس أن شخصاً متصوفاً حسن فيه الظن وندب الى الوزارة فامتنع أحسن من ذلك ، فحينئذ فوضت اليه مشيخة الشيوخ ببغداد وسلم اليه رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله ، وخلع عليه في دار الوزارة قميص مصمت أبيض وبقيار قصب ابيض مسكن ، وخوطب بشيخ الشيوخ ، فمضى الى الروضة وصلى ركعتين ، وحضر بالرباط المذكور وقرئت الختمة ودعى للخليفة ، ثم عاد الى داره ، فكتب اليه موفق الدين بن أبي الحديد تهنئة وقال في آخرها :

هنا آن في يومين فالبر واحد ... وبالمنصب الوفي على الوصف واحد

دعيت به شيخ الشيوخ وانها ... خصيصة نفس زينتها المحامد

أتاك شفاء ثم اصبحت مثله ... شفاء لأرواح لها منك وارد

تعلمها طرق النجاة وتنتهي ... بها حيث لا تنحل منها العقائد

فلو أن صنف العابدين تجمعوا ... لديك لقالوا ما يضاهيك عابد

أقمت لنوع الفضل سوقاً فكلنا ... عليها على قدر البضاعة وافد

فما الزهد متروك ولا العلم مهمل ... ولا الخير مهجور ولا الفضل كاسد

اذا لم يكن بالمسند المرء عالما فلا خير فيمن صدرته المسانـد

ثم اضيف اليه مشيخة رباط المرزبانية .

ذكر قتل خليل بن بدر الـكردي

كان أحد زعماء ارسغان فخرج عن طاعة الخليفة والتجأ الى المغول وكان يلبس زي القلندرية ويزعم أنه من أصحاب الشيخ احمد بن الرفاعي وأظهر الاباحة ، فاجتمع عليه خلق كثير ، وكان يشرب الخمر ويأكل الحشيش المسكر ، فخرج معه جمع كثير من المغول وغيرهم وقصد نواحي اللحف ونهب جماعـة من رعية سليمان شاه وقتلهم ثم حضر قلعة وهار وهي لسليمان شاه ، فخرج اليه في خلق كثير فالتقوا واقتتلوا من ضحى النهار الى العصر ، فقتل من اصحاب خليل ومن المغول الف وستمائة فارس وراجل ، وانهزم خليل ، فظفر به بعض اصحاب سليمان شاه وأراد قتله فوعده بمال كثير فلم يقتله . فأخذه أسيراً ، فمر به قوم من التركمان من اصحاب سليمان شاه ، كان قدقتل منهم جماعة ، فقتلوه وحملوا رأسه الى سليمان شاه فأمر بتعليقه على باب خانقين فعلق .

وفيها ، عزل الشيخ رضي الدين الحسن بن محمد الصغاني عن مشيخة رباط المرزبانية لكونه حنفياً ، وشرط الواقف أن يكون شافعياً ، وأضيف الرباط الى الشيخ ابن النيار ، ورتب الصغاني مدرساً بمدرسة خمار تكين التتشي ، وخلع عليه وحضر المدرسة وخطب خطبة فصيحة وذكر عشرة دروس وأنشد عند فراغها :

فهاكم يا سادتي ... مني دروساً عشره

فأنتم معادن الفـ ... ـضل الكرام البرره

ولست حبراً عالماً ... لكنها محبره

فلتعذروا أخاكم ... فمثلكم من عذره

وفيها ، قبض على صدر المخزن فخر الدين محمد بن أبي عيسى ووكل به واحتيط على داره ، وقبض على انسابه واصحابه ، وسلم ما كان يتولاه من الأعمال وهي طريق خراسان والخالص والراذان الى عميد الدين منصور بن عباس مشرف المخزن وجعل حديث المخزن ورواضعه الى فخر الدين محمد بن ورد النائب به .

وفي حادي عشر تشرين الأول ، كان حر شديد بحيث كان الانسان ينطف عرقاً ووقع غيث وبرد .

وفيها ، رتب جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي مدرساً للطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية ، وخلع عليه وأعطي بغلة ، وتقدم الى صاحب الديوان فخر الدين بن المخرمي وجميع أرباب المناصب بالحضور الى المدرسة فحضروا ، ورتب اخوه شرف الدين عبدالله محتسباً ، وخلع عليه من غير أن يشهد عند القاضي ولم يعلم ان محتسباً تولى غيرشاهد سواه ، وقد نظم عز الدين أبوالحسن علي بن أسامة العلوي قصيدة يهنئ بها استاذ الدار بما تجدد لولديه ، يقول فيها :

مولاي محي الدين يامولى به ... كل البرية في الحقيقة يقتدى
أنت المهنأ بالذي قد خولا ... ولداك أم نفس العلى والسؤدد ؟
وهل البشارة للمراتب والذي ... ولياه ام لك يا كريم المحتد ؟
قد قلت حين رأيت كلاً منهما ... كالبدر في جنح الظلام الأسود
هذان ماخطبا المراتب انما ... خطبتهما لمناقب لم تجحد
وهما من القوم الألى خدماتهم ... شرفاً تصير لسيد عن سيد
ولأنت مولانا المليك من الورى ... وهما أحق بمسند وبمسند
أنتم لدين محمد شيدتم ... علماً به وكذاك مذهب احمد

فالله يجزي الخير كلاً منكم عن احمد وعن النبي محمد
وكذاك يرعاكم بعين عناية ويمدكم منه بعمر سرمد

وفيها ، أضيف النظر بالأعمال الواسطية الى محمد بن(١) يحيي ناظر البصرة ونفذت اليه خلعة .

وفيها ، أهدي الى الخليفة غراب أبيض كله ، ونظم الشعراء في ذلك اشعاراً كثيرة ، منها : قول جمال الدين ابي الحسن علي بن المخرمي من أبيات مدح بها الخليفة :

ومالون الغراب بياض شيب ولكن نور عدلك يا امام
فعش للملك ماوخدت قلوص وراكبها وما ناح الحمام
يزيل البؤس والغماء عنا ويكلؤك المهيمن والسلام

وفيها ، قبض جماعة من أتباع باب النوبي رفيقاً للرندي ، فبلغه الخبر وهو في حمام بسوق السلطان ، فخرج مسرعاً حتى وافاهم بعقد الأكافين ، وشهر سيفه وجرح منهم جماعة واستخلصه وعاد ، فأباح الخليفة دمه ، وهذا الرندي من أولاد المماليك الأتراك تعرض به

١ تقدم فصله هذه من الاعمال الواسطية في حوادث سنة « ٦٤٧ » فهذه حوادث سنة « ٦٤٣ » كما قدمنا .

وهو صبي شاب تام الخلقة فضربه بسكين فقتله نهاراً في سوق العميد وهرب فاختفى أياماً ، ثم توجه الى عمه وكان في «زردة» فاحتمى به ، فبلغ الخليفة ذلك فأمر باحضاره مقيداً فلما أحضر قرر فلم يعترف بشيء فأمر بحبسه ، فبقي الى خلافة المستعصم بالله فصونع ورثة المقتول بشيء حضروا وسألوا الافراج عنه ، فاجيبوا الى ذلك .

وفيها ، انقطع الحج من العراق بسبب اختلاف العرب واشتطاطهم في الطلب وقلة المياه في الطريق ، ولاشتغال الديوان بحركة عساكر المغول .

وفيها ، ولي فخر الدين ابو منصور نصرالله بن عبدالرشيد قضاء الجانب الغربي ونهر عيسى وخلع عليه ، ونفذ الى قاضي القضاة ، ومعه حاجب يعرفه أنه قد أجري على قاعدة من تقدمه من غير أن يتقدم اليه باستنابته ، فمضى واسحل (١) من الخليفة .

وفيها ، وصل الى بغداد رسول من المغول ، وأعيد ونفذ معه القاضي ابن عبد الرشيد المذكور وفلك الدين بكشر أمير آخور حاجب علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير .

---

١ كذا وردت ولعلها « أسجل » من أسجل الكلام أي أرسله .

وفيها ، جرى معتوق (١) الموصلي المعروف بكوثر الكلام من دقوق ، ساعياً على قدميه ، فوصل كشك الملكية ودخله ، وكان الخليفة هناك ومعه الشرابي وهو استاذه ، ثم خرج من الكشك وعاد الى الوقف ، ثم رجع الى الكشك ، وقد تخلف من النهار ساعة ونصف ، فقبل الارض بين يدي الخليفة ، فتقدم له بخمسمائة دينار وأعطاه الشرابي ثلثمائة دينار ، وحصل له من ارباب الدولة شيء كثير .

ذكر وفاة الوزير نصير الدين أبي الازهر احمد بن الناقد (سنة ٦٤٣)

كان من اولاد التجار المعروفين ، حفظ القرآن المجيد وأدأب نفسه في تحصيل الأدب وتجويد الخط ، فلما توفي والده رد اليه ما كان يتولاه وهو وكالة أم الخليفة الناصر في وقوفها ، ثم عزل

١ تقدم في سنة ٦٢٦ قتله الداعي على الاربلي اياه .

ورتب خواجه نور الدين ككسنقر الخاني ، ثم عزل فانقطع في بيته
فلما ولي الظاهر الخلافة أحضره ووكله لأولاده العشرة ،
وكان بينهما رضاع وصحبة من الصغر ، فلما توفي الظاهر و بويع
ولده المستنصر بالله أحضره يوم مبايعته ، وأشهد له بوكالته ، فبقي
على ذلك الى أن توفي استاذ الدار ابن الضحاك في سنة سبع وعشرين
وستمائة ، فأضاف اليه استاذية الدار ، فلم يزل على ذلك الى أن
قبض على الوزير مؤيد الدين القمي في سنة تسع وعشرين وستمائة
فنقل الى الوزارة ، والوكالة باقية عليه ، وكان يركب في أيام الجمع
ويحضر عند الخليفة ويفاوضه في الأمور ، فعرض له ألم المفاصل
فعجز عن الركوب والحركة والكتابة والجري في الكلام ، ولم
تتغير منزلته ولا وهت حرمته ، ثم عرض له اسهال فتوفي ليلة
الجمعة سادس ربيع الاول من السنة ، فدفن في مشهد موسى بن
جعفر — عليه السلام — في تربة اتخذها لنفسه ، ووجدوا في خزانته
صندوقا مملوءاً ذهبا ورقعة فيها مكتوب بخطه : « هذا من فواضل
أنعم مولانا وصدقاته وهو من استحقاق بيت المال » فأمر بحمله الى دار
التشريفات ، فذكر أنه كان به مائة الف دينار ، وكان حسن الطريقة

متدينا اديبا ، يقول الشعر ، وينشئ الرسائل ، و كان مولده في شوال سنة احدى وسبعين وخمسمائة .

وفي هذه السنة ، توفي جلال الدين عمر بن السلطان الملك الصالح ايوب صاحب مصر بن الملك الكامل ابي المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر محمد بن ايوب بن شادي ، كان شابا حسنا ، حبسه عم ابيه الملك الصالح صاحب دمشق ، وأشاع انه مات حتف انفه .

وفيها ، توفي خواجه حسين بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي ، أخو الوزير ، قدم مع أخيه وانقطع في دار مجاور داره ، وانقضى عمره على ذلك ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — .

وفيها ، توفي نقيب النقباء بهاء الدين أبو طالب الحسين بن احمد ابن المهتدي بالله ، كان خطيبا بجامع الخليفة ناظرا في وقوف ترب الرصافة ، ثم ولي نقابة العباسيين ، وأقر على الخطابة ، فمرض يوما واحدا ومات ، ولم يعرض له في مدة خطابته مايقطعه عنها ، وكان مولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

ذكر ماجرى بين الوزير والدويدار

تتمة حوادث سنة (٦٥٣)

وفي هذه السنة ، نسب الى مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير أنه يدبر في خلع الخليفة المستعصم والمبايعة لولده الكبير ، فانزعج لذلك وأقسم بالأيمان المعتبرة أن ماعنده مما نسب اليه علم ، وسأل ان يواقف مع من قال عنه ذلك ، وكان قد نسب هذا القول الى فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير ، والى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ، فاستوحش منهما وخاف على نفسه وجمع عساكره اليه وباتوا تحت السلاح ، وفعل الوزير أيضاً مثل ذلك ، وكانوا مستعدين ، فراسله الخليفة بنجم الدين عبد الغني (١) ابن الدرنوس ، وسكنه ، فلم يسكن وأصر على الجمع بينه وبين من قال عنه ، ووقعت وقعة عظيمة بين عوام سوق المدرسة

---

١ ورد ذكره في « ص ٤٧٣ - ٤ » من مختصر الدول و « ص ٢٦ - ٧ » من الفخري .

ومشرعة الصباغين ، بسبب الحديث في ذلك ، وقتل فيها خلق كثير وجرح عالم عظيم ، فاشتد خوف الناس لذلك ، ثم انكشف الشر ، واستمر حال مجاهد الدين على المقاطعة وآثر الخليفة ازالة ما في نفسه ، فكان يكثر من الجواز بالشبارة تحت داره مصعداً ومنحدراً ، ثم ان فخر الدين بن (١) الدامغاني صاحب الديوان راسل الدويدار وضمن له القيام بما يرضى به ، وتردد القول بينهما على لسان بهاء الدين داود بن المختار ، فسأل الدويدار ان يكتب له أمان بخط الخليفة ويقرأ في جمع من العالم ، فقال له صاحب الديوان « انا افعل ذلك واحضر في دارك وتنجد انت الى الخليفة وتسمع كلامه واكون في دارك الى ان تعود اليها فاجاب الى ذلك » فركب صاحب الديوان اليه فتلقاه خواص الدويدار من الباب وسألوه الدخول راكباً فابى ونزل على الباب ، ففرش تحته وتحت فرسه أثواب اطلس ، وتلقاه الدويدار ومعه اولاده واعتنقا ، ثم جلسا ، وجاء ابن الدرنوس ومعه الأمان ، فتلقاه الدويدار وصاحب الديوان وقبل الارض ،

---

١ تقدم خبر تعيينه لصدرية ديوان الزمام في ص ٢٠٣ لسنة « ٦٤٣ » فالآن رجعت الأخبار الى ترتيبها السنوي السابق .

فتناول الدويدار الأمان وجعله على رأسه وسلمه الى صاحب الديوان فقرأه على الدويدار واصحابه بصوت عال ، وكان صورته بعد البسملة « قد أمنا مملوكنا الخاص لدينا أيبك بأمان الله سبحانه وأمان رسوله — صلى الله عليه وسلم — وأماننا حاضراً ومستقبلاً في نفسه واولاده وما في يده من كل ما يتمول وما خول ويخول، أماناً مزيلاً اسباب الارتياب تساوى فيه لفظنا وضميرنا لعلمنا صحة تدينه ونزاهة سره وعلنه ، فليثق الى ذلك ، فله علينا عهد الله وذمته ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما ، وكتبناه في جمادى الآخرة سنة اربع (١) وخمسين وستمائة » ثم استدعاه ابن الدرنوس ، فنزل في شبارة ومعه ولداه ، فلما دخل دار الخليفة ووقع نظره عليه قبل الارض ووقف مطرقاً فأذن له في الجلوس وقال له « ماخطر ببالنا صحة مانسب اليك فطيب نفسك » فبكى ، ثم عدل به الى الرواق ، وخلع عليه وعلى ولديه ، ثم قلد سيفاً كان بين يديه وقال « هذا سيفنا لسيفنا » فقبل الارض ، وعاد وابن الدرنوس معه ، فقدمت له شبارة الخليفة فقبل صدرها ، وكشف الفرش وقبله ووقف في

١ ترتيبها السنوي يقتضي حدوثها في سنة ٦٥٣

وسطها ولم يقعد ، ونزل ولداه وابن الدرنوس في شبارة أخرى ، فلما قرب من داره نثر على ابن الدرنوس طبق ذهب وطبق فضة في وسط الشبارة ، ثم صعد واجتمع بصاحب الديوان وجماعة من الزعماء وقد مت الأطعمة وضربت البشازات على بابه ، وخلع على ابن الدرنوس وأعطاه خمسمائة دينار ، وخلع على الفراشين الذين كانوا صحبة ابن الدرنوس ، واعطى كل واحد مائة دينار ، وخلع على باقي الملاحين ، وتقدم الخليفة الى المدرسين في المستنصرية ان يقولوا بعد الختمة كلاما خلاصته « ان الأمير مجاهد الدين أيبك الخاص مولى أمير المؤمنين لم يثبت عليه عند مولاه ومالكه شيء مما نسب اليه وفقه الله تعالى والخلائق للتمسك بطاعة أمير المؤمنين والاخلاص في ولائه واوزعهم واياه شكر مراحمه العميمة وانعامه » فسأل الدويدار أن يحضر المدرسون عنده فحضروا فخلع عليهم ، ومدح صاحب الديوان في هذه النوبة بأشعار ، منها قول ابن البقال :

مولاي يامن فاق أسلافه   في كل فضل بين خصمين
لاغرو أن اصلح ربي بكم   بين فريقين عظيمين

ونظم عبد الله بن جعفر الكاتب قصيدة تتضمن صورة الحال مفصلاً ، اولها :

الحمد لله بان الحق واتضحا وخاب واضع هذا الافك وافتضحا

فقال الدويدار : ما الافك ؟ فقال : الكذب ، فقال : بل واضع ذاك الخلط ، وهي طويلة .

ذكر الفتنة بين اهل ابي حنيفة والرصافة

وفيها ، وقع بين اهل محلة الرصافة ومحلة أبي حنيفة والخضيريين(١) فتنة أفضت الى محاربة شديدة ، استظهر فيها أهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على أهل الرصافة ، وطردوهم الى باب المحلة وركبهم السيف ، فدهمهم الليل ، فازدحموا للدخول ، فمات منهم جماعة نحو ثلاثين نفراً ، وحصروهم ومنعوا أن يدخل اليهم شيء حتى الماء من

---

١ بالتصغير . ومحلتهم كانت في شمالي محلة الامام أبي حنيفة قرب محلة الصليخ الحالية « عن تاريخ لسترنج ص ١٧٣ ، ١٩٧ ، ٨ »

دجلة ، فأضربهم ذلك ، فنفذ شحنة بغداد من زجر أهل محلة أبي حنيفة ، وكفهم عن الشر ، ثم انهم اقتتلوا بعد أيام وجرح بين الفريقين خلق كثير ، وقتل جماعة ، واستظهر أهل محلة أبي حنيفة والخضيريين على اهل الرصافة ، وباتوا تلك الليلة واستعدوا للقتال وعزموا على احراق محلة ابي حنيفة ، وعبر من أهل باب البصرة لمساعدة اهل الرصافة خلق كثير ، ومن اهل الكرخ لمساعدة الخضيريين ، فحضر أصحاب الشحنة وكفوهم ، فتفرقوا ، ومنعوا اهل الرصافة أن يدخل اليهم شيء فبقوا على ذلك أياماً ، ثم أحضر الى الديوان جماعة من مشايخهم واعيانهم ، واخذت خطوطهم بكف الاشرار ، ومنعهم عن الفساد ، وأحضر جماعة من محلة أبي حنيفة ، وأصلح بين الفريقين .

عدة حوادث

في هذه السنة ، توفي الملك العزيز يوسف بن يعقوب بن الملك العادل بدمشق .

وتوفي أمين الدين كافور الخادم الظاهري ، وكان كثير الخير

والصدقات والمواصلات ، حج مراراً كثيرة وتولى دار التشريفات وكان قريباً من اقبال الشرابي حاكماً في دولته ، ودفن في مشهد الحسين عليه السلام .

وتوفي عمر بن جلدك الطالماتي ، وعمره تسعون سنة، كان من فراشي سدة الخليفة ، وكانت المطالمات تبرز على يده من الخليفة الى الوزير .

وتوفي أبو الفضل بن أبي الخير بن المسيحي الجاثليق (١) ببغداد وقد تجاوز التسعين وولي بعده مار ميخا النصيبي ، وكان أديباً فاضلاً .

وتوفي ، علي بن محمد بن عمار ، أحد حجاب الناطق ، كان شاباً نشأ في الجاه والحرمة ، وأحضر له والده المؤدبين فلم يحصل طائلاً لكنه كتب خطاً حسناً ، وكان معجباً بنفسه ، مبالغاً في ملبوسه ومركوبه وعرض الطرز وطول البكرانة ، مجملاً لغلمانه ، نظم فيه بعض الشعراء مخاطباً لبعض الصدور :

رأى العبد في الحجاب شخصاً مجملاً عريضاً قصيراً طيب العرف والنشر
بطرز عراض ما رأينا كعرضها على كتفه (٢) ادنى من الفتر او شبر

---

١ هو مقدم الاساقفة ودون المفريان.

٢ كذا ورد ولعله « على كتفه او في من الفتر أو شبر » اي اطول .

وكرانة ما للجماعة مثلها	مطولة تجري على معظم الظهر
وذيل طويل يكنس الارض خلفه	وكم وسيع لا كزيد ولا عمرو
ويا تكتي سرواله مثل قمصه	طوال وساع مرسلات بلاحصر
ويظهر من فوق السراويل تكة	الى كعبه خضراء صفراء كالزهر
فأعجبني هذا اللباس وشكله	وأحوجني هذا العيان الى الخبر
فقلت عساه من ذوي الفضل عالما	فحادثته فضلاً فاذ هو لايدري
فقلت أصيلاً من بيوت قديمة	وأمامن الأشراف اومن بني الطهر
فقلت له : ممن أطيل لك البقا	فقال سريعاً : ابن ساكنة القصر
فأمسكت اجلالاً له ومهابة	وقلت له احسنت ياطاهر النجر

ورثاه بعض أصدقائه بأبيات يقول فيها :

وقد كان من أقراننا وكأننا	اليه وان طال الزمان نصير
وما عمرنا الا قصير بطوله	وكل طويل ينتهي فقصير
وكل من الترب ابتداء انتشائه	وكل الى ما كان منه يصير

وفيها ، أرسل صلاح الدين بن أيوب صاحب دمشق وحلب الى الخليفة للمستعصم رسولاً ، معه فردة ركاب كبيرة من حديد ، ذكر أنها ركاب النبي — صلى الله عليه وسلم — وانها عند بني ايوب

يحفظونها كما حفظ بنو العباس — البردة الشريفة — فقبلها الخليفة ، وجعلها في خزانته مع البردة والقضيب ، فأنشد أبو المعالي القاسم ابن أبي الحديد ارتجالاً :

لو كنت في زمن النبي محمد   من آله وكنت من أصحابه
مارام قلبي غير لثم ركابه   شرفاً وقد بلغت لثم ركابه

وفيها ، وثب اهل النيل على الشحنة بها ، فقتلوه لكونه أساء السيرة فيهم ، وكان يهجم على نسائهم ويفتك بهن ، فتألموا الى الخليفة والوزير وصاحب الديوان ، وأنهوا حاله فلم يلتفت اليهم ، ولا انكرت الحال عليه ، فلما انتهى قتله الى الخليفة ، أمر الأمير سيف الدين قليج بالمسير اليهم ومؤاخذة من فعل ذلك ، فسار اليهم وأخذ جماعة ، فقتل منهم وصلب وقطع أعصاب آخرين وايديهم ، واحرق دوراً كثيرة ونهب أموال اصحابها .

وفيها ، وقعت القبة (١) الخضراء المجاورة لجامع المنصور ، وهي من الأبنية القديمة ، أنشأها الخليفة المنصور لما عمر مدينته ،

١ كانت في مدينة المنصور المدورة من الجانب الغربي من بغداد ، وكان رأسها قد سقط يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة ٣٢٩ هـ ، راجع تاريخ الخطيب المطبوع حديثاً بمصر « ١ : ٧٣ » ومناقب بغداد « ص ١١ ، ١٢ »

وكانت عالية ينظر الجالس منها من يخرج من الأنهار ، وكان المنصور يجلس فيها متنزهاً ، وما زال الخلفاء يجلسون فيها للفرجة الى ايام الرشيد ، ثم هجرت وصارت مأوى للبوم والغربان ، وكان بعض الفقراء قد جاور في جامع المنصور فقال فيها لما رأى ما آلت حالها اليه :

يابومة القبة الخضراء قد أنست روحي بروحك اذ يستبشع البوم
زهدت في زخرف الدنيا فاسكنك الر بع الخراب فمن يذمك مذموم

وفي آب ، كان غيم ورعد وبرق وغيث ، وغلت الأسعار ببغداد

وفي هذه السنة ، اتفقت أمور عجيبة وحوادث غريبة ، قد ذكرناها : منها الغرق العام الذي أخرب اكثر بغداد لاسيما دار الخلافة ، والدور الشطانية من الجانبين ، وانتقال الناس من دورهم وتضاعف أجرة المساكن الشعثة في اطراف البلد ، وغلت الاسعار وتعذرت الأقوات ، وغرقت نواحي دجيل ونهر عيسى ونهر الملك والأعمال الفراتية. عانة والحديثة وهيت والأنبار والحلة والكوفة وقوسان ، وذهبت الزروع وتلفت الأشجار ، وتهدمت الجوامع والمساجد . كجامع المنصور وهو اول جامع وضع ببغداد ، ورباط

الزوزني المجاور له ، والقبة الخضراء ، وجامع المهدي بالرصافة ، ومشهد عبيدالله ، والرباط المنسوب اليه ، وجامع السلطان وجامع القصر ، ورباط دار الذهب بعقد المصطنع ، وبعض مسجد قرية بالجانب الغربي ، وحائط رواق المدرسة النظامية ، وعدة مساجد ، وقيل أن رجلاً ثقة تصدى لأثبات ماتهدم من الدور في الجانبين ، وكان مبلغها ، اثني عشر الف دار وثلثمائة ونيفاً وسبعين داراً » ثم تلا ذلك الحروب بين عوام بغداد وظهور العيارين وقوة شأنهم وأخذهم أموال الناس والفتك بهم ، وما جرى بين اهل الرصافة ومحلة أبي حنيفة والخضيريين من القتل والجراحات ، وبين أهل محلة المستعصمية والجعفرية (١) ، ودرب (٢) زاحل والمنوتين ، وسوق المدرسة وأهل المشرعة ، وسفك بين هؤلاء دماء كثيرة ، وافرط اهل الكرخ في ذلك حتى تقدم الخليفة بنهبهم وأحراق دورهم الي غير ذلك ، وما جرى للدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك والوزير مؤيدالدين بن العلقمي ، وانضمام اكثر المماليك

---

١ ورد ذكرها في كامل ابن الاثير : كما في « ١٢ : ٨٥ » منه .

٢ تقدم ذكره ، وذكر في كامل ابن الاثير : كما في « ١١ : ٢٣٠ ».

الأتراك الى الدويدار ، والوقعة بينهم وبين الوزير حتى كادت الفتنة تنتشر بينهم ويتعدى ضررها الى الناس ، ثم ظهور النار بأرض الحجاز بالقرب من مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم — ودوامها وكونها تأكل الحجارة وتذر الخشب والشجر ، ثم تلا ذلك أن زلزلت المدينة وارتج لها المنبر الشريف وتحركت سلاسل قناديل الحجرة الشريفة واضطربت ، ثم عقيب ذلك وقع حريق في أول ليلة من شهر رمضان في حرم الرسول — صلى الله عليه وسلم — أتى على جميعه وأحرق المنبر النبوي الذي كان يرقى عليه — صلى الله عليه وسلم — ويخطب ، وانهدم أعالي الحجرة الشريفة ، نسأل الله تعالى عفوه ورحمته ورضوانه .

وفيها ، أمر الخليفة بتعيين [illegible]ظ بمجلس باب بدر ، فأحضر العدل اسماعيل بن محمود النعال فجلس في يوم جمعة فلم يستصلح ، فأحضر في الجمعة الأخرى جلال الدين بن عكبر ، فجلس فحصل له قبول ، فأمر بالجلوس دائماً .

وفيها ، مرض صانع حمام ببغداد ، كان يظهر الفقر ، ولم يكن

له وارث ، فحضر ناظر التركات عنده وطلب منه مفتاح صندوقه وفتحه فاذا فيه سبعة أرطال ذهباً واثنا عشر رطلاً فضة ، فأخذ الجميع فما زال يصيح ويتأوه حتى مات .

وفيها ، رد الخليفة المستعصم أملاك الوزير القمي (١) على ورثته وكان سبب ذلك أن عبدالرحمن بن الطبال وكيل الخليفة استأذن في بيع شيء من عقاره ، فقيل للخليفة : ان هذه الأملاك وقفها القمي على ابنتيه التي احداهما زوجة الوزير مؤيد الدين بن العلقمي والاخرى زوجة عز الدين محمد ولده ، فأمر باعادة جميع الأملاك عليهما .

وفيها ، حملت القصعة : الحجر المعروفة « بقصعة فرعون » من — سر من رأى — الى بغداد في كلك ، ورفعت تحت دار الخليفة ، وكانت عظيمة جدا فلم تزل الى سنة سبع وخمسين وستمائة ، ثم كسرت .

وفيها ، نبشت امرأة في مقبرة معروف الكرخي وأخذت اكفانها ، فخرج بعض أهل قطفتا ليصلي فرأى النباش ، فهرب ،

---

١ ذكر المؤلف . رد الاملاك في « ص » ١٠٢ - ٣ من حوادث سنة ٦٣٥ وبين الخبرين تعارض .

فأنهي ذلك ، فكبس عليه وأخذ ، فوجدوا عنده عدة اكفان فقطعت يداه وعلقتا في حلقه وأشهر بغداد .

وفيها ، حضرعند الوزير رجل شاب وقال : انا قتلت فلاناً لأنه تعرض بي وأنا حدث وهربت الى الشام وزرت القدس وحججت وجاورت وقد رجعت الآن فاقتصوا مني ، فسأل الوزير عن أهل المقتول ، فلم يجد منهم أحداً ، فقال له : قد عفونا عنك ، فتخيل له أن القصاص لم يسقط عنه ، فدخل حماماً وذبح نفسه فضعف عن قطع أوداجه ، فأخرج وحمل الى المارستان وعولج فعاش مدة .

وفيها ، فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد تجاه قطفتا التي أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم أم ولده ابي نصر المعروفة بباب بشير ، وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية ، ووقفت عليها وقوفاً كثيرة قبل فراغها ، وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشر جمادي الآخرة ، وحضر الخليفة وأولاده فجلسوا في وسطها ، وحضر الوزير وأرباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون ، وكان المدرس بها سراج الدين النهرقلي (١)

---

١ تقدم ذكره ،وقد ورد في ص ـ ١٩٨ ـ من طبقات الحنفية « الهرقلي » .

أقضى القضاة ، وشرف الدين عبد الله بن أستاذ الدار ، ومحيي الدين بن الجوزي ، ونور الدين محمد بن المغربي الخوارزمي الحنفي ، وعلم الدين احمد بن الشرمساحي المالكي ، وعملت وظيفة عظيمة ، وخلع على المدرسين المذكورين ، وعلى الناظر بها ، ونواب العمارة ، والفراشين وخدم القبة وأنشدت الأشعار ، وكان يوماً مشهوداً ، وكانت وفاة البشيرية في السنة الماضية على ماذكرناه .

وفيها ، توفي شرف الدين اقبال (١) الشرابي ، كان شيخاً شجاعاً كريماً شريف النفس عالي الهمة ، بنى بواسط مدرسة على شاطئ دجلة بالجانب الشرقي ، وعمر الى جانبها جامعاً ، وبنى ببغداد مدرسة في سوق السلطان ، وجدد بمكة — شرفها الله تعالى — الرباط (٢) الذي اشتهر ذكره في الدنيا ، وعين عرفة التي في الموقف ، وأجرى ماءها لانتفاع الحاج به ، وأوقف على ذلك كله الوقوف السنية ، وكان كثير الصدقات والمواصلات ، كان في خدمة الخليفة بالحلة ، فمرض

---

١ تقدم ذكره كثيراً ، وذكره ابن الطقطقى في ص « ٢٢ ، ٢٤٣ » من الفخري وابن أبي الحديد في « ٢ : ٣٧٠ - ١ » من شرحه ، وقطب الدين الحنفي في ص ٨٢ من الاعلام باعلام بيت الله الحرام .

٢ قال قطب الدين : بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى مسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتباً كثيرة في سنة احدى وأربعين وستمائة ص ٨٢

بها وحمل الى بغداد في شبارة وهو مثقل فوصل في سابع عشري شوال ، وتوفي في ثامن عشريه وصلي عليه في جامع القصر ، ودفن في تربة(١) أم الخليفة المستعصم بباب القبة على يمين الداخل ، وجلس الوزير وأرباب المناصب في العزاء بالمدرسة المستنصرية ، وكان أولا لعز الدين نجاح الشرابي ، وانتقل الى زوجته بعد وفاته ، فلما أفضت الخلافة الى الظاهر ، حملته اليه فقبله فأبعده عنه رشيق وانفذه الى ولده المستنصر ، فلما دخل عليه قال له : « ما اسمك ؟ » فقال : اقبال ، فسر بذلك واستبشر وتفاءل به ، فلما أفضت الخلافة اليه قربه وقبض على رشيق وحبسه وجعل اقبالاً شرابياً ، ثم جعله سرخيل العسكر ، فلما توفي زعيم اربل سار بالعسكر اليها واخذها وعاد مظفراً ، فلما أفضت الخلافة الى المستعصم زادت منزلته عنده وقرب من قلبه ، فلما وصلت عساكر المغول سنة خمس وثلاثين خرج الى لقائهم ، وظهر من حسن تدبيره ما أوجب زيادة الانعام عليه ، وكان حال الملك منتظماً بصائب رأيه ، فلما توفي اختلت الأحوال بعده .

---

٢ تقدم في حوادث سنة « ٦٤٥ » انها في رباطها المستجد بشارع ابن رزق الله من غربي بغداد .

وفيها ، توفي الشيخ تاج الدين محمد بن الحسن الأرموي مدرس الشرفية التي بناها الشرابي ببغداد ، وقد جاوز عمره ثمانين سنة ، وكان وحيد عصره فضلاً ، وفريد داره علماً ، قرأ على الامام فخر الدين (١) الرازي وصحبه ، وكان متواضعاً لمن دونه ، مترفعاً على من فوقه ، وكان عريض النعمة واسع الجاه بوجود الشرابي ، يستكثر من المماليك الحسان الترك وغيرهم ، وكان أهل بغداد يتحدثون فيه فلا يعبأ بحديثهم ولا يكترث لذلك ، حكى عنه بعض أصحابه قال : قلت له يوماً ان الناس قد اكثروا القول في هؤلاء المماليك ، فقال : ألست تعلم أن الانسان يجب أن يسكن احسن الدور ويلبس أفخر الثياب ويأكل اطيب المآكل ويركب أجمل المراكب ؟ قلت بلى ، قال : فلم لا يكون من يلي خدمتي به ويقرب منه على أحسن صورة ! وان شئت أريتك مابداري من الجواري الحسان فامسكت عنه وعرفت انه كذا ينبغي للعاقل أن يفعل ، وقيل له يوماً : ان جاريتك فلانة تحب مملوكك فلاناً ، وكانا في غاية الحسن والجمال ،

١ هو أبو عبدالله محمد بن عمر ، ترجمناه في حوادث سنة « ٦٠٦ » التي تولى فيها ه من كتاب الصنف الضائعة » ترجمة مفصلة .

فقال : الآن ثبت عندي صحة عقلها ، ودفن في قبة بيبت له بالشونيزي .

وتوفي بعده عبد الحميد بن الحسن بن شاهي بدمشق ، وكان صديقه ورفيقه في الاشتغال على فخر الدين الرازي ، فرثاهما ابو المعالي القاسم بن أبي الحديد بقصيدة طويلة ، يقول فيها :

رحل الارموي عنا رحيلا زاده فيه علمه بالوجود
أغفلت بعده العلوم وضاقت طرق الفقه عن سلوك المريد
ان حال العراق بعدك حال الشـ ـام من بعد موت عبد الحميد
ان بكت بعده دمشق فبغدا د لها عبرة بغير جمود
كوكبا بلدتين غابا . . . . . . وأمسيا في سعود
ان حظ الذكي فيما أراه عند ذي العرش فوق حظ البليد

وتوفي ، نقيب الطالبيين أبو اسماعيل الحسن بن المختار .

وحج بالناس فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير ، فلما عاد الحاج أخبروا : أنه بعد رمي الجمار ولبس المخيط وقع بين الجند واهل مكة شر أفضى الى فتنة وحرب ، وقتل جماعة وجرح خلق كثير ، ونهب بعض سوق منى وتعدى النهب الى

الحاج فعزم أمير الحاج الى قتال أمير مكة فأشير عليه بالكف وحفظ الناموس ، وكان عاقلاً ففعل ، فأرسل ادريس وابو نمي أميرا مكة (١) اليه يعتذران مما وقع من الجهال ويسألانه المناداة بالكف عن الفتنة ، ففعل ذلك ، و نحر الناس قريب غروب الشمس .

سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها ، أرسل السلطان هلاكو قان الى ركن الدين (٢) مقدم الباطنية يستدعيه فأرسل اليه صبيا عمره سبع سنين ، زعم أنه ولده واعتذر من الحضور فأنعم عليه ، واعاده اليه ، فأرسل اخاه شيرنشاه في ثلثمائة فارس ، فأمر السلطان بقتلهم ، فقتلوا ، ثم أرسل الى ركن الدين يتهدده ان تأخر عن الحضور ، فلما عزم على ذلك منعه أصحابه خوفا عليه

---

١ استوليا على مكة فى ٢٥ شوال سنة ٦٥٢ ، ثم أخذها منهما برطاش من قبل صاحب اليمن فى ذي القعدة ، ثم أخرجاه منها فى السنة المذكورة « القرمانى ص ٢٢٦ »

٢ هو خورشاه بن علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن . « عمدة الطالب ٢١١ » ، ومختصر الدول « ٤٦٢ - ٤ - ٥ »

فارسل يعتذر بان اصحابه منعوه وأنه متى وجد فرصة في الخروج من بينهم حضر ، فامر السلطان بمنازلة قلعة «ميمون ذر» فساروا اليها ونصبوا عليها المناجيق وواصلوا الزحف والقتال ، فاشتغل الباطنية بالقتال عن ركن الدين ، فنزل ومعه ولده وخواصه وحضر بين يدي السلطان فلما عرف أصحابه ذلك سألوا الأمان ، فأجيبوا الى ذلك ، فسلموا القلعة وفارقوها فأمر بهدمها ، ثم فتحوا ما يجاورها من القلاع وهدموا الجميع ، ثم ارسل السلطان الى متولي «قلعة ألموت» يعرفه نزول ركن الدين اليه ويأمره بالتسليم ، فابى وامتنع فسير اليه الجيوش فأحاطوا به وحاصروه وضيقوا عليه ، فسأل الأمان فاجيب اليه ، فسلم القلعة فهدمت ، وحضر شمس الدين محتشم قهستان ومعه جماعة من اصحاب ركن الدين ، فانعم السلطان عليه فعاد الى قهستان وسلمت جميع قلاعها ، فامر السلطان بهدمها(١) ولم يتخلف سوى قلعتي (٢) كردكوه وكشتمر ، ففتحتا بعد سنين

(١) ذكر هذه الحوادث في مختصر الدول ص ٤٦٢ وما يليها .

(٢) ورد ذكرهما في ص ٤٦٥ من مختصر الدول .

متطاولة، ووصل رؤساء الديلم الى السلطان وسألوه الأمان وصالحوه على تخريب قلاعهم ، ثم رحل السلطان في سنة خمس وخمسين نحو همذان ، وأمر بقتل ركن الدين وأصحابه فقتلوا وانقرض ملكه وملك أهل بيته ، ولما فتحت قلعة « الموت » خرج الامام العلامة نصير الدين محمد بن محمد الطوسي وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي وحضر بين يدي السلطان ، فحظي عنده وأنعم عليه فعمل الرصد بمراغة سنة سبع وخمسين .

ذكر فتنة الكرخ

في ذي الحجة ، قتل اهل الكرخ رجلاً من اهل « قطفتا »، فحمله أهله الى باب النوبي، فدخل جماعة من الخدم الى الخليفة ، وعرفوه وعظموا ذلك ونسبوا الى اهل الكرخ كل فساد ، فامر بردعهم فركب (١) الجند اليهم ، وتبعهم العوام ونهبوا محلة الكرخ ، واحرقوا عدة مواضع ، وسبوا كثيراً من النساء والعلويات والخفرات ، وسفكوا الدماء ، وعملوا كل منكر، وكان الجند

---

(١) ذكر هذه الحادثة في الفخري ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

والعوام يتغلبون على من قد نهب شيئاً فيأخذونه منـه ، وعظمت الحال في ذلك ، فخوطب الخليفـة في أمرهم فامر بالكـف عنهم ونودي بالأمان ، فدخل جماعة من أهل الكرخ الى منازلهم وقد تخلف بها قوم من العوام وغيرهم فقتلوهم ثم تقدم الخليفة الى الجند وغيرهم باحضار ما نهبوه الى باب النوبي ، فاحضروا شيئاً كثيراً ، فرد على كل من عرف ماله ما وجده ، وكان شيئاً لا يحصى كثرة ، ونودي بحمل النساء والأسرى الى دار الرقيق فحملوا وأعيدوا الى اربابهم ثم حصل الذي كانت الفتنة بسببه وقتل ، وصلب قاتل القطفتي بباب الكرخ

ذكر الزلازل والنار بالمدينة (١)

في جمادى الآخرة ، كانت زلازل مهولة بنواحي مدينة النبي — صلى الله عليه وسلم — حتى ماج المنبر الشريف وتحركت سلاسل القناديل ثم ظهرت في رجب نار على مسيرة اربعة فراسخ منها دامت خمسة

---

(١) ذكر هذه الحادثة السيوطي في ص ٤٧٧ من تاريخه ، والقرماني في ص ١٨٠ ، والعاملي في ص ٢٩٢ من الكشكول ، والسبكي في "طبقات الشافعية الكبرى « ٥ : ١١٢ » .

عشر يوما، كانت تأكل الصخر وتذيبه واذا التي فيها ثوب أو خشب أو سعف أخضر لم يحترق ، فدخل الناس الحرم وتضرعوا الى الله تعالى وتابوا واعتق أمير المدينة عبيده وخرج من جميع المظالم وأعاد املاكاً كان قد اغتصبها على اربابها، ثم اطفئت بقدرة الله تعالى.

وفي شعبان وقع حريق بمسجد النبي — صلى الله عليه وسلم — وحجرته بالمدينة أيضا واحترق المنبر الذي كان من عهده - صلى الله عليه وسلم - وسقف حجرته وسبب ذلك أن القيم أشعل المصابيح فوقعت منه شرارة نار على ثوبه فاحترق ، ثم تعدت النار الى قفص من أقفاص القناديل فالتهبت المشاقة التي فيه ، فانزعج القيم وشده وبيده ابريق فيه زيت ، فصبه على النار ظناً منه أنه ماء فازدادت النار التهابا ، فلما بلغ الخليفة المستعصم ذلك أرسل قاضي القضاة سراج الدين النهرقلي وعدة من العدول ، وأصحبهم مالاً لعمارة ما احترق فساروا الى هناك ، وعمروا ما خرب وأعادوه الى أحسن ما كان ، وملكت بغداد وهم هناك وقيل ان القاضي توفي بقية السنة ودفن بالبقيع .

ذكر غرق بغداد

في هذه السنة ، زادت دجلة زيادة عظيمة ، وانفتح في القورج فتحة كبيرة عجز من يتولاه عن استدراكها ، فركب الوزير وكافة الولاة معه ، واخذالوزير في يده باقة شوك ، ففعل سائر العالم مثل ذلك ، ولم يقع التمكن من سدها فتركت ، وانهزم الناس كلهم والماء في اثرهم فاحاط ببغداد ، وغرق الجانبين منها ، وهدم دوراً كثيرة بالحريم والمشهد وتلك المحال ، وامتلأت أسواق الجانب الشرقي ، وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ والآبار والبلاليع وامتلأت دار الخليفة كلها ما عدا « الدار الشاطئية » فانتقل من بها الي الغرف والسطوح ، وتعذر الوصول الى دار الخليفة الا في سفينة او سباحة ، ونقل من كان من أنساب الخليفة محبوساً في دار الشجرة ودار الصخر الى ديوان الزمام ، وانتقل الوزير من داره الى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار ، ثم دخل الماء الي ديوان الزمام وليس له درج ، فصار من بها واقفاً وبلغ الماء الى صدره ، وكل من له ولد صغير حمله علي كتفه ، وهم يستغيثون ويضجون ، فخولوا

الى الحلبة وقد ذهب كل ما كان عندهم ، وضربت لهم الخيم بها
وكانت السفن والأكلاك تسير في الريحانيين حتى تصل الى باب
العامة ، وتحول كل من كان ساكنا في محال دار الخليفة ، وتلف من
الناس شيء كثير ، وكان علو الماء في المدرسة النظامية زيادة على
أربعة اذرع ، وعمل اليهود سكراً في رأس بين الدربين ودرب
القيار ، وساعدهم المسلمون على عمله ، فنازعهم فيه من يتعدى ضرره
الى ملكه ، وجرت بينهم خصومات وشهروا السلاح ونادوا يا آل
خيبر ، فقبض الشحنة على جماعة منهم ، فضربهم وشوه خلقهم
وشهرهم ونودي عليهم « هذا جزاء من شهر السلاح على المسلمين
وقال : يا آل خيبر » وخلت محال دار الخليفة ومعظم محال بغداد
من ساكن ، ووقعت دور كثيرة في سائر المحال ، وخلت الديار
وتعفت الآثار وصار في النظر اليها اعتبار ، ووقع رباط الزوزني
والحائط الشطاني من جامع فخر الدولة بن المطلب ، وتداعى اكثره ،
وصلى الناس عدة جمع في المدرسة المستنصرية ، وكان الناس يحضرون
بالسفن فامتلأت المدرسة وغلق بابها ، واتصلت الصفوف في
السفن من باب المستنصرية الى سوق المدرسة والى آخره ، وصلى

أهل باب الازج في مصلى العيد بعقد الحلبة ، وسقطت نصف مسناة مسجد قمرية ، فعمل له سكر من خشب وطرفاء ، فما زال على ذلك الى أن عمره الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني سنة سبع وستين وستمائة، وزاد الفرات أيضاً فغرقت عانة والحديثة. وهيت والحلة . وغيرها ، وانفتح قبين (١) فغرق دجيل ونهر عيسى ونهر الملك ، وأتلف زروعاً كثيرة .

سنة خمس وخمسين وستمائة

في هذه السنة، رحل السلطان هولاكو قان من همذان نحو العراق فلما اتصل ذلك بالخليفة المستعصم شاور وزيره مؤيد الدين بن العلقمي فيما ينبغي فعله ، فاشار ببذل الأموال وحملها اليه ، مع التحف الكثيرة والأشياء الغريبة والأعلاق النفيسة، فلما شرع في ذلك ثناه الدويدار وغيره ، وقالوا : ان غرض الوزير تدبير حاله مع السلطان ، فوافقهم واقتصر على انفاذ شيء يسير مع شرف الدين

(١) هو بضم القاف وتشديد الباء اسم نهر « تاريخ الخطيب البغدادي ١ : ٧٦ » ومعجم البلدان والمناقب ص ٣٤ .

عبدالله بن الجوزي ، فلما وصل اليه المكر ذلك ، (١) وارسل الى الخليفة يطلب اما الدويدار الصغير أو ولد الدويدار الكبير أو سليمان شاه ، فلم يفعل وأرسل شرف الدين بن الجوزي ، يعتذر من ذلك ، فسار السلطان حينئذ نحو بغداد ، وأمر الأمير سوغونجاق أن يسير بقطعة من الجيوش على اربل ، ويعبر دجلة ويجتمع بالأمير بايجو ، ويقصدان بغداد من غربي دجلة ، ففعل وسار السلطان في باقي الجيوش ، فلما بلغ الخليفة مسيره أمر الدويدار أن يخرج من بغداد بالعساكر ، فخرج ونزل قريباً من بعقوبا ، فلما بلغه وصول سوغونجاق وبايجو عبر دجلة ، ونزل حيال حربي ، وأرسل اميراً يعرف بايبك الحلبي في مقدمته ، فمضى واتصل ببايجو واقبل بين يدي العسكر يعرفهم الطرق ويهديهم ، فلما عبر الدويدار دجلة أمر الخليفة مرشداً الخصي المنسوب الى اقبال الشرابي أن يخرج في باقي العسكر للقاء السلطان بخانقين ، فامتنع الأمراء من المسير تحت لوائه ، وكان الخليفة قد اهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم واسقط اكثرهم من دساتير ديوان العرض ، فآلت احوالهم الى

---

(١) ذكر هذه الحادثة في مختصر الدول ص ٤٧١ وطبقات السبكي « ٥ : ١١٣ » .

سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق والجوامع .

ونظم الشعراء في ذلك الأشعار . فمما قاله المجد النشابي من قصيدة :

يا سائلي ولمحض الحق يرتاد | أصخ فعندي نشدان وانشاد
واسمع فعندي روايات تحققها | دراية وأحاديث واسناد
فهم ذكي وقلب حاذق يقظ | وخاطر لنفوذ النقد نقاد
عن فتية فتكوا في الدين وانتهكوا | حماه حملاً برأي فيه افساد
اذا ترامت امور الناس ليس لهم | فيها رواء ولا حزم وانجاد
اما الوزير فمشغول بمنبره | والعارضان فنساج ومداد
وحاجب الباب طوراً شارب ثمل | وتارة هو جنكي وعواد
وابن عباس مغرى باللواط له | في كل ناحية علق وقواد
وشيخ الاسلام صدر الدين همته | مقصورة لحطام المال يصطاد
نمته في اللوم اباء سواسية | ماسودوا في الورى يوماً ولا سادوا
لكنما الفلك الدوار دار على | كرورة لم يكنها قط يعتاد
ان جئت يثرب أو شارفت ساحتها | فقل لمن انزلت في حقه صاد
الكفر اضرم في الاسلام جذوته | وليس يرجى لنار الكفر اخماد
واضيعة الملك والدين الحنيف وما | تلقاه من حادثات الدهر بغداد

أين المنية مني كي تساورني　　فللمنيــة اصدار وايــراد

من قبل واقعة شنعاء مظلمة　　يشيب من هولها طفل واكباد

وأما السلطان فانه سار نحو بغداد بجيوش تملأ الفضاء واستصحب آلات الحصار وغيرها وأجفل اهل السواد من بين يديه الى بغداد حتي امتلأت شوارعها ، فضاقت على وسعها منهم ، فقعدوا في الطرقات والدكاكين ، وغلت الأقوات ووقع الناس في الخوف الشديد والويل العظيم ، ذكر بعض اصحاب الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي انه سمعه يوما ينشد من شعره .

كيف يرجي الصلاح من أمر قوم　　ضيعوا الحزم فيه أي ضياع

فمطاع الكلام غير سديد　　وسديد المقال غير مطاع

وفي شوال ، ندب العدل نجم الدين عبدالله بن البادرأي الى القضاء وهو مريض ، فاستعفى فلم يعف واستدعي الى دار الوزير فحضر بين غلمانه وهو ضعيف عن الحركة والكلام فخلع عليه وشرفه بالقضاء ، فركب الى جامع الخليفة وجلس في القبة وقرأ تقليده على المنبر ، ثم خرج وجلس في منصب القضاء وحكم وسمع البينة وكتب الانهاء ، ولم يجلس بعد ذلك وانقطع في بيته تسعة عشر يوما ،

وتوفي ، قيل ان ولده شهد عنده فقبل شهادته وقال انا اعرف بولدي ولا احتاج مع علمي به الى مزك ، وكان رحمه الله عالماً فاضلاً محققاً روسل به ملوك الشام ومصر ، وبنى بدمشق مدرسة للشافعية ووقف عليها وقوفاً كثيرة ، وكان كثير الصدقات ، أوصى أن يدفن في الشونيزي ، فدفن هناك وتقدم باحضار القاضي نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي من قضاء الجانب الغربي ، وشرفه بقضاء القضاة وخلع عليه ، وولي بعده في الجانب الغربي عز الدين أحمد بن محمود الزنجاني .

وفيها ، توفي الشيخ عماد الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين السهروردي ورتب بعده شيخاً برباط المأمونية ابنه جمال الدين عبد الرحمن .

سنة ست وخمسين وستمائة

ذكرنا في سنة خمس وخمسين مسير السلطان هولاكو قان من بلاده نحو بغداد وأنه امر الامير بايجو بالمسير الى اربل وان يعبر دجلة ويسير الى بغداد من الجانب الغربي ، ففعل ذلك ، فلما بلغ الخليفة وصوله تقدم الى الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك

وجماعة من الأمراء بالتوجه الى لقائه ، فعبروا دجلة فلما تجاوزوا قنطرة(١) باب البصرة بفرسخ واحد رأوا عساكر المغول قد اقبلت كالجراد المنتشر ، فالتقوا واقتتلوا يوم الاربعاء تاسع المحرم ، فانكسرت عساكر المغول قصداً وخديعة ، فتبعهم الدويدار وقتل منهم عدة كثيرة وحمل رؤوسهم الى بغداد ، وما زال يتبعهم بقية نهاره ، فاشار عليه الامير فتح الدين بن كر بأن يثبت مكانه ولا يتبعهم ، فلم يصغ اليه ، فادركه الليل وقد تجاوز نهر بشير بن دجيل فباتوا هناك ، فلما اصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالاً شديداً ، فلم يثبت عساكر الدويدار ، فانكسروا وكروا راجعين الى بغداد ، فوجدوا نهر بشير قد فاض من الليل وملأ الصحراء ، فعجزت الخيول عن سلوكه ووحلت فيه ، فلم يخلص منه الا من كانت فرسه شديدة ، وألقى معظم العسكر نفسه في دجلة فهلك منهم خلق كثير ، ودخل من نجا منهم بغداد مع الدويدار على اقبح صورة ، وتبعهم الأمير بايجو وعسكره يقتلون فيهم

(١) قال في المراصد « القنطرة الجديدة : قنطرة على الصراة بين يدي باب البصرة القديم وقد جددت مراراً وعلى الصراة اليوم قنطرتان ، هذه السفلى منهما » : وكانت في غربي الجعيفر الحالي .

وغنموا سوادهم وكل ما كان معهم ، ونزلوا بالجانب الغربي ، وقد خلا من اهله ، فشرعوا بالرمي بالنشاب الى الجانب الشرقي ، فكانت السهام تصل الي الدور الشطانية ، وكان الخليفة جالساً في رواقه وبين يديه صغيرة من مولدات العرب تسمى « عرفة » كانت مدللة مطبوعة مضحكة ، فاصابها سهم دخل من بعض الشبابيك فقتلها ، فانزعج الخليفة لذلك وأحضر السهم بين يديه فاذا عليه مكتوب « اذا اراد الله ان ينفذ قضاءه سلب ذوي العقول عقولهم » فأمر عند ذلك بعمل ما يحول بين شبابيك الدار وبين الرماة ، فعملت ستائر من الواح الخشب .

واما السلطان هولاكو قان فانه وصل الى ظاهر بغداد في ثاني عشر المحرم في جيش لا يحصى عدده ولا ينفذ مدده ، وقد أغلقت ابواب السور ، فعرف بذلك ضعفهم عن لقائه فأمر بحفر خندق فحفر وبني بترابه سور محيط ببغداد وعمل له ابواب ورتب عليها أمراء المغول ، وشرعوا في عمل ستائر للمناجيق ونصبوا المناجيق والعرادات واستظهروا غاية الاستظهار ، والناس يشاهدون ذلك من السور ، وقد نصبوا أيضاً عليه المناجيق الا أنها لم تصح ولا حصل بها انتفاع

ثم ان السلطان أمر بعقد جسر تحت بغداد ليمنع من ينحدر الى واسط فعقد تحت قرية العقاب ، ولم يعلم اهل بغداد به فكانت السفن تصل اليه فيؤخذ من بها ويقتل ، فقتل عنده خلق كثير ، فلما كان اليوم الرابع عشر من المحرم ، خرج الوزير مؤيد الدين بن العلقمي الى خدمة السلطان في جماعة من مماليكه وأتباعه ، وكانوا ينهون الناس عن الرمي بالنشاب ويقولون : سوف يقع الصلح ان شاء الله فلا تحاربوا ، هذا وعساكر المغول يبالغون في الرمي وقد اجتمع منهم خلق كثير على برج(١) العجمي الذي عن يمين باب (٢) سور الحلبة ،ونصبوا عليه المناجيق وواصلوا الرمي بالحجارة فهدموه وصعدوا على السور في اليوم الحادي والعشرين من المحرم ، وتمكنوا من البلد ، وأمسكوا عن الرمي ، وعاد الوزير الى بغداد يوم الأحد سابع عشر من المحرم وقال للخليفة : قد تقدم السلطان ان تخرج اليه ، فأخرج ولده الأوسط وهو أبو الفضل عبد الرحمن في الحال فلم يقع الاقتناع به ، فخرج الخليفة والوزير في يوم الاثنين ثامن عشري المحرم ومعه جمع كثير، فلما صاروا ظاهر السور منعوا

---

(١) قال الشيخ عبد القادر الجيلي - رض - : أقمت بالبرج المسمى الآن ببرج العجمي احدى عشرة سنة وبطول اقامتي فيه سمي : برج العجمي » البهجة ص ٦٠ .

(٢) هو الباب الذي كان معروفاً : بباب الطلسم عند العامة :

أصحابه من الوصول معه وأفردوا له خيمة وأسكن بهـا ، وخرج مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير . وشهاب الدين سليمان شاه وسائر الأمراء في أول صفر وخرج ابن الخليفة الأكبر أبو العباس أحمد يوم الجمعة ثاني صفر ، ثم دخل الخليفة بغداد يوم الأحد رابع صفر ومعه جماعة من امراء المغول وخواجه نصير الدين الطوسي وأخرج اليهم من الأموال والجواهر والحلي والزركش والثياب وأواني الذهب والفضة والأعلاق النفيسة جملة عظيمة ، ثم عاد مع الجماعة الى ظاهر السور بقية ذلك اليوم ، فأمر السلطان بقتله فقتل يوم الأربعاء رابع عشر صفر ولم يهرق دمه بل جعل في غرارة ورفس حتى مات ، ودفن وعفي أثر قبره ، وكان قد بلغ من العمر ستا وأربعين سنة وأربعة اشهر ، وكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر واياماً ، ثم قتل ولده أبو العباس أحمد ، وكان مولده سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وله من الأولاد ابو الفضل محمد ورابعة وهي التي تزوج بها خواجه هرون بن الصاحب شمس الدين الجويني ، ومولدها يوم عيد النحر سنة خمس وخمسين ، واختها ست الملوك ، ثم قتل ابن الخليفة الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن ، ومولده

سنة ثلاث وثلاثين وله من الأولاد أبو القاسم محمد ، وبنت واحدة
وأما ولد الخليفة الأصغر مبارك واخواته فاطمة وخديجة ومريم
فانهم لم يقتلوا بل أسروا ، ثم عين على بعض الأمراء فدخل بغداد
ومعه جماعة ونائب استاذ الدار ابن الجوزي وجاءوا الى أعمام الخليفة
وأنسابه الذين كانوا في دار الصخر ودار الشجرة ، وكانوا يطلبون
واحداً بعد واحد فيخرج بأولاده وجواريه فيحمل الى مقبرة
« الخلال »(١) التي تجاه المنظرة فيقتل ، فقتلوا جميعهم عن آخرهم ، ثم قتل
مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وامير الحاج فلك الدين محمد بن
علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير ، وشهاب الدين سليمان شاه
ابن برجم ، وفلك الدين محمد بن قيران الظاهري ، وقطب الدين سنجر
البكلكي الذي كان شحنة بغداد وحج بالناس عدة سنين ، وعز الدين
أبقرا شحنة بغداد ايضاً ، ومحيي الدين بن الجوزي أستاذ الدار وولده
جمال الدين عبد الرحمن ، واخوه شرف الدين عبد الله ، واخوه تاج
الدين عبد الكريم ، وشيخ الشيوخ صدر الدين علي بن النيار ، وشرف

(١) هو أبو بكر عبد العزيز بن جعفر الحنبلي دفين باب الأزج المعروف اليوم بالشيخ الخلاني . وكانت وفاته في سنة « ٣٦٣ » ونحن اول المنبهين على حقيقته « راجع لغة العرب ٨ : ٤٨٩ في حزيران ١٩٣٠ » .

الدين عبد الله بن اخيه. وبهاء الدين داود بن المختار والنقيب الطاهر شمس الدين علي بن المختار. وشرف الدين محمد بن طاووس. وتقي الدين عبدالرحمن بن الطبال وكيل الخليفة ، وأمر بحمل رأس الدويدار وابن الدويدار الكبير. وسليمان شاه الى الموصل ، فحملت وعلقت ظاهر سور البلد ، ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بانواع العذاب واستخراج الأموال منهم بأليم العقاب مدة اربعين يوماً ، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ اليهم من أهل السواد الا القليل ، ما عدا النصارى فانهم عين لهم شحان حرسوا بيوتهم ، والتجأ اليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم ، وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل على أمراء المغول وكتب لهم فرامين ، فلما فتحت بغداد خرجوا الى الأمراء وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم والتجأ أيضاً ، اليهم جماعة من جيرانهم فسلموا ، وكذلك دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فانه

سلم بها خلق كثير ، ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني . ودار حاجب الباب ابن الدوامي ، وما عدا هذه الأماكن فانه لم يسلم فيه أحد ألا من كان في الآبار والقنوات ، وأحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره ، واستولى الخراب على البلد ، وكانت القتلى في الدروب والأسواق كالتلول ، ووقعت الأمطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورهم وصاروا عبرة لمن يرى ، ثم نودي بالأمان فخرج من تخلف وقد تغيرت ألوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الأهوال التي لا يعبر عنها بلسان ، وهم كالموتى اذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد ،

وأما أهل الحلة والكوفة فانهم انتزحوا الى البطائح بأولادهم وما قدروا عليه من اموالهم ، وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاووس العلوي الى حضرة السلطان وسألوه حقن دمائهم فاجاب سؤالهم ، وعين لهم شحنة فعادوا الى بلادهم وأرسلوا الى من في البطائح من الناس يعرفونهم ذلك ، فحضروا بأهلهم واموالهم ، وجمعوا مالا عظيماً وحملوه الى السلطان فتصدق عليهم بنفوسهم ، واما واسط فان الأمير بغاتمر انحدر عليها بعسا كره

وانتهى فيها الى قريب البصرة فقتل ونهب وسبى ، وكان الولاة والنقبآء وأكابر الناس قد انحدروا بأهلهم واموالهم الى البصرة والبطائح فسلموا ، قيل ان عدة القتلى ببغداد زادت عن ثمانمائة الف نفس!(١) عدا من ألقي من الأطفال في الوحول ومن هلك في القني والآبار وسراديب الموتى جوعاً وخوفاً ، ووقع الوبآء فيمن تخلف بعد القتل من شم روائح القتلى وشرب المآء الممتزج في الجيف ، وكان الناس يكثرون من شم البصل لقوة الجيفة وكثرة الذباب فانه ملأ الفضآء ، وكان يسقط على المطعومات فيفسدها (وكان اهل الحلة والكوفة والسيب يجلبون الى بغداد الأطعمة فانتفع الناس بذلك ، وكانوا يبتاعون بأثمانها الكتب النفيسة وصفر المطعم وغيره من الأثاث بأوهى قيمة ، فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير منهم)

ورحل السلطان من بغداد في جمادي الأولى عائداً الى بلاده ومقر ملكه ، وفوض أمر بغداد الى الأمير علي بهادر وجعله شحنة بها ، والى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي ، وصاحب الديوان فخر الدين

(١) قال الذهبي في دول الاسلام « فبلغت القتلى ألف الف وثمانمائة الف وزيادة » وقد بالغ في مليون قتيل .

ابن الدامغاني ، ونجم الدين أحمد بن عمران وهو من أهل باجسر ، كان يخدم في زمن الخليفة عاملاً ، فاتصل الآن ببعض الأمراء وحضر بين يدي السلطان وانهى اليه من حال العراق ما أوجب تقديمه وتشريفه وتعيينه في الأعمال الشرقية وهي الخالص وطريق خراسان والبندنيجين ، وأن يتفق مع الوزير وصاحب الديوان في الحكم ولقب الملك ، ونجم الدين عبد الغني بن الدرنوس وشرف الدين العلوي المعروف بالطويل ، وكان تاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب قد خرج مع الوزير الى حضرة السلطان ، فأمر له أن يكون صدر الأعمال الفراتية ، فلم تطل مدته وتوفي في ربيع الأول ، فجعل ولده مجد الدين حسين عوضه ، وحضر أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي بين يدي السلطان فأمر بأن يقر على القضاء ، فلما عاد الوزير والجماعة من خدمة السلطان قرروا حال البلاد ومهدوا قواعدها وعينوا بها الصدور والنظار والنواب ، فعينوا سراج الدين بن البجلي (؟) في الأعمال الواسطية والبصرية ، ونجم الدين بن المعين صدر الأعمال الحلية والكوفية ، وفخر الدين مبارك ابن المخرمي صدر دجيل والمستنصري ، وعز الدين بن ابي الحديد كاتب السلة

فلم تطل أيامه وتوفي ، فرتب عوضه ابن الجمل النصراني . وعز الدين ابن الموسوي العلوي نائب الشرطة ، والشيخ عبد الصمد بن ابي الجيش امام مسجد قرية خازن الديوان ، ورتبوا في جميع الأعمال نوابا وشرعوا في عمارتها ، فتوفي الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي في مستهل جمادى الآخرة ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — فأمر السلطان أن يكون ابنه عز الدين ابو الفضل وزيراً بعده ، ووصل الأمير قراغا (٢) بعد ذلك الى بغداد ، وعين عماد الدين عمر بن محمد القزويني نائباً عنه ، فكان يحضر الديوان مع الجماعة وكان ذا دين ومروءة ، عين على شهاب الدين بن عبد الله صدراً في الوقوف ، وتقدم اليه بعمارة جامع الخليفة ، وكان قد أحرق كما ذكرنا ، ثم فتح المدارس والربط ، واثبت الفقهاء والصوفية وأدر عليهم الأخباز والمشاهرات ، وسلمت مفاتيح دار الخليفة الى مجد الدين محمد بن الأثير وجعل أمر الفراشين والبوابين اليه ، وتقدم للجاثليق بسكنى دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير التي على شاطىء دجلة فسكنها ، ودق الناقوس على أعلاها ، واستولى على

(٢) كذا ما في الأصل . وفي ص ٤٩٧ من مختصر الدول « قرابوغا » .

دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة ، وعلى الرباط البشري المجاور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني ، ولقد قال الشعراء في واقعة بغداد أشعاراً كثيرة ، منها : ماقاله شمس الدين محمد بن عبيدالله الكوفي الواعظ :

بانوا ولي ادمع في الخد تشتبك — ولوعة في مجال الصدر تعترك
بالرغم لا بالرضا مني فراقهم — ساروا ولم ادر أي الارض قد سلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعدهم — أشر علي فان الرأي مشترك
عز اللقاء وضاقت دونه حيلي — فالقلب في أمره حيران مرتبك
يعوقني عن مرادي ما بليت به — كما يعوق جناحي طائر شرك
أروم صبراً وقلبي لا يطاوعني — وكيف ينهض من قد خانه الورك
ان كنت فاقد الف نح عليه معي — فاننا كلنا في ذاك نشترك
يانكبة ما نجا من صرفها أحد — من الورى فاستوى المملوك والملك
تمكنت بعد عز في أحبتنا — أيدي الأعادي فما أبقوا ولا تركوا
لو ان ما نالهم يفدى فديتهم — بمهجتي وبما اصبحت امتلك
ربع الهداية أضحى بعد بعدهم — معطلاً ودم الاسلام منسفك

أين الذين على كل الورى حكموا | أين الذين اقتنوا أين الأولى ملكوا
وقفت من بعدهم في الدار اسألها | عنهم وعما حووا فيها وما ملكوا
أجابني الطلل البالي وربعهم الـ | ـخالي : نعم هاهنا كانوا وقد هلكوا
لا تحسبوا الدمع ماء في الخدود جرى | وانما هي روح الصب تنسبك

ولما شاهد ترب الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء وأحرقت تلك الأماكن وأبرزت العظام والرؤوس! . كتب على بعض الحيطان :

ان ترد عبرة فتلك بنو العـ | ـباس حلت عليهم الآفات
استبيح الحريم اذ قتل الاحـ | ـياء منهم وأحرق الأموات

ومما قاله ايضاً :

يا عصبة الاسلام نوحوا واندبوا | أسفاً على ما حل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه | لابن الفرات فصار لابن العلقمي

—

ذكر من توفي من الاعيان بعد الواقعة

توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي في جمادى الآخرة ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة ، كان عالماً فاضلاً أديباً يحب العلماء ويسدي اليهم المعروف (١) ، وتوفي علم الدين أحمد اخوه بعده وعز الدين حسين بن النيار أخو شيخ الشيوخ ، وتاج الدين علي بن الدوامي حاجب الباب في ثالث عشر ربيع الأول ، ومجد الدين محمد ابن الحسن بن طاووس العلوي ، والقاضي موفق الدين أبو المعالي القاسم ابن أبي الحديد المدائني في جمادى الاخرة ، فرثاه أخوه عز الدين عبد الحميد بقوله :

أ أبا المعالي هل سمعت تأوهي ... فلقد عهدتك في الحياة سميعا

عيني بكتك ولو تطيق جوانحي ... وجوارحي أجرت عليك نجيعا

أنفاً غضبت على الزمان فلم تطع ... حبلاً لأسباب الوفاء قطوعا

ووفيت للمولى الوزير فلم تعش ... من بعده شهراً ولا اسبوعا

وبقيت بعدكما فلو كان الردى ... بيدي لفارقنا الحياة جميعا

فعاش عز الدين بعد أخيه اربعة عشر يوماً ، وتوفي تاج الدين

---

(١) وفي هامش الأصل تعليقة هي « الا أن خيانته لمخدومه تدل على سوء أصله » .

ابو المعالي محمد بن الصلايا العلوي ناظر اربل قتل بجبل سياه كوه ، كان قد قصد حضرة السلطان بعد وقعة بغداد ليقرر حاله ، فأمر بقتله ، وكان كريماً جواداً فاضلاً متديناً يبالغ في عقوبة من يفسد أو يشرب الخمر ، وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل توفي بها في شعبان ، كان قد توجه الى السلطان بعد واقعة بغداد أيضاً فانعم عليه وأعاده فلما دخل الموصل مرض أياماً ومات ، وعمره نحو ثمانين سنة ، ملك الموصل خمسين سنة ودفن بالقلعة ، ثم نقل الى مدرسة انشأها على شاطئ دجلة تعرف بالبدرية ، وكان عاقلاً حازماً لبيباً جواداً كريماً ذا دهاء وحيلة ، مدحه ابن سنان الخفاجي فأجازه بألف دينار وخلع عليه وطلب من الشيخ عز الدين بن الاثير أن يجمع تاريخاً ويجعله باسمه ففعل وعمل التاريخ ، فاجزل صلته ، وكرمه وجوده وصفاته وحسن سيرته مشهورة ، وكان كثير الاحسان الى الرعية مائلاً الى شهواتهم عادلاً شهماً حسن السياسة كثير القتل والتشويه والمؤاخذة ، قيل كان موته سنة سبع وخمسين ، وقام بعده ابنه الملك الصالح اسمعيل ، وتوفي شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني ، كان قاضي القضاة

بيغداد وعزل في سنة (١) .

سنة سبع وخمسين وستمائة

فيها ، توجه فخر الدين بن الدامغاني صاحب الديوان الى الأردو المعظم ومعه صدور أعمال العراق ، فأنعم السلطان عليه وأراد أن يفوض أمر العراق اليه فرفع نجم الدين بن عمران عليه ، ونسب اليه أنه اطلق من السجن بالمدائن رجلاً من أنساب الخليفة المستعصم فتوجه الى الشام ، فانتقض أمره واعتقل فتوفي بنواحي اشنه من أعمال أذربيجان ، وكان عمره نحو خمس وستين سنة ، ورتب نجم الدين بن المعين صاحب ديوان بغداد فسار اليها وجماعة الصدور صحبته ، فلما دخلها مرض وتوفي بها ، وكان من جملة من توجه الى الأردو سراج الدين بن الحلي صدر واسط والبصرة فأثبت عليه أنه أخربها وأهمل مصالحها فأمر بقتله فقتل ، ورتب في واسط مجد الدين صالح بن الهذيل ولقب بالملك ، فلما وصل اليها وقرر قواعدها عمل بها جسراً ففرغ في أمد يسير ومد ولم يكن لها من

(١) كذا مافي الأصل ، وقد تقدم في ص ١٥٧ قوله: من المستنصر « واستناب في القضاء شهاب الدين ابا المناقب محمود بن احمد الزنجاني ثم عزله » .

حيث عمرت جسر .

وفيها ، تقدم بجمع أهل بغداد وكتبت اسماؤهم وجعل عليهم أمرآء ألوف ومئات وعشرات ، وقرر على كل واحد منهم ما يؤديه في كل سنة على قدر حاله ما عدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ ، فما زالوا على ذلك الى أن ولي الصاحب علاء الدين عطآء ملك الجويني العراق فاسقط ذلك عنهم .

ولاية علاء الدين عطآء ملك العراق

في هذه السنة ، ولي شمس الدين محمد بن محمد الجويني صاحب ديوان الممالك ، وعلاء الدين عطآء ملك أخوه العراق وجعل معه عماد الدين عمر بن محمد القزويني .

ذكر مسير السلطان الى الشام

في هذه السنة ، أرسل السلطان هولاكو قان الى الملك الناصر صاحب الشام يستدعيه ، فأنفذ ولده الملقب بالملك العزيز وأصحبه التحف والهدايا ، فأنم عليه وأعاده وقال له : نحن طلبنا أباك وحيث لم يحضر نسير اليه ، فلما بلغه ذلك حار في أمره وسار باهله واولاده

الى الكرك ، ثم ان السلطان أمر بعمل ثلاثة جسور على الفرات أحدها عند ملطية والآخر عند البيرة والآخر عند قلعة الروم ، ثم سار في جيوش لا تحصى الى بلاد الجزيرة فملكها وأمن أهلها وامتنعت عليه سروج فأخذها عنوة وقتل أهلها ثم عبر الفرات وكان ما نذكره .

ذكر قتل الملك الأشرف صاحب ميافارقين

كان سبب قتله، أنه غدر بالمغول الذين عنده فقتلهم ، فلما بلغ السلطان هولاكو قان ذلك سير ولده أشموط في جماعة من العسكر فحصروا « ميافارقين » وضيقوا على أهلها وفتحوها عنوة ، وأخذوا الأشرف أسيراً وحملوه الى السلطان وهو بالشام سنة ثمان وخمسين فأمر بقتله فقتل وولي على ميافارقين مملوكاً كان للأشرف المذكور.

عدة حوادث

في ذي الحجة ، توفي عز الدين أبو الفضل محمد بن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ، ولي الوزارة بعد وفاة أبيه ، وكان على القاعدة

التي كانت في زمن الخليفة في الملبوس والمركوب ، دخل الديوان يوماً فقيل لعلي بهادر شحنة بغداد : ان فرس الوزير على الباب وفي حلقها مشدة وعليها كنبوش ابريسم ، فقام ومضى وشاهدها فعجب من ذلك فقيل له : هذه كانت قواعد الوزراء والعظماء في زمن الخليفة ، فبال قائماً على المشدة وأمر باخراج الفرس من الدركاه وعاد وهو مغتاظ منكر لهذه الحال ، وكان عمر عز الدين نحو اربعين سنة .

وفيها ، توفي علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب بلاد الروم .

وفي هذه السنة وصل بهاء الدين علي بن الفخر عيسى الأربلي الى بغداد ورتب كاتب الانشاء بالديوان وأقام بها الى ان مات .

وفيها ، وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمراغة وعين فيه جماعة (١) يتولون عمله الى أن انتحر في سنة اثنتين وسبعين .

سنة ثمان وخمسين وستمائة

في آخر سنة سبع وخمسين ، سار السلطان الأعظم هولاكوقان

(١) منهم المؤيد العرضي . من دمشق . والفخر المراغي وكان بالموصل . والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس . والنجم دبيران القزويني « فوات الوفيات ٢ : ١٥١ » ومحيي الدين المغربي « المختصر ص ٤٨٩ » .

بعساكر عظيمة عبروا على الجسور التي تقدم ذكر عملها ، الى مدينة حلب فحصروها وقاتلوا من بها وفتحوها وملكوها في خامس صفر ، وقتلوا وسبوا وأسروا واخذوا الأموال ، ثم ملك بلاد الشام جميعها عنوة ، وصلحا لمن سأله الأمان وحقن دمه ، وكان بحلب شحنة يعرف بفخر الدين الساقي فلما ملكها أنعم عليه وأعاد الحكم اليه وعين علي « توكال بخشي » شحنة بها معه فاتفق أعيان حلب ورئيسها على القول في فخر الدين الساقي واثبتوا عليه ماصار اليه من الأموال ، فأمر السلطان بقتله فقتل ، وولي رئيس حلب عليها ثم ان السلطان أحكم ثغور الشام وترك به جيشا عليه الأمير « كتبغا » ورحل ، فنزل على ماردين وبها صاحبها نجم الدين غازي فأرسل اليه ولده قرا أرسلان الملقب بالملك المظفر ، فأنعم السلطان عليه وأمره ان يحسن لأبيه الطاعة وحذره عاقبة العصيان ، فلما عاد اليه وأبلغه ذلك اعتقله خوفاً منه أن يقبض عليه ، فدام حصر ماردين ووقع بها وباء كاد يفني من بها ، فمات صاحبها نجم الدين غازي ، فخرج ابنه الملك المظفر من الحبس ونزل الى عبودية السلطان فخلع عليه وأعاده ، ثم رحل قاصداً مقر ملكه ، وأما كتبغا فانه نزل

على الكرك واستنزل الملك الناصر بأمان وسيره الى عبودية السلطان فأكرمه ووعده أنه اذا ملك مصر اعاده الى الشام .

حكي أن السلطان لما كان بوطاة حران وقف له جمع من الفقرآء القلندرية ، فقال لنصير الدين الطوسي : ما هؤلاء ؟ قال : فضلة في العالم ، فامر بقتلهم فقتلوا وسأله عن معنى قوله فقال « الناس أربع طبقات بين امارة وتجارة وصناعة وزراعة ، فمن لم يكن منهم كان كلاً عليهم .

وفيها ، اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا حضرة السلطان حيث كان في الشام ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان أشيآء اعتمدها وأثبتوا ما استوعبه من الأموال ، فأعاده معهم الى بغداد ليقابل على ذلك فلما قوبل وثبت عليه ما نسب اليه أنهوا ذلك الى السلطان فأمر بقتله فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه .

وفيها ، ولي الصاحب علاء الدين ، عز الدين أحمد بن محمود الزنجاني قضاء القضاة ببغداد نقلاً من الجانب الغربي وخلع عليه .

سنة تسع وخمسين وستمائة

فيها ، سار الملك المظفر قطز صاحب مصر الى الشام لما عرف
ان السلطان هولا كوقان قدعاد الى بلاده ، فخرج اليه الأمير كتبغا
ومن معه من العساكر والتقوا واقتتلوا عند عين (١) الجالوت فقتل
كتبغا وعدة من أولاده وجمع كثير من عسكره ، وانهزم الباقون
فدخل الملك « قطز » دمشق واستولى على الشام جميعه واحكم اموره
وقرر قوانينه وعاد الى مصر ، فلما كان بنواحي غزة وثب البندقدار
في عدة من مماليك الصالح أيوب فقتلوه ، واتفقوا الأمراء عليه
فجعلوه سلطانهم ولقب الملك الظاهر ، فسار في الجيوش حتى دخل
مصر فلما استقر بها شرع في قتل كل من توسم فيه الرياسة حتى
توطد ملكه ، فلما بلغ السلطان هولا كوقان ذلك أمر بقتل الملك
الناصر وأخيه وأصحابهما وكانوا عنده كما تقدم ذكره ، ثم أمر
ايلكانوين بالمسير الى الشام ، فسار بخلق كثير من العسكر فلما
قرب من دمشق بلغه أن الملك الظاهر قد تجهز للقائه ووصل الى

---

(١) في المراصد « عين الجالوت : بلدة لطيفة بين نابلس وبيسان من اعمال فلسطين اليها
انتهى عسكر المغل فلقيهم بها البندقدار فكسرهم وكان ذلك انتهاء فتوحهم ».

دمشق ، فعاد الى بلاد الروم ، ولما بلغ الملك الصالح اسمعيل بن بدر الدين لؤلؤ مسير ايلكانوين فارق الموصل ، وقصد الملك الظاهر وهو بدمشق وطلب منه جيشاً يمنع به المغول عن قصد الموصل ، فوعده بذلك فلما عاد ايلكانوين عين له جماعة من العسكر ، فسار بهم الى الموصل وانفذ سنجر مملوك أبيه على مقدمته ، فلما بلغ الموصل منع عن دخولها أياماً ، فوثب محيي الدين بن زيلاق في طائفة من العوام ، وفتحوا له باب الجسر فدخل منه ووضع السيف في النصارى فقتل اكثرهم ونهب اموالهم ، فبلغه أن عسكر المغول واصل اليه فخرج ومعه الف فارس وسار نحو نصيبين ، فالتقى به عسكر المغول فقتلوه وقتلوا اكثر من معه ، فلما بلغ السلطان هولاكوقان ذلك سير الأمير سنداغو الى الموصل ، وأما الملك الصالح ابن بدر الدين فانه وصل الموصل ودخلها فلما استقر بها وصل الأمير سنداغونوين وحصره ونصب المناجيق على سور الموصل وخندق عليها ، وواصل الزحف والقتال مدة اثني عشر شهراً الى ان استولى عليها سنة ستين على ما نذكره .

وفيها ، وصل صاحب الديوان شمس الدين الى بغداد ومعه يرليغ (١) يتضمن براءة أخيه علاء الدين مما نسب اليه وبولايته العراق وبسط يده ، فلما قرئ في الديوان قال الصاحب شمس الدين لعلي بهادر شحنة بغداد « الشعر اذا حلق نبت والرأس اذا حلق لم ينبت » ودبر في قتله ، وقتل عماد الدين القزويني على ما نذكره.

وفيها رتب الشيخ جلال الدين عبد الجبار بن عكبر الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية نقلاً من الاعادة بها وحضر درسه الصاحب علاء الدين والأكابر والعلماء وخلع عليه (٢).

سنة ستين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية أن الأمير سنداغو نزل على الموصل وحصرها وكان أهلها قد أبلوا في الجهاد بلاءً حسناً ، وقام الملك الصالح اسمعيل بن بدر الدين لؤلؤ في ذلك قياماً تاماً ونصب حبال

(١ المقصود باليرليغ « المرسوم السلطاني » الخاص بالتنزيه فهو غير الفرمان .

(٢) في هامش الأصل ما صورته « في سنة تسع وخمسين كان قتل السلطان منكوقان ... قوبلاي قان ... » والمراد قتل أهل الصين لمونككا وتولي قوبلاي على المغول « المختصر ص ٢٩٣ » .

مجانيق المغول بباب الميدان والجصاصين ثلاثين منجنيقاً ترمي ليلاً ونهاراً ، فلما طال الحصار ورأى سنداغو أن القتال والزحف لا يجديان نفعاً أمسك على ذلك الى أن فنيت ميرة أهلها وتعذرت الأقوات عليهم واشتد بهم الأمر حتى أكلوا الميتة ولحوم الكلاب فحينئذ طلب الملك الصالح من سنداغو الأمان له ولأهل البلد وترددت الرسل بينهما فأجابه الى ذلك ، فلما خرج اليه قبض عليه وعلى ولده وأتباعه ودخل العسكر الى البلد وقتلوا ونهبوا وسبوا واسروا ثم أمر بقتل ولده الملقب علاء الملك ، فقتل وعلق رأسه على باب الجسر ، وسير الملك الصالح وأخاه الملك الكامل الى السلطان هولاكوقان فأمر بالملك الصالح فسلخ وجهه وهو حي ثم قتل وقتل أخوه وكان طفلاً وقتل أصحابهم وأتباعهم ثم رتب ابن يونس الباعشيقي والياً بالموصل ، ورتب معه الأمير نور الدين شحنة ، وكان الملك الصالح لما اشتد حصر الموصل كاتب سلطان الشام يسأله مساعدته فأرسل لنصرته أميراً اسمه ايلبرلك في جماعة ، فلما وصل سنجار كتب على الجناح الى الملك الصالح يعرفه وصوله ، فاتفق ان بعض المغول رمى ذلك الطائر بسهم فوجد الخط فحمله الى سنداغو

فأرسل جماعة من عسكره نحو ايلبرلك ، فساروا اليه وقاتلوه بظاهر سنجار فقتلوه وقتلوا معظم اصحابه وانهزم الباقون ولما فرغ سنداغو من فتح الموصل سار الى جزيرة ابن عمر ففتحها بأمان وقتل حاكمها ، واستعمل عليها رجلاً نصرانياً اسمه « مرحسيا » ثم عاد الى السلطان ، ومن جملة من قتل بالموصل في هذه الوقعة محي الدين بن زيلاق وكان من الفضلاء ، له رسائل وأشعار مشهورة منها : قوله يعتذر الى من يستدعيه :

انا في منزلي وقد وهب الله نديماً وقينة وعقارا
فابسطوا العذر في التأخر عنكم « شغل الحلي اهله ان يعارا »

ولابن زيلاق ايضاً :

« رحلوا بقلبي المستهام وغادروا بين .... »

« ولقد شيمت حداجهم بمدامعي .... »

وفيها ، أبطلت الدراهم السواد (؟) بالموصل ، وكانت نحو اربعين درهماً بدينار وضرب بها دراهم نقرة وفلوس .

وفيها ، قتل عماد الدين القزويني أحد الحكام ببغداد ، وسبب ذلك ما تقدم ذكره في السنة الماضية ، فلما كان الصاحب شمس الدين

بالعراق أخذ خطوط الولاة والأكابر بما صار اليه من الأموال، وعرض ذلك على السلطان ، فأمر بالفحص عنه ، فثبت عليه اكثره، فأمر بقتله ، ثم ان الصاحب شمس الدين قبض على مجد الدين صالح بن الهذيل ملك واسط وطولب بالبقايا وشدد عليه ثم دوشخ (١) وضرب ، وطيف به في واسط واستوفي منه قدر يسير ساعده به الناس ، وقبض على اصحابه ونوابه وطولبوا بالأموال وضربوا، ثم سلمت الأعمال الواسطية الى الملك فخر الدين منوجهر بن ملك همذان، فانحدر اليها ، واستصحب فخر الدين مظفر بن الطراح وجعله نائباً عنه في تدبيرها.

سنة احدى وستين وستمائة

فيها ، قتل علي بهادر شحنة بغداد والعلوي المعروف بالطويل وكانا ممن سعى في الصاحب علاء الدين ، كما تقدم ذكره ، فاخذ الصاحب شمس الدين خطوط حكام بغداد بما صار اليهما من الأموال وما اعتمدا في العراق ، وعرض ذلك على السلطان فأمر

(١) اي عذب بآلة تسمى دو شاخة .

بقتلهما فارسل الايلجية في طلبهما من بغداد ، فلما سارا عنها أنفذ من قتلهما وعين الأمير قرابوقا شحنة ببغداد ، وكان علي بهادر حسن السياسة مظهراً للخير يلازم الصلوات في الجمع والتراويح وغيرها فلما قتل قبض على شهاب الدين داود بن عبدوس وكيله ، وثقل بالحديد وطولب بالأموال ، فأدى عشرة آلاف دينار ، ثم ان الصاحب علاء الدين خاطب في أمره فتقدم باعادة ذلك عليه .

وفيها ، ولي السيد رضي الدين علي بن طاووس نقابة الطالبيين بالعراق .

وفيها ، توفي عز الدين عبدالرحمن بن الناقد وعمره احدى وخمسون سنة وخمسة اشهر .

سنة اثنتين وستين وستمائة

فيها وصل نصير الدين محمد الطوسي الى بغداد لتصفح الأحوال والنظر في أمر الوقوف والبحث عن الأجناد والمماليك ، ثم انحدر الى واسط والبصرة ، وجمع من العراق كتباً كثيرة لاجل الرصد ووصل أيضاً جلال الدين بن مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير

وقبض على نجم الدين أحمد بن عمران الباجسري ، وأخرج مكتوفاً راجلاً الى ظاهر بغداد ، وقد نصبت هناك خيمة بها صاحب الديوان علاء الدين وخواجه نصير الدين الطوسي وابن الدويدار وجماعة من الامراء ، فعمل له يارغو (١) وقوبل على أمور نسبت اليه ، فوجب عليه القتل فقتل ، وأخذ ابن الدويدار مرارته ، ثم طيف برأسه على خشبة ونهبت داره وكان حسن السيرة ذا مروءة ، كان من متصرفي السواد ببغداد . فلما وصل السلطان هولاكو قان العراق توصل حتى مثل في حضرته وانهى اليه من الأحوال ما اوجب الانعام عليه وتقديمه حتى صار من جملة الحكام ببغداد وشارك في تدبير الاعمال وخوطب بالملك ، فقال في حق علاء الدين صاحب الديوان وعاداه ، فأفضت حاله الى ما جرى عليه — نعوذ بالله من سوء التوفيق — ثم ان ابن الدويدار شرع في بيع ماله من الغنم والبقر والجواميس وغير ذلك ، واقترض من الأكابر والتجار مالاً كثيراً واستعار خيولاً وآلات السفر ، وأظهر انه يريد الخروج الى الصيد وزيارة المشاهد ، وأخذ والدته وقصد مشهد

(١) اليارغو باللغة المغولية هي كالمحاكمة اليوم واليارغوجي : الحاكم ، وقد منع مرجان في وقفيته النظر في القضايا الشرعية « واليارغونية » بمدرسته المعروفة ببغداد .

الحسين – عليه السلام – ثم توجه الي الشام ، فتأخر عنه جماعة ممن صحبه من الجند لعجزهم فلما عادوا أخذهم قرابوغا شحنة بغداد وقتلهم ، وقبض على كل من كان ببغداد وواسط وغيرها من الجند فقتلهم .

وفيها ، قبض قرابوغا شحنة بغداد على علاء الدين صاحب الديوان واعتقله ونسب اليه اشياء قد عزم على أن يعتمدها ، فأرسل الى أخيه الصاحب شمس الدين وهو باذربيجان يعرفه ذلك ، فعرض أمره على السلطان فأمر بحمله الى بين يديه على اختياره ومعه كل من قال عنه ونسب وسعى به الي قرابوغا ، تحت الاستظهار ، فلما وصلوا وعمل « اليارغو » لم يثبت على الصاحب علاء الدين مانسب اليه فأمر بقتل من سعى به وعزل قرابوغا عن العراق ، وأعيد الصاحب علاء الدين على قاعدته الى بغداد ، ورتب توكال بخشي شحنة بغداد وهو شتكتاري نوكره .

سنة ثلاث وستين وستمائة

في تاسع عشر ربيع الآخر ، كانت وفاة السلطان هولا كوقان ودفن في قلعة « تلا » من أعمال مراغة ، وولي بعده ولده السلطان أباقاخان وجلس على التخت في خامس عشرين الشهر المذكور ، وأجمع الأمرآء على طاعته وسائر العساكر ، وكان عمر السلطان هولا كوقان نحو خمسين سنة ، وكان عالي الهمة عظيم السياسة عارفاً بغوامض الأمور وتدبير الملك ، فاق على من تقدمه بالرأي السديد والبأس الشديد والسياسة القاهرة ، وكان يحب العلمآء والفضلاء ويحسن اليهم ويجزل صلاتهم ويشفق على رعيته ويأمر بالأحسان اليهم والتخفيف عنهم ، ولم يثقل عليهم ولا كلفهم ما جرت عادة الملوك به من التكليفات والتوزيعات وغير ذلك.

وفيها هم السلطان ركن الدين بقتل البروانة وزيره ، فنم الخبر اليه فواطأ امرآء المغول الذين هناك على قتل السلطان فادخله أحدهم خيمته وخنقه بوترقوس ودفنه في الخيمة ، وأقام مقامه ابناً له عمره

اربع سنين اسمه كيخسرو ولقبه غياث الدين .

وفيها عين رضي الدين المعروف بالبابا واليا بالموصل فدخلها وقبض على الزكي الأربلي الذي كان واليها وطالبه بالبقايا التي ساقها الحساب عليه واستوفى منه معظمها ثم قتله .

وفيها ، قبض مرمليخا الجاثليق على نصراني من أهل بغداد قد أسلم ، فاعتقله بداره المعروفة بالدويدار الكبير على شاطئ دجلة وعزم على تغريقه فبلغ العوام ذلك ، فاجتمعوا ونهبوا سوق العطارين برأس درب دينار وغيره من محال بغداد والنصارى ، وحصروا الجاثليق وأحرقوا باب داره ، وقاتلوا أصحابه فنزل في سفينة وقصد صاحب الديوان علاء الدين واستجار به فأمر الكاحية (؟) بكف العوام ، وركب توكال بخشي شحنة بغداد ، وأخذ نفراً من العوام وقتل منهم وحبس جماعة ، فسكنت الفتنة ، ثم ان الجاثليق توجه الى الأردو الأشرف ، وعاد على اربل وبنى بقلعتها بيعة ، ثم قدم بغداد وأقام بها الى ان مات سنة . . . . . . ورتب في منصبه ماردنحا الاربلي .

وفيها ، توفي جمال الدين ابو الحسن علي بن برز القمي المعروف

بأميران وهو ابن أخي الوزير مؤيد الدين القمي ودفن في تربة عمه بمشهد موسى — عليه السلام — .

سنة اربع وستين وستمائة

فيها ، سار الملك الظاهر المعروف بالبندقدار الى بلاد الأرمن وأوقع بأهلها ونهبهم واستباح اموالهم وا كثر القتل والأسر فيهم خصوصاً أهل سيس وأسر ابنا لليثون صغيراً ، وكان سبب ذلك أن ليثون راسل البندقدار لما ملك مصر وهادنه على خراج مقرر يحمله اليه ، فمطله به هذه السنة ، فلما عاد البندقدار اجتاز بانطاكية وحصرها وفتحها عنوة وقتل أهلها ونهب اموالهم ، وعاد الي بلاده فأرسل ليثون الي البندقدار يسأله فداء ابنه ، فأجابه الى ذلك وقال: ان لنا أسيراً بيد المغول يعرف بسنقر الأشقر خلصه وأرسله الينا لنطلق ابنك ، فسار الى عبودية السلطان أباقاان وأنهى ذلك اليه وسأله اطلاق سنقر ، فأمر بتسليمه اليه، فسيره الى البندقدار فأطلق ابنه ، ثم ان ليثون ارسل ابنا له كبيراً الى السلطان أباقاان ذكر

أنه قد عجز عن الحركة وسأله أن يملك ابنه الذكور ، فأجاب سؤاله وأعاده اليه ، فاستقل بملك ابيه .

وفيها ، وصل الى بغداد رجل معه فيلان، أفرد الديوان لهما داراً فأقام اياماً ثم توجه بهما الى السلطان .

وفيها ، توفي فخر الدين أبو سعد المبارك بن المخزمي ، خدم الخلفاء في عدة خدمات آخرها صاحب ديوان العراق ، ولما كفت يده انقطع في داره ، الى ان ملك السلطان بغداد ، فلما تقرر حال الحكام بها، ولاه صدراً بدجيل ، ثم نقل الى مشيخة رباط الحريم ، بموجب التماسه وايثاره للعزلة والعبادة ، فبقي على ذلك الى ان مات ودفن بحضرة الامام أحمد بن حنبل — رحمه الله — .

وفيها ، توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس وحمل الى مشهد جده علي بن ابي طالب — عليه السلام — قيل كان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة .

سنة خمس وستين وستمائة

في هذه السنة ، عبر براق بن جغتاي بن قبلاي خان النهر الى غربيه بعساكر كثيرة فسار السلطان أباقا للقائه ، فالتقوا بنواحي هراة واقتتلوا قتالاً شديداً استظهر فيه براق ثم ان الله من بالنصر على السلطان أباقا وأيده ، فانهزم براق وعسكره وتمت هزيمتهم الى جيحون ، وتبعهم عسكر السلطان أباقا يقتلون فيهم وينهبون ويأسرون وغرق منهم خلق كثير في جيحون، ونجا براق وبعض عسكره .

وفيها ، عزل توكال بخشي عن نوكرية هو شتكتاي شحنة بغداد وجعل عوضه تتارقيا .

وفيها ، بنى علاء الدين صاحب الديوان بظاهر بغداد تجاه باب الظفرية والحلبة قصراً ورواقات وحماما ، واستجد حوله بستاناً عظيماً غرس فيه أنواع النخل والأشجار والأثمار حتى الفستق وغرم عليه مالا كثيراً .

وفيها ، وصل شمس الدين محمد بن السكبشي الى بغداد وعين مدرساً بالمدرسة النظامية ، وحضر درسه الحكام والعلماء ، فلم يزل على ذلك الى ان خطر له التوجه الى بهاء الدين بن الصاحب شمس الدين الجويني فسار اليه .

سنة ست وستين وستمائة

فيها ، أمر علاء الدين صاحب الديوان ببناء رباط بمشهد علي — عليه السلام — ليسكنه المقيمون هناك ، ووقف عليه وقوفاً كثيرة وأدر لمن يسكنه ما يحتاج اليه ، وأمر بضرب فلوس من المس (١) ليتعامل بها الناس ببغداد وغيرها ، كل اربعة وعشرين فلساً بدرهم ، وبكل دينار خمسة أرطال ، وأمر الناس بالتأهب للحج وأحضر عرب الطريق وأطلق لهم من ماله شيئاً كثيراً وأخذ منهم الرهائن على ان يسيروا الحاج ويعيدوهم ، ولما توجه الناس مضى الصاحب معهم الى الكوفة ، وجهز الفقراء وزودهم وعين للناس من يتأمر عليهم في السفر ، فحجوا وعادوا سالمين .

(١) المس : هو النحاس .

وفيها ، أمر الصاحب بقتل ابن الخشكري (١) النعماني الشاعر وسبب ذلك : أنه بلغه عنه أنه يقول أشياء تنافي الشرع ويفضل شعره على القرآن المجيد ، ويقدم على مالا يجوز ذكره ، فعظم ذلك عليه واتفق انحداره الى واسط فلما وصل النعمانية (٢) حضر ابن الخشكري عنده وأنشده قصيدة يمدحه فيها ، فأذن المؤذن ، فنصت الصاحب اليه ، فقال ابن الخشكري « يا مولانا اسمع شيئاً جديداً وأعرض عن شيء له سنين » فثبت حينئذ عنده ما قيل عنه ثم ان الجماعة الذين نقلوا عنه ذلك أوهموه أن الصاحب يعجبه ما يقوله ويطيب له سماعه منه ، فاغتر وشرع في القول وانبسط والصاحب يصغي اليه غير منكر عليه ، فلما ركب من الغد أمر ابن سليط الأسدي أن ينفرد به ويقتله ، فعدل به عن الطريق وأخذ يحادثه الى أن بعد عن الناس ، ثم أمر بعض اصحابه بانزاله عن فرسه مداعباً له ، وهو يشتمهم ، فلما أنزله أمره بنزع ثيابه فقال « والله ان هذا لعب بارد وانكم اعراب اجلاف ثقال » وهو

---

(١) ذكر في « ص ١٤٧ ـ ٨ » من عمدة الطالب مزيد الخشكري الشاعر .

(٢) قال في مراصد الاطلاع « النعمانية بالضم منسوبة الى رجل اسمه النعمان بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة هي قصبة الزاب وهو عمل قوسان واهلها روافض » .

يتوهم أن هذا الفعل من أنواع اللعب كما كان يعهده منهم دائما في الخلوة ، فقال له « اضرب عنقه » فضربه بالسيف فقتله وأخذ فرسه وثيابه .

وفيها ، وقع بنيسابور خسف وزلازل هلك منه خلق كثير وخرج الناس الى البراري فلما سكن ذلك عادوا الى منازلهم .

وفيها، توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال شيخ رباط المرزبانية ، كان شيخا صالحا ورعا زاهدا ، حكى عن نفسه قال : كنت بمصر واتصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة من القتل والنهب والفتك والأسر فانكرته بقلبي وقلت يارب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ؟ فرأيت تلك الليلة في المنام رجلا في يده كتاب فأخذته منه فاذا فيه:

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك

ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك

فاستغفرت الله تعالي وامسكت .

وفيها ، توفي الشيخ ضياء الدين محمود الجاجرمي (١) شيخ رباط

---

(١) بفتح الجيم الثانية وتسكين الراء : كانت بلدة لها كورة واسعة بين نيسابور وجوين وجرجان .

الشونيزي ، ودفن في صفة الشيخ الجنيد ، وهو الذي تولى تجديد الرباط المذكور ، كان الصاحب علاء الدين يحترمه كثيراً ويعتني بأمره ويقوم بكل ما يحتاج اليه .

وفيها ، ولي على الموصل رجل نصراني اسمه مسعود وهو من قرى اربل اسمها برقوطا ، وعزل عنها البابا ، (١) ورتب معه شحنة من المغول اسمه أشموط .

وفيها ، قتلت ببغداد امرأة تسمى عروس خاتون ، كانت زوجة بعض أصحاب توكال بخشي شحنة بغداد اسمه حسين آغا وسبب ذلك : أنها هويت غلاماً أمرداً مليحاً فلما عرف بذلك أراد قتله فأبى الشحنة ذلك وقال : يقتلان جميعاً او يستبقيان بعد أخذ الحد منهما فأخرج الغلام الى ظاهر السور وضرب له وتد في الأرض وأقعد عليه فمات ثم قدم المرأة وقتلها بيده وهو يبكي أسفاً عليها .

وحج الناس في هذه السنة على قاعدة السنة الماضية .

(١) في « ١ : ٢٤٠ » من تاريخ الموصل لسليمان صائغ « ناصر الدين قأقاً » .

سنة سبع وستين وستمائة

فيها ، قدم السلطان أباقاخان الى بغداد وفي خدمته الأمراء والوزراء والعساكر فأقام الى زمن الربيع وعاد ، واعتمد الصاحب علاء الدين في الخدمة بالتحف والأعلاق النفيسة ما يجب .

وسقط ببغداد في هذه السنة ، وفر كثير كان سمكه في السطوح دون الشبر .

وفيها ، رتب السيد النقيب تاج الدين علي بن الطقطقي العلوي صدراً بالأعمال الحلية

وفيها ، توفي أقضى القضاة نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي ودفن في صفة الشيخ الجنيد ، وقد بلغ من العمر الى ست وسبعين سنة وكان ورعاً عفيفاً تقياً حسن السيرة ، اشتغل بالفقه في عنفوان شبابه بمدرسة دار الذهب ببغداد حتى برع ، وأفتى ثم رتب معيداً بالمدرسة المستنصرية ، ثم شهد عند أقضى القضاة كمال الدين عبدالرحمن بن اللمغاني ، ثم جعل في ديوان العرض على اطلاق معايش الجند ، فلما

تكملت له سنة أطلق له عنها المشاهرة فامتنع من أخذها وقال « لا يحل لي أن أجمع بين خدمة ووظيفة المستنصرية » فأنهي ذلك الى الخليفة فاستحسنه وتقدم أن يطلق له مشاهرة مع أرباب الرسوم ، ثم عين قاضيا بالجانب الغربي سنة اثنتين وخمسين ثم نقل الى الجانب الشرقي وخوطب بأقضى القضاة سنة خمس وخمسين فاستمر على ذلك الى الآن ، سئل في حال مرضه عمن يصلح بعده للقضاء فقال « قد تقلدته حيا فما اتقلده ميتا » فقيل له : لابد من الاشارة في ذلك ، فقال : ان امتنع سراج الدين الهنايسي فيكون عز الدين بن الزنجاني قاضي الجانب الغربي ، فلما توفي أحضر سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي الشافعي ورتب قاضي قضاة بغداد نقلاً من التدريس بالمدرسة البشيرية فلم يمتنع عن ذلك .

وفيها ، توفي القاضي فخر الدين عبدالله بن عبدالجليل الطهراني الراوي الحنفي ، استنابه أقضى القضاة نظام الدين البندنيجي في القضاء وفوض اليه أمر الحسبة ببغداد ، ابتلي بالمرض في وجهه حتى تآكل أنفه ولقي مشاق عظيمة حتى توفي .

وفيها ، توفي الشيخ الصالح الزاهد (١) محمد بن السكران ، ودفن في رباطه بناحية المباركية من الخالص بالجانب الشرقي من بغداد وبني عليه قبة وعمل عليه ضريح من الخشب ، وكان رحمه الله على قاعدة السلف في العفة والزهد والانقطاع وتربية الفقراء والأيثار وحسن السيرة ، سكن في هذه الناحية في مبدأ أمره يزرع بيده ويواسي الواردين مما يحصل له ، ثم عمر موضعاً يأوي الفقرآء اليه فبقي على ذلك مدة ، ثم عمر له هذا الموضع رباطاً فزرع الى جانبه بستاناً غرس فيه نخلاً وشجراً وأوقفه على الفقرآء ، فانضم اليه جماعة من الصالحين كل منهم يزرع بيده ولا يتخصص بالنماء ، فكان يقيم بجميع من يجتاز به ، ثم اعتمد على أصحابه في ذلك وانقطع يعبدالله ولا يطالب بقيه قوتاً ، لكن ان اعطي له أكل وان اشتغلوا عنه لا يطلب حتى انه ربما بقي اياماً لا يطعم ، فقال يوماً لأصحابه « لا ريب انكم ما تسألون عن احوال الفقرآء وقد بلغني أن بينكم فقيراً له أيام لم يطعم » ففحصوا عن ذلك فعرفوا انهم

---

(١) لا يزال قبره معموراً في شرقي الراشدية قرب الجديدة على الخالص القديم المندثر ، قال في مادة « زاوية » من المراصد « والزاوية ببغداد قرية من قرى الخالص كان فيها زاوية الشيخ محمد بن سكران ـ رض ـ يطعم فيها من يجتاز به » .

أهملوا الشيخ فاعتذروا اليه باشتغالهم في خدمة الواردين واستغفروا الله ، قيل ان خواجه نصير الدين الطوسي اجتمع به وقال له : ما حد الفقر ؟ فقال : الذي أعرفه أن ربق الفقير ضيق لا يدخله رأس كبير.

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها ، تقدم علاء الدين صاحب الديوان بعمل دولاب تحت مسناة المدرسة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي الى مزملتها ، ثم يجري تحت الأرض الى بركة عملت في صحن المدرسة ، ثم يخرج منها الى مزملة عملت تجاه ايوان الساعات خارج المدرسة ، وجدد تطبيق صحنها وتبنيد حيطانها ، وكان المتولي لذلك شمس الدين حميد الخراساني صدر الوقوف ، ثم أمر بعمارة مسناة مسجد قرية بالجانب الغربي ، وكانت قد خربت في زمن الخليفة المستعصم عند زيادة دجلة وغرق بغداد وعمل موضعها سكر من الخشب وبقي الى الآن فتقدم بتجديده وعمله كما كان اولاً ، ثم تقدم بترتيب الشيخ نور الدين علي بن الأطلبي الحنفي مدرساً بالبشيرية عوضاً عن فخر

الدين الطهراني المتوفى في السنة الماضية .

وفي خامس عشرين جمادى الآخرة ، ركب علاء الدين صاحب الديوان لصلاة الجمعة فلما وصل الى المسجد (١) الذي عند عقد مشرعة الابريين ، نهض عليه رجل وضربه بسكين عدة ضربات ، فانهزم كل من كان بين يديه من السرهنكية ، وهرب الرجل أيضاً فعرض له رجل جمال كان قاعداً بباب (٢) غلة ابن تومه وألقى عليه كساءه ولحقه السرهنكية فضربوه بالدبابيس وقبضوه ، وأما الصاحب فانه ادخل دار بهاء الدين بن الفخر عيسى ، وكان يومئذ يسكن في الدار المعروفة بديوان الشرابي ، لما عرف بذلك خرج حافياً وتلقاه ودخل بين يديه وأحضر الطبيب فسبر الجرح ومصه فوجده سليماً من السم وأحضر الجارح وسئل عن وضعه ، فلم يقل شيئاً وعاجله الموت لكن توهموا أن ذلك بوضع بعض النصارى .

وفيها ، غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الحنطة مائة وخمسين ديناراً ، وكان الخبز يتعذر في الأسواق اكثر الأوقات .

---

(١) هذا التحديد يوافق المسجد المعروف بجامع الكمالجية اليوم .

(٢) هو الباب الذي قتل قربه صاعد بن يحيى بن هبة الله بن توما أبو الكرم النصراني الطبيب « القفطي ص ١٤٥ ومختصر الدول ص ٤٢٢ » .

وفيها ، توفي الشيخ أبو نصر محمد بن أبي الحسن الجزاز الصوفي ببغداد ، وكان شيخاً ورعاً كيساً حسن المحاضرة ، يقول الشعر وله ديوان مشهور ، ورد عليه بعض اصحابه فلم يقم له وأنشده قوله :

نهض القلب حين أقبلت اجلا — لاً لما فيه من صحيح الوداد
ونهوض القلوب بالود اولى — من نهوض الأجساد للأجساد

وفيها ، توفي تقي الدين بن كليب النحوي الواسطي ، وكان فاضلاً شاعراً .

وفيها ، رفع البابا على مسعود البرقوطي والي الموصل وأشموط الشحنة بما وصل من الأموال اليهما فأخذا وحوسبا وعزلا ، وسلمت الموصل الى البابا ، وجعل معه بعض امراء المغول شحنة .

سنة تسع وستين وستمائة

فيها ، توفي الشيخ سراج الدين عبدالله بن الشرمساحي المالكي المدرس بالمدرسة المستنصرية ، وكان عالماً كثير العبادة ، ورد الى بغداد في زمن الخليفة المستنصر ومعه أخوه علم الدين أحمد ، فلما

توفي الآن عين أخوه علم الدين في موضعه نقلاً من تدريس البشيرية.

وفيها ، قتل العدل نجم الدين يحيي بن عبدالعزيز الناسخ ، وسبب ذلك : أنه نسب اليه مكاتبة ملوك الشام فحبس وقرر ، فاعترف بذلك ، فأمر بقتله ، وكان فاضلاً ورعاً تقياً — نعوذ بالله من سوء التوفيق — .

وفيها ، توفي صفي الدين عبدالله بن جميل الجبي كان أديباً فاضلاً ظريفاً خليعاً حسن الأخلاق طيب المحاضرة ، وكان من شعراء الديوان زمن الخليفة ، وله أشعار حسنة.

وحج الناس في هذه السنة وعادوا سالمين .

سنة سبعين وستمائة

فيها، وصل خواجه شرف الدين هارون بن الصاحب شمس الدين محمد بن الجويني صاحب ديوان الممالك وسأل من الصاحب علاء الدين عمه تزويجه بابنة أبي العباس أحمد بن الخليفة المستعصم، فأحضر قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس المنايسي وجماعة

العدول والمشايخ فاشترطت والدتها — وهي زوجة الصاحب علاء الدين — قبل العقد عليه : أن لا يشرب الخمر ، وأجاب الى ذلك فعقد العقد وكتب كتاب الصداق بخط بهاء الدين بن الفخر عيسى الأربلي المنشي ، فشهد فيه قاضي القضاة وعدلان . وصورته « الحمد لله الذي جمع الشمل ونظمه ، وقوى عقد الألفة وأحكمه وأوثق حبل الاجتماع وأبرمه ، وصلواته على سيدنا محمد الذي شرفه وعظمه ورفع قدره وكرمه ، وعلى آله وصحبه الذين أوضحوا منار الايمان وعلمه واظهروا برهانه ، وأناروا ظلمه وكشفوا لبه وخصصوا مبهمه ، هذا ما أشهد عليه المولى الصاحب المعظم شرف الدولة والدين ملك الوزرآء مفخر الدنيا هارون بن المولى الصاحب المعظم شرف الدولة والدين الأعظم العادل المؤيد المجاهد المرابط شمس الدين آصف العهد ملك وزرآء الآفاق ، مالك رق المعالي بالاستحقاق ، فريد العصر في شرف الخلال وكرم الأخلاق محمد ابن الصاحب المعظم بهاء الدين محمد — أطال الله عمر الخلف ، وأهدى الرضوان الى السلف — في صحة من رأيه الكريم ونفاذ من

تصرفه القويم ومضاه من سداده المستقيم . أن عليه وقبله وفي ذمته وخالص ماله لزوجته السيدة الجليلة المعظمة الكريمة المقدسة الطاهرة الزكية أمة الله المباركة المدعوة رابعة أخت البتول الزهراء في طهارة الميلاد وابنة عمها في نسب الآباء والأجداد بنت الأمير الكبير السعيد الشهيد ابي العباس أحمد ن الأمام السعيد الشهيد ابي أحمد عبدالله الأمام المستعصم بالله امير المؤمنين (وذكر نسبه الى العباس عم النبي — صلى الله عليه وسلم —) من العين مائة الف دينار واحدة ذهباً عيناً صحاحاً وذلك بحق صداقها الذي تزوجها عليه تزويجاً صحيحاً شرعياً تولي برشد وشاهدي عدل وتولى هذا العقد الميمون قاضي القضاة شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنابسي باذنها ورضاها ، فصار المبلغ المشار اليه ديناً لها عليه وحقاً واجباً ثابتاً لازماً وصداقاً حالاً غير مؤجل يؤديه اليها متى شاءت من ليل أو نهار من غير دفع ولا منع ولا اعتذار أقر المولى الصاحب المعظم شرف الدين المشهد على نفسه أنه ملي بالنقد المذكور وهو مائة الف دينار من النقد المعين فيه ، وفي به قادر عليه ، وقبل ذلك وصح قبوله وبذلك جميعه أشهد على نفسه

الكريمة في جمادي الآخرة سنة سبعين وستمائة ».

وفيها، أمر علاء الدين صاحب الديوان بتجديد عمارة منارة جامع (١) الخليفة، وكان صدر الوقوف يومئذ شهاب الدين علي بن عبد الله فشرع في ذلك، وأنجزت في آخر شعبان، ثم سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح ولم يتأذ أحد ممن كان هناك.

وفيها، وقع حريق بسوق المدرسة النظامية، فاحترق جميعه وهلك فيه خلق كثير ممن كان في الغرف وذهب من أموال الناس شيء كثير فأمر الصاحب علاء الدين بعمارته من حاصل وقف المدرسة.

وفيها، توفي قاضي القضاة سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي في آخر رمضان، ودفن في الصفة التي تقابل ضريح الشيخ معروف — رحمه الله — كان في مبدأ امره فقيها، ثم ولي مدرسا في المدرسة البشيرية، ثم نقل الى القضاء، وخطب بجامع (١) الخليفة وهو قاض، وولي القضاء بعده عز الدين أحمد بن الزنجاني

(١) هو جامع سوق الغزل اليوم - كما أشرنا اليه سابقا -.

نقلاً من قضاء الجانب الغربي في ذي الحجة .

وفيها ، قتل نجم الدين خواجه امام ، كان من نواب الصاحب علاء الدين ، قدم معه من خراسان فاثبته فقيهاً بالمدرسة المستنصرية وفوض اليه امر وكالته في خاصته ، وقدمه وأعلى مرتبته حتى صار المشار اليه في بغداد ، وحصل أموالاً عظيمة ، ثم كفر النعمة واستعد للقول في الصاحب ، فبلغه ذلك ، فقبض عليه وحبسه في داره فنقب الحبس وخرج منه ليلاً والتجأ الى بعض امراء المغول وضمن له مالاً على أن يوصله الى حضرة السلطان ، فركب الصاحب في جماعة وأحاط به وأخذه وقتله ، وطيف برأسه في بغداد ثم دفن في مشهد أبي حنيفة .

وفيها ، توفي .... (١) كان أديباً من كبار المتصرفين .

وفيها ، أمر صاحب الديوان علاء الدين بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سماه المأمن وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً ، وانتقل اليه خلق كثير وكان التجار المنحدرون الى البصرة والمصعدون منها يصعدون متاعهم اليه ، فانتفعوا به وأمنوا

(١) كذا ما في الأصل وليس لنا الى معرفة المتوفى سبيل .

على اموالهم ، وبنى فيه ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي مدرسة .

سنة احدى وسبعين وستمائة

فيها ، رأى رجل ببغداد في المنام أن بعض أولاد الحسن بن علي — عليه السلام — في موضع « بقراح أبي (١) الشحم » ، فأعلم الناس بذلك ، فنبشوا الموضع فوجدوا فيه قبراً ، فتبرع بعض الموسرين وأخرج شيئاً من ماله ، وشرع في عمارته ، وشاع ذلك ببغداد فحضر خلق كثير للزيارة ونذروا له نذوراً صح اكثرها فاجتمع من ذلك شيء كثير فعمر بالآجر والجص « عبدالله الباهر » .

وفيها ، تكاملت عمارة المدرسة التي أمرت بانشاءها زوجة علاء الدين صاحب الديوان ، مجاور مشهد عبيدالله — عليه السلام — ظاهر بغداد وسميت العصمتية ، ووقفتها على الطوائف الاربع وبنت الى جانبها تربة لها ورباطاً للمتصوفة ، وفتحت في هذه السنة

(١) وضع المؤرخ « لسترنج » رمز هذه المحلة في ما يطابق محلة بني سعيد من بغداد الحالية وفيه صواب على ما ذكره ياقوت في مادة « قراح » .

ورتبت بها القاضي عز الدين أبو العز محمد بن جعفر (١) البصري مدرس الطائفة الشافعية ، وعفيف الدين ربيع بن محمد الكوفي مدرس الحنفية، وشرف الدين داود الجيلي مدرس الحنابلة ، ومجد الدين المعروف بشقير الواعظ مدرس المالكية ، وخلع على الجميع، وعمل بها وظيفة ، وجعلت النظر فيها الى شهاب الدين علي بن عبد الله والاشراف عليه الى من ولي قضاء القضاة ببغداد .

وفيها ، عين تاج الدين عبدالرحيم بن يونس الموصلي الشافعي قاضيا بالجانب الغربي ببغداد ، وأضيف اليه التدريس بالمدرسة البشيرية ، وكان رجلاً فاضلاً عالماً له مصنفات مشهورة ، فلم تطل أيامه، وتوفي في آخر هذه السنة ، وتوفي أيضاً القاضي مجد الدين أحمد الدوري فجأةً .

وفيها ، جلس خواجه شرف الدين هارون بن الصاحب شمس الدين بن الجويني صاحب ديوان الممالك على السدة بالمدرسة النظامية ، وألقى دروساً ، وحضر علاء الدين صاحب الديوان عمه وكافة ارباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء تحت سدته

---

(١) سيرد بعد سطور ، بصورة « أحمد بن جعفر » ثم « محمد » .

وأنشد الشعراء بعد فراغه .

وفيها ، رتب قاضي القضاة عز الدين أحمد بن الزنجاني عز الدين أبا العز أحمد بن جعفر البصري نائباً عنه في القضاء ببغداد .

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

فيها ، وصل السلطان أبا قاخان الى بغداد ، وفي خدمته الامراء والعساكر وخواجه نصير الدين الطوسي ، وعبر دجلة وتصيد في أراضي قوسان حتى بلغ قريباً من واسط ، ثم عاد الى بغداد ونزل بالمحول (١) وأمر بالاحسان الى الرعايا، وتخفيف التمغات، وحذف الأثقال عنهم ، وكتب ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية ، ثم أقطع المحول بلغان خاتون ، فلما انقضى الشتاء عاد الى مقر ملكه وأما خواجه نصير الدين الطوسي فانه أقام ببغداد وتصفح أحوال الوقوف وأدر اخباز الفقهاء وللمدرسين والصوفية وأطلق المشاهرات

(١) في المراصد « المحول : بتشديد الواو بليدة طيبة حسنة نزهة كثيرة البساتين والفواكه بينها وبين بغداد فرسخ واحد على نهر عيسى » قلنا : ونهر عيسى . هو نهر الخر الحالي ، وتقدم في ص ٢٦٩ ذكر دار المستعصم بالمحول .

وقرر القواعد في الوقف وأصلحها بعد اختلالها .

وأمر السلطان باضافة تستر وأعمالها الى علاء الدين صاحب الديوان ؛ فتوجه اليها وتصفح أحوالها وعين بها نوابا ، فذكروا له أن بها رجلاً يدعي النبوة ، وقد اتفق معه جماعة وقد نقص لهم من الفروض صلاة العصر وعشاء الآخرة ، فأمر باحضاره وسأله عن هذه الحال فرآه ذكيا عارفاً ببعض العلوم ، فأمر بقتله فقتل وسلم الى العوام ، وأخذ أكثر من كان قد اتبعه ، وهذا كان صبياً من أبناء التجار اسمه « كي » اشتغل بحفظ القرآن والفقه والاشارات والنجوم ، وكان ينظم شعراً بالفارسية ، فادعى انه عيسى بن مريم وقال « ان بلغت من العمر ثمانيا وثلاثين سنة تم أمري » ونظم شعراً يتضمن ذلك ، فقيل : ولم يبلغ ما ذكره من العمر .

وفيها ، عين نجم الدين محمد بن أبي العز البصري مدرس الطائفة الشافعية بمدرسة الأصحاب ، ونصير الدين الفاروثي مدرس المدرسة النظامية .

وفيها ، توفي الشيخ كمال الدين علي بن وضاح الشهرباني الحنبلي مدرس المجاهدية ، ودفن تحت أقدام الامام أحمد بن حنبل

— رحمهما الله — وكان شيخاً صالحاً زاهداً ورعاً عارفاً بالمذهب والأحاديث النبوية ، وله تصانيف كثيرة ، كان مولده سنة تسعين وخمسمائة .

وتوفي القاضي عز الدين أبو العز محمد بن جعفر البصري ، ودفن عند الجنيد ، وكان عالماً فاضلاً ، ولي تدريس النظامية بعد واقعة بغداد ، ثم نقل الى تدريس مدرسة الأصحاب ، ودرس في المدرسة المستنصرية عند فتحها ، وناب في الحكم والقضاء ببغداد .

وفيها ، قتل النقيب تاج الدين علي بن رمضان بن الطقطقي بظاهر سور بغداد ، وثب عليه جماعة من أهل الحلة وضربوه بالسيوف وكان السلطان ببغداد ، فلم يزل الصاحب علاء الدين (١) يفحص عن قاتليه حتى حصلهم وقتلهم ، ثم أخذ اكثر املاكه بشبهة ما بقي عليه من ضمان الأعمال الحلية .

وفي منتصف ذي القعدة ، توفي الملك عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري ببغداد ، وكان شيخاً جواداً ممدوحاً اصلاً ، كل من يسترفده واشتهر

(١) قلنا : كان علاء الدين هو الذي واطأ الجماعة على قتله لأنه كتب الى أباقا خان في عزل علاء الدين عن العراق وأن يقوم مقامه « عمدة الطالب ص ١٦ » .

ذكره في البلاد بالكرم ، تولى شحنكية واسط والبصرة ، وكان حسن السيرة عظيم الناموس ، دفن في مشهد علي – عليه السلام – ورثاه الشعراء باشعار كثيرة منها : قول ابن الكبوش(١) البصري من قصيدة هذا منها :

لم أبك حتى بكى لك الكرم والسيف يوم القراع والقلم
واحمر وجه الثرى عليك أسى اذ كل دمع جرى عليك دم
لا أحمد الغيث ان عداك ولا اذا انبرى في ثراك ينسجم
وكيف يسقي ثراك صوب حيا وفيه بحر بالجود يلتطم
واين جود الغمام منك ولو جادت علينا بالمسجد الديم
لو كان يحيي الندى الكرام لقد أحياك من بعد موتك الكرم
انت امام الندى قد اتفقت عليك بعد اختلافها الأمم
جزت المدى في الندي فلا عرب يلقاك في شأوه ولا عجم
ما نال كعب ما نلت معه ولا معن ولا حاتم ولا هرم
لم تلف فوق السماء منزلة الا سمت نحوها بك الهمم
من بعد عبد العزيز لا وخدت الى رسوم المكارم الرسم

(١) هو عبد السلام كما سيأتي. وذكره في الفخري ص ١٢ .

للموقد النار في الدجى كرماً	بالمندل الرطب والشتاشيم (١)
من لم يمت بعد الفه أسفاً	فانه في الوداد متهم
ولو قضينا لما قضيت أسىً	لما قضت بعد حقك الذمم
ان لم تسل مقلة عليك دماً	فلا حلا في جفونها الحلم
بمن يلوذ الراجي سواك ومن	به يعوذ اللاجي ويعتصم
قد كنت لي كعبة أطوف بها	يامن حماه لوفده حرم
مالي أرى المكرمات بعدك قد	شلت يداها وزلت القدم
ماتت فما تبشر المكارم اذ	تنشر منك الاعراق والشيم
هي الليالي التي تفرقنا	أيدي ملماتها وتلتئم
مادام فيها ملك ولا ملك	ولا تدوم البؤسى ولا النعم
فأين كسرى وأين قيصره	وما دهى قومه واين هم
سيهدم العارضان كل بنا	وما بنى المجد ليس ينهدم
انا لنستمطر الغمام وقد	أخلف في الغمام سيله العرم
ولو سألنا عبد العزيز وما	في القبر الا عظامه الرمم
لقام يهتز كالبان (٢) فتى	اغر أقنى في أنفه شمم

(١) لعلها « بشم » أي بارد .

(٢) لعلها « كالقناة » ليستقيم الوزن والمعنى .

ما قال يوماً لسائليه بلا	حذار لا بل مقاله نعم
يزدحم القول حين أمدحه	كجوده والوفود تزدحم
كأنما النظم من سهولته	ينظمه قبل نظمه الكلم
ان القوافي التي أقت لها	سوقا عفت مثل ماعفا الكرم
وانقرضت دولة القريض فما	ينظم فكر ولا يقول فم
وأصبح الناس والبلاد معاً	بعدك لا بانة ولا علم

وتوفي بعده خواجه نصير الدين أبو جعفر (١) محمد بن الطوسي في ثامن عشر ذي الحجة ، ودفن في مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — في سرداب قديم البناء خالٍ من دفن ، قيل انه كان قد عمل للخليفة الناصر لدين الله ، وكان فاضلاً عالماً كريم الأخلاق حسن السيرة متواضعاً لا يضجر من سائل ولا يرد طالب حاجة ، كان مولده سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، ورثاه الشعراء ، فمما قاله بهاء الدين بن الفخر عيسى الاربلي المنشي فيه وفي الملك عز الدين عبد العزيز المذكور :

ولما قضى عبد العزيز بن جعفر　　وأردفه رزء النصير محمد

---

(١) تقدم في « ص ٣٤١ سطر ١٢ » أنه انتحر .

جزعت لفقدان الأخلاء وانبرت شؤوني كرفض الجمان المبدد

وجاشت الي النفس حزناً ولوعة فقلت تعزي واصبري فكأن قد

وفيها ، انحدر علاء الدين صاحب الديوان الى واسط ، وقبض على فخر الدين مظفر بن الطراح وأصحابه ونوابه ، وأخذ منهم أموالاً كثيرة وعزله ورتب عوضه شمس الدين محمد بن البروجردي .

وفيها ، أحضر عماد الدين محمد بن حسن الأبهري المعروف بالزمهرير تقدم بعض الخواقين الى خواجه نصير الدين الطوسي بمشيخة رباط الخلاطية ، فرتبه عوضاً عن شمس الدين بن اليزدي وكان شيخاً لم يخالط الصوفية ولا عرف قواعدهم ولا تأدب بآدابهم وكان الناس يولعون به ، فقال له يوماً شمس الدين الكوفي الواعظ « أنا وأنت لا نرى في الجنة » فتأثر لذلك واغتاظ منه ، فقال له : ان الله تعالى يقول : لا ترون فيها شمساً ولا زمهريراً » ولم يزل شيخاً بالرباط الى سنة سبع وسبعين ، ثم سافر وأعيد ابن اليزدي الى الرباط .

وفيها ، ظهر جراد كثير أكل الغلات وسائر الزروع وخوص النخل وورق الأشجار في الحلة . والكوفة . وبغداد .

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها ، رتب الشيخ محي الدين محمد بن المحيا العباسي مدرساً بالمدرسة (١) المغيثية ، وعين القاضي نظام الدين محمد الهروي المعروف بشيخ الأسلام قاضياً بالجانب الغربي من بغداد فعين على الشيخ محي الدين المذكور نائباً عنه في القضاء .

وفيها ، توفي السيد النقيب جمال الدين محمد بن طاووس بالحلة ودفن عند جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — عليه السلام —

وتوفي نجم الدين منصور بن المؤذن ، كان يخدم في زمن الخليفة ناظر بالحجر البثر (؟) ورتب بعد واقعة بغداد في الديوان مشاركاً للنواب ، ولم يزل على ذلك الى الآن ، وكان حسن السيرة مشكور الطريقة ، قال ابن البديع « كان بينه وبين شيخنا ابن نجاد مودة فكان يكاتبه شيخنا بأشعار ومراسلات ، كتب اليه مرة وقد ابل ومرض :

صرف الله عنك نازلة الأهـ .. ـوال ياحامل الخطوب الثقال

---

(١) كذا في الأصل وقد تقدم في ص ٢٦٣ ذكر مدرسة اسمها التتشية » .

وفديناك بالنفوس التي ٠ ٠ ٠ . زت علينا فضلاً عن الأموال

ولعمري ان الذي انت شاك ٠ ٠ . يفدى من ٠ ٠ ٠ بالمال

. . . .

وفيها ، رتب فخر الدين مظفر بن الطراح صدر الحلة . والكوفة والسيب (٢) .

وفيها ، مات العلم الشرمساحي أخو سراج الدين المالكي وهو مدرس المالكية بالمستنصرية ، قال ابن البديع : وفيه يقول شيخنا :

علم الخنا لا الدين ، رأسك للنعل ... وليس لغير النعل رأسك بالأهل

فخرت بتدريس ولا فخر لامرىء ... بمنصبه ان كان خلوا من الفضل

وما منصب التدريس الا غضاضة ... اذا ما اجتنى فيه نظيرك في الجهل

يصيب ولا يدري ويخطي وما درى ... كما جاء في تفضيل زي المنطق الفضل

ولولا سراج الدين قلت مقالة ... يسيرها الركبان في الحزن والسهل

وكان أخوه سراج الدين صديقاً لشيخنا — رحمهما الله تعالى —

(٢) تقدم ذكره . وفي المراصد « السيب بالكسر ثم السكون : كورة من سواد الكوفة وهما سيبان أعلى وأسفل » .

سنة اربع وسبعين وستمائة

فيها، وقع ببغداد وفر كثير علا على الأرض مقدار شبر، وهبت ريح شديدة، وأظلم الجو، فخاف الناس وانزعجوا وعادوا بالتضرع الى الله تعالى والاستغفار حتى انكشفت، وتأخر وقوع الغيث في هذه السنة فخرج الناس الى ظاهر بغداد للاستسقاء مشاة يتقدمهم قاضي القضاة عز الدين أحمد بن الزنجاني، وخطب الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عكبر الواعظ، ثم خرجوا من الغد كذلك وخطب الشيخ عماد الدين ذو الفقار مدرس الشافعية بالمستنصرية ثم خرجوا في اليوم الثالث، وخطب الشيخ ظهير الدين محمد بن عبدالقادر، فلم يسقوا ماء الغيث انما زاد الفرات عقيب ذلك وسقى الزروع.

وفي آذار، جاء برد عظيم جمد الماء منه وأتلف الأشجار، ووقع في نيسان ببغداد برد كبار أهلك الزروع وقتل المواشي والغنم والطيور.

وفيها ، عين الشيخ محي الدين محمد بن الهيـا العباسي خطيباً بجامع المدينة المعروف بجامع السلطان ولصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية، وشرط الواقف : أن لا يخطب بها الا هاشمي عباسي ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمي سواه .

وفيها ، عزل أمين الدين مبارك الهندي الجوهري من نقابة مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - وعين في النقابة نجم الدين علي بن الموسوي ، ولما كان مبارك المذكور نقيباً قال فيه بعض الشعراء :

رأيت في النوم امام الهدى موسى حليف الهم والوجد

يقول ما تنكبني نكبة الا من الهند أو السند

تحكم السندي في مهجتي وحكم الهندي في ولدي

فلعنة الله على من به تحكم السندي والهندي

وفيها ، رتب الشيخ جمال الدين عبد الله (١) بن العاقولي مدرس مدرسة الأصحاب ، ورتب نجم الدين بن أبي العز البصري نائباً عن قاضي القضاة عز الدين بن الزنجاني في القضاء ببغداد .

---

(١) هو المدفون في الجامع الذي نسب اليه « جامع العاقولي الحالي » في العاقولية ببغداد .

وفيها، وجد رجل وامرأة في شهر رمضان في حمام على فاحشة فأمر علاء الدين صاحب الديوان بحصبهما فحصبا ظاهر سور بغداد ولم ير في تاريخ أنه حصب ببغداد أحد.

وفيها، توفي تاج الدين علي بن أنجب بن عبدالله بن عمار بن عبيدالله المعروف بابن الساعي المؤرخ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وكان أديباً فاضلاً، له مصنفات كثيرة آخرها «كتاب الزهاد» وجد عليه بخط الشيخ زكي الدين عبدالله بن حبيب الكاتب:

ما زال تاج الدين طول المدى   من عمره يعنق في السير
في طلب العلم وتدوينه   وفعله نفع بلا ضير
على علي بتصانيفه   وهذه خاتمة الخير

وفيها، سقط ركن الدين بن النقيب محيي الدين محمد بن حيدر نقيب الموصل بفرسه الى دجلة ببغداد، وكان مجتازاً على الجسر فأصعد الى مشهد علي - عليه السلام - فدفن هناك، وكان شاباً حسن الخلقة، عمره سبع عشرة سنة ورثاه شمس الدين محمد بن عبدالله الكوفي الواعظ بقصيدة طويلة أوردها في العزاء يقول فيها:

القاه في الماء الجواد كأنه — بدر هوى في جندل متهور

أمواج دجلة أغرقته اذ طغت — وكذا الطغاة على الأكارم تجتري

ولقد تكدر صفوها من بعده — ومتى صفت لهم ولم تتكدر

بالله هل أغرقته شغفاً به — يا ماء أو حسداً لماء الكوثر

هلا رحمت شبابه وتركته — من أجل ولهى فيه ذات تحير

او ما علمت بانه رحب الفنا — والصدر عذب اللفظ حلو المنظر

ياماء ما أنصفت آل محمد — وعلى كمال الدين كنت المجتري

في الطف لم تسمد أباه بقطرة — واليوم قد أغرقته في أبحر

غاصوا عليه وأخرجوه معظماً — ومكرماً وكذا نفيس الجوهر

والله ما نزعت ملابس جسمه — حتى تبختر في الحرير الأخضر

فالشرق يظمئني اليه وكلما — حاولت شرب الماء زاد تكدري

يا نفس ذوبي حسرة وكآبة — وتأسفي وتلهفي وتحسري

ماذا يكون أغير ما هو كائن — نزل القضاء صبرت أولم تصبر

وفيها ، توفي تاج الدين علي بن عبدوس ، كان من كبار المتصرفين ببغداد ، فرثاه شمس الدين محمد بن الكوفي الواعظ بقصيدة أوردها في العزاء ، يقول فيها :

أرى الدنيا تؤول الى نفاد ... ونحن لها بأنفسنا نفادي
ونعلم انها تفني وتفنى ... ونطلبها بجدٍ واجتهاد
ونصلحها وتفسدنا وندري ... بأن صلاحها عين الفساد
وقد أزف الرحيل ونحن يسير ... يسير الغافلون بغير زاد
هي الأم التى قتلت بنيها ... فحاذرها محاذرة الأعادي
وما فعلت بتاج الدين يكفي ... اذا فكرت فكرة انتقاد
لقد سلبته أحسن ماراَه ... يسر بحسنه أهل الوداد
أتاج الدين كنت أخي وركني ... فبعدك بالأخاء لمن انادي
أيا ابن أبي قطعت نياط قلبي ... بأحزانٍ وأسيافٍ حداد
أتاج الدين قد أفنيت صبري ... وكنت على الخطوب من الجلاد
أتاج الدين قد أوحشت عيني ... وان كنت انتقلت الى فؤادي
فلو كان التلاقي بعد شهرٍ ... لكنت أضج من طول البعاد
فكيف وليس في الدنيا تلاقٍ ... وميعاد التلاقي في المعاد
أردت بان أنال به سروري ... ففات وما بلغت به مرادي
رحلت وقد سلبت جميل صبري ... وسرت فسار من جفني رقادي
فحزنك كل يوم في انتقاص ... وحزني كل يومٍ في ازدياد

سروركَ عنـد مولانا علي وحزني عند موسى والجواد

وحزني قد يخففـه يقيني بأنك قد قدمت على جواد

سنة خمس وسبعين وستمائة

في هذه السنة ، سار الملك الظاهر البندقدار بعساكره الى بلاد الروم ، وكان غرضه قتل البروانة ، فلما عرف بمسيره تحصن ببعض القلاع التي على ساحل البحر ، وخرج المغول الى لقاء البندقدار وكانوا نحو ثلاثة آلاف فارس ، فالتقوا به في قيسارية (١) وقاتلوه فاستظهر عليهم وقتل اكثرهم وانهزم الباقون ، فأقام بظاهر قيسارية خمسة عشر يوماً ثم دخلها ، ولم يتأذ بجيشه أحد من الرعية ، وقال « اني لم اقصد هذه البلاد لخرابها بل لتخليصها من المغول » فلما عزم على العود نهب النصارى وأخذ اموالهم وسبي ذراريهم ولم يقتل منهم أحداً ، ثم رحل عائداً الى بلاده واستصحب أم البروانة وأولاده وحرمه ، فلما وصل الى مصر ظهر له الخيانة من جماعة من نوابه ، فأمر بهم فشهروا على جمال وطيف بهم في اكثر بلاده

(١) بالفتح ثم السكون : قال في المراصد « مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم وكانت كرسي ملك بني سلجوق » قلنا : ولا تزال من بلدان تركية الحاضرة .

اياماً حتى هلكوا .

وفيها ، تكرر وقوع النار في أسواق بغداد ومساكنها من منتصف المحرم الى آخر صفر ، فلم يخل الاقذار بوقوعها ليلاً ونهاراً ، واشتد خوف الناس لذلك وأمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل حياض في دروب بغداد وأن تملأ ماء ، ويستعد الناس في السطوح بالماء لاطفاء النار ، ولم يعلم سبب ذلك انما كان الانسان يرى النار في كنبثة (١) داره أو خصها ، وحكي أن بعض الفقراء كان نائماً على الجسر ، فاستيقظ والنار في خلقانه ، واشتغل الناس بحفظ مساكنهم ولم يبق لهم اهتمام بغير الرصد لما يقع من الحريق واطفائه ، وكانت هذه آية من الله عز وجل حتى كشفها بلطفه ورحمته .

وفيها ، توفي شمس الدين محمد بن عبيد الله الهاشمي الكوفي الواعظ ببغداد ، وكان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ، ولي التدريس بالمدرسة التتشية ، وخطب في جامع السلطان ، ووعظ في باب بدر ، وكان عمره نحو اثنتين وخمسين سنة ، وكان له شعر حسن فمنه . ما كتبه على يد معشوقه الى أحد الأعيان :

---

(١) قال بعض العلماء « كنبثة الدار : أعلى ما فيها المعقود على حجرة واسعة » .

اني جعلت رسولي من كلفت به   وقد كتبت بما ألقى من الوصب
فدع كتابي وسل عني لواحظه   «فالسيف اصدق انباء من الكتب»

وله: يذم حمام المستنصرية بانه بارد:

ولو أن ايوب في عصرنا   وقد مسه بالأذى البارد
لجاء الينا لحمامنا   شراب ومغتسل بارد

فناقضه كمال الدين الأبري فقال:

أرى ماء حمامكم كالحميم   نعاني منه عناء وبوسى
وعهدي بكم تسمطون الجدى   فما بالكم تسمطون الرؤوسا

وسبب التقصير. أن المستنصر غضب عند سماع الأولى فاعتذر اليه بالثانية.



سنة ست وسبعين وستمائة

فيها ، توفي السلطان ركن الدين بيبرس المعروف بالبندقدار صاحب مصر والشام بدمشق ، وكان حسن السيرة كثير الجهاد أديباً صالحاً لا يعرف ببلاده الخمر ولا يقدم أحد على استعماله قيل أنه سم في الماء الذي يستعمله في الطهور ، حكي أنه قال : رأيت النبي — صلى الله عليه وسلم — قبل وصولي الى السلطنة وقد قلدني سيفاً ، ثم رآه قبل وفاته ، فقال له : أعطني الوديعة فاعاد اليه السيف فأخذه — صلى الله عليه وسلم — ودفعه الى قلاوون ، وكان أحد الامراء ، فلما استيقظ أحضره واستحلفه أنه اذا صار الملك اليه يحسن الى اولاده ولا يسيء اليهم، وتوفي بعد ذلك بأيام . (١)

وقيل انه لما عاد من بلاد الروم نزل قريباً من حماه ، وعزم على قتل أمير من امرائه كان مقطع بعلبك ، فجلس معه يشرب القمز، فامر أن يوضع له في قدحه السم ، فلما شربه نهض البندقدار لحاجة ،

---

(١) في حاشية الأصل « قال البديع كان قبل أيامه يصل من القاهرة الى دمشق البريد في سبعة ايام فلما ملك ركب بنفسه بريداً فبلغها في ثلاثة ايام. فقال : من زاد عليها صلبته . فصارت اليه نوبتها » .

فلما عاد سقاه الساقي في ذلك القدح ، ولم يكن يعرف بالقضية
فلما شربه أحس بالشر ، فانكر ذلك على من عرف به كيف لم يكسر
القدح ، وأراد قتله ، ثم امسك عنه ، ونهض صاحب بعلبك نحو
منزله فهلك ، ومرض البندقدار فسار نحو دمشق واستحلف
الأمراء لولده وعهد اليه ولقبه الملك السعيد ، وعاش بعد ذلك شهراً
ومات وهو يستغيث من الحر واللهيب ، وكان عمره نحو ستين سنة
وملكه نحو ثماني عشرة سنة ، ودفن في تربة له بمدرسته التي انشأها
بدمشق للشافعية ، واجتمع الأمراء على طاعة ولده وانقادت الجيوش
له ، فاطرح أكابر الأمراء مثل قلاوون الألفي والبيسري وغيرهما
وقرب مماليك أبيه وأعطام الاقطاعات ، فشغب الجند عليه بوضع
الأمراء فهرب منهم ولحق بمصر ، وجمع نفراً من الجيش وعاد بهم
الى دمشق ، فلما دنا منها خرج الأمراء لقتاله ، وكاتبوا من معه
وأفسدوا نياتهم عليه ، فأحس بذلك ففارقهم ولحق بالكرك فتحصن
به وزهد في الملك ، وكان بالكرك زوجة أبيه وهي أم أخيه الأصغر
خضر ، ولما أقام بالكرك خرج بعض الأيام متصيداً فسقط من

فرسه فهلك ، وقيل : بل سمته أم أخيه طمعاً في الملك لابنها فاقبلت طائفة من الجيش وحصروا الكرك وطلبوا أن ينزل خضر اليهم ، فقالت امه « لا حاجة لنا في الملك ولا يحل لكم قتل هذا الطفل » فرحلوا عن الكرك ، ثم ان الامراء والجيوش اتفقوا وملكوا عليهم قلاوون المعروف بالألفي ولقب الملك المنصور وسبب تسميته الألفي : أن الملك الصالح اشتراه بالف دينار ، فلما قرر قواعد الشام استخلف عليه سنقر الأشقر وتوجه الى مصر وشرع في قتل كل من يخشاه من الأمراء الا البيسري فانه اعتقله اعتقالاً جميلاً .

وفيها ، زادت دجلة وغرق ببغداد عدة أماكن وانفتح في القورج فتحة عظيمة ، فخرج علاء الدين صاحب الديوان وكافة الولاة والأكابر والعوام ، وأخذ الصاحب باقة شوك وضعها على فرسه فلم يبق أحد الا وفعل مثله ، ونزل الصاحب وعمل بيده وتكاثر الناس وتساعدوا فاستدركوها وسدوها .

وفي آذار ، وقع برد كبار أتلف كثيراً من الزروع في الحلة ونهر الملك ونهر عيسى .

وفيها ، تحاكم نفران عند قاضٍ ببغداد في ثلاثة فلوس ، وقيل : ان في سنة اثنتين وخمسين وستمائة تحاكم رجلان عند قاضي تكريت في نصف درهم .

وفيها ، أمر السلطان أباقاخان بقتل معين الدين سليمان بن علي المعروف بالبروانة ملك الروم ، فقتل وقتل معه خلق كثير من اصحابه وأتباعه ، وكان كثير الصلات لأهل الدين والفقراء ، وسبب قتله أنه نقل عنه الميل الى سلطان مصر والشام .

وفيها ، توفي بهاء الدين أحمد بن عثمان البروجردي ببغداد ، ودفن في تربة عملها لنفسه في داره بدرب الفالوذج ؛ وكانت وفاته في صفر وتوفي اخوه شمس الدين محمد في جمادى الآخرة بالقرب من توريز ، كان قد توجه الى الأردو المعظم فحمل الى بغداد ، ودفن عند أخيه ، وكان قد ضمن الأعمال الواسطية وتفرد بها ، ولم يكن لصاحب الديوان معه حكم فيها ، ورتب بعده في الأعمال الواسطية الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي .

وفيها ، توفي العميد شمس الدين علي بن الاعوج ، كان حمالاً ثم صار بائعاً للغلة والتمور في الخانات وكان أمياً ، ثم تولى تمغات بغداد

فأثرت حاله واستعمل مع الناس والمتصرفين وأهل التناآت والمروءة وواصلهم وأحسن اليهم ، وتجمل تجملاً ظاهراً ، وصار له المماليك الترك والروم والخدم وغيرهم ، وبقي على ذلك مدة ، ثم رتب صدر الأعمال الحلية والفراتية فلما قدم ششي بخشي (؟) والأمر آه لتصفح حال العراق قال في علاء الدين صاحب الديوان أشياء ، فلما انتصر الصاحب وعاد الى منصبه عزله وأخذ امواله ، فرقت حاله وسافر توريز فمات بها .

وفيها ، توفي الشيخ مجد الدين عبد الصمد المقرئ امام مسجد قمرية ، وكان زاهداً ورعاً ، يقرئ الأيتام بمسجد قمرية ويصلي اماماً به من حيث فتح ، ثم نقل الى مشيخة رباط دار سوسبان ، وجعل ولده الاكبر أحمد نائباً عنه في مسجد قمرية ، وبعد واقعة بغداد رتب خازناً بالديوان ، ثم أعيد الى مسجد قمرية على قاعدته الأولى ، وأضيف اليه الخطابة بجامع الخليفة ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

وفيها ، توفي عز الدين عبد السلام بن الكبوش البصري الشاعر سكن في آخر وقته في المدرسة النظامية ، وصان نفسه عن مدح الناس واسترفادهم ، وكان مولعاً بصنعة الكيمياء فذهب بصره من

أبخرة ما كان يصعده من الأدوية ، كان بينه وبين تقي الدين بن المغربي الشاعر منافرة فقال فيه :

يا ابن الكبوش وأصل كافك ضمة … اذ فتحه في الجمع ليس بجائز
لله درك كيف أشبهت الجدي … والضأن ليس بمشبه للماعز

ومن شعره من قصيدة :

ودع عنك التعلل بالأماني … أخي ولا تبع نقداً بفقد
فمجلسنا كما تهواه زين … بمن تهواه في قرب وبعد
به المنثور منثوراً ولكن … حواشيه مقرنة بورد
وفي أوساطه كاسات خمر … كنار أضرمت في ماء خد
وساقينا رخيم الدل رخص … ظريف مازح هزلاً بجد
لنا من كفه سكر بخمر … ومن ترسانه (؟) سكر بشهد
وكنت عرفت وجدك بالبوادي … وما تخفيه من شوق ووجد
. . . . … . . . .

وفيها ، أنهى مسعود البرقوطي والي الموصل وأشموط الشحنة بها الى السلطان أباقاخان انهما ظلما في المحاسبة على ضمان الموصل فأمر بتحقيق ذلك فلما عملوا حسابهما أثبتوا ان الباباكان على

الباطل فيما اعتمده معهما فأمر بقتله فقتل ، وولاهما للوصل واربل فعادوا برأسه وطافوا به وعلق على باب الجسر .

سنة سبع وسبعين وستمائة

في هذه السنة ، ورد تقدم الى علاء الدين صاحب الديوان باستيفاء « خمسين الف دينار » من بغداد وأعمالها على وجه المساعدة فشرع في استيفاء ذلك من الناس بالعسف والقهر ، ثم أمر باثبات الدور ببغداد، فأثبتت جميعها ، وطالبوا أربابها بالأجرة عنها عن شهرين ، فبينما هو على ذلك وصل من طلبه الى الأردو المعظم المقابلة على ما نسب اليه من مكاتبة سلطان مصر والشام وقبض على شرف الدين علي بن أميران كاتب الانشاء ، وطوق وحمل صحبته ، وقبض على حمزة التكريتي التاجر ، ونهبت داره وطوق وحمل صحبته أيضاً ، وانفرد مجد الدين بن الأثير باستيفاء ما قرر على الناس فغلقت الأسواق ، واختفى اكثر العالم ، فطولب النساء بما قرر على رجالهن ، ولم يخلص من هذا أحد حتى ان

العلويين والقضاة والعدول استوفي منهم بالقهر والمضايقة العنيفة وكذلك جرى في أعمال بغداد جميعها ، واما الصاحب علاء الدين فانه حيث قوبل على ما نسب اليه ظهر كذب القـائل عنه ، فأمر بقتله ، وحملت أطرافه الى البلاد ، وكتب الصاحب الى بغداد مع الواصلين برأس المذكور كتابا قرئ ببغداد في الجامع بعد صلاة الجمعة مضمونه :

رب أوزعني ان اشكر نعمتـك التي انعمت بها علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه ، ان لله تعالى ألطافا خفيـة ترى في أول الأمر خشنة جفية ويحسب الجاهل انهـا نقمة فاذا انتهت عرف كل أحد انها نعمة ، ومعنى هذا الكلام لا يخفى على الخاص والعام وذلك فضل الله في ايراد كل أمر واضداده ، وقد اردنا أن نوضح من أول الامر الى آخره كيفية الحال جليا ونتلوا عليكم آيات رحمته التي انزلها علينا بفضله بكرة وعشيا ، فألهمنـا الله العظيم قوله الكريـم « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله . والله ذو فضل عظيم »

فهذه الآية قضية أمورنا التي جرت وعنه الحال أسفرت ، فكأنما أنزلت في هذا الشان فما احتجنا معها الى زيادة تفصيل وبرهان وفي الساعة التي قدم الكذاب المزور بين يدي الامراء ظهر من فلتات لسانه أنه كذب وافترى فما احتجنا في تكذيبه الى شاهد «يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون»:

وهبني قلت هذا الصبح ليلاً ايعمى العالمون عن الضياء

فلما عرضوا كلامه على الآراء الشريفة برز التقدم المطاع — لا زال نافذاً — بعرضه على السيف في ملأ من الناس وانفذوا يديه الى بغداد والى الروم الرأس ، ونادوا في الاسواق «هذا جزاء من يقدم على عبيدنا المخلصين بالزور والالتباس فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » ، وحيث نعرف التفات قلوب أهل بغداد حفظهم الله من كل سوء وفساد انفذنا الامير محمداً يبشر بطيبة نفوسنا ، ليعلموا خلو بالنا من كل ما يكدر بواطنهم ويشوش خواطرهم ويعلم ان كل ما يصل من خير وفضل هو بصالح دعاء أهل بغداد وحسن نياتهم وصفاء قلوبهم فليقابلوا هذه المراحم باعلان الدعوات الصالحات لهذه الدولة القاهرة التي ما اندحض فيها

حق ولا غاب فيها باطل ، ونحن واصلون عقيب هذا ان شاء الله»

ووصل بعد ذلك شرف الدين بن اميران والصاحب علاء الدين بعده .

وفيها ، التجأ الى تتارقيا شحنة بغداد رجل يعرف بالنجم بن حسين ويلقب بالكيباية ، كان من دلالي العقار يتمسخر ويخلق (؟) بنفسه ويضحك عليه من يعاشره ، وكان سبب قربه من الشحنة التزامه بأحمد الشربدار ، وهذا أحمد من اهل واسط يعرف بابن بقا أسر في الواقعة ، ثم خلص وخدم ببغداد في اصطبل البام ثم صار يتولى عصر الشراب في شرابخانة الديوان ، فصار له قرب بالشحنة والتزام تام ، فأثرت حاله واشتهر اسمه فشرع في البحث عن احوال صاحب الديوان وتعريف الشحنة بذلك ، فظهرت منه أمور اتصلت بالصاحب وعرف باطن حاله وما يعتمده ، ثم انه اتفق هو والكيباية على أن نسبا أكابر اهل بغداد الى مكاتبة سلاطين الشام باتفاق صاحب الديوان فتحدث الكيبايه بذلك عند الأمراء والحكام فأحضروا صاحب الديوان وجماعة من الاكابر الذين نسبهم الى المكاتبة واستعادوا كلامه ، فقال اشياء كثيرة ، فطولب بالبرهان

على صحتها فلم يقدر على ذلك فلما شدد عليه وضويق قال : « اني كاذب في كل ما قلته والذي بعثني على الكلام نصرة الدين بن ارغش وأخوه وولده » فأحضروا وسئلوا عن ذلك فاعترفوا به وقالوا ان تتارقيا الشحنة وضع القائل على ماقاله فأمروا بحبس الجميع وأحضر ابن بقا الشربدار وسئل عن الحال فاعترف بها ، فسلم الى صاحب الديوان فأمر بحبسه فحبس أياما ، ثم عمل له حجلة وسمر عليها وجعل على رأسه مسخرة ، كان ببغداد يعرف بالموصلي يصفعه بنعل ويروحه به ، ثم يبول عليه ، والناس يعدون الحجلة بالحبال في الأسواق والدروب في جانبي بغداد ، فأخذ في سب الصاحب وبسط لسانه فيه فنفذ اليه من قال له « ان الصاحب قد عفا عنك وأمر بتخليصك من الحديد على ان يقطع لسانك فان آثرت ذلك فأخرج لسانك لقطعه » فاخرجه فوضعوا فيه مسلة فامتنع من الكلام وما زالوا يعذبونه بعد الحجلة واضطرابها الى آخر النهار ثم قطع رأسه ووضع مكانه رأس معز بلحيته، وطيف به وأحرق العوام جثته ، ورفع رأسه على خشبة وطيف به ، ثم ان ابن ارغش أحضر رجلاً من العرب وأعطاه كتباً ملصقة وأشار اليه أن يقول « هذه

سلمها الى صاحب الديوان » فلما قال ذلك أخذ وحبس . أما الكيباية فانه قال « ان فخر الدين بندي بن قشتمر كان أيضاً من جملة الجماعة الذين اتفقوا على المكاتبة مع ابن ارغش » فأحضر وسئل عن ذلك فانكر فوكل به فقال الكيباية « ان العدل جمال الدين أحمد بن عصية هو كان من بندي » فأحضر وسئل فانكر فوكل به ، ثم ان الصاحب عرف صدق العدل وبراءة ساحته فأفرج عنه وخلع عليه وتقدم له بمال ولم يزل الكيباية والبدوي في السجن الى أن توجه الصاحب الى الاردو المعظم وأخذهما صحبته وقتلا هناك .

وفيها ، ظهر ببغداد صبيان من الشطار يعرف أحدهما بابن الحماس والآخر بالتاج الكفني ، وانضم اليهم جماعة من الجهال ، وقويت شوكتهم وانتشر ذكرهم ، فأعمل صاحب الديوان الحيلة حتى أحضر ابن الحماس اليه ، وعين عليه واليا في الشرطة ، فبقي على ذلك اياماً واستعفى فأعفاه وجعله ملازماً باب داره ، ثم أشار اليه باحضار التاج الكفني فأحضره وطيب قلبه وجعله رفيقاً له ، فكبس جماعة من أهل الحلة باب الصاحب في بعض الليالي عليهما ، فلم يظفروا بهما ولا يمكن الصاحب من تحصيلهم ، (١) ثم ان قتادة

(١) أراد أن علاء الدين الوالي لا يدع الشرطة تمسكهم لأنهم كبسوا عليها بأمره .

نائب الشرطة حكى لصاحب الديوان عن ابن الحماس والكيفني أشياء من الفساد والتجرؤ على الناس وتكليفهم سراً وتخوفهم ان امتنعوا عن مساعدتهم ، فجمع بينهم وسئل قتادة عما قاله عنهما فقال اشياء أثبتها عليهما ، وأمر بقتلهما وطيف برأسهما ، فكبس على قتادة بعض رفقتهما يوماً وهو جالس على شاطئ دجلة في الرقة وقتله وقتل بعض أصحابه ، فأمر صاحب الديوان بنبش جثتي ابن الحماس والكيفني وحرقهما .

وفيها ، أحضر بعض اهل السواد كارةً من الدخن يبيعها بدرهم فطولب بالمؤنة عنها درهمين فانهزم وتركها .

وفيها ، عزل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي من الأعمال الواسطية ، ورتب بها فخر الدين مظفر بن الطراح .

وفيها ، رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نوراً متصلاً بالسماء ، في صبحتها ، قال بعضهم : انه رأى قبراً فيه أحد اولاد الحسن « بمحلة الهروية » ، فانهال الناس لزيارته ، ثم شرعوا في عمارته ، وتواتر بعد ذلك أخبار العوام برؤية المنامات وكثرة الظواهر ، وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح أعين الأضراء

ونقل قوم عن قوم أشياء لا أصل لها غير أهوية العوام ، وبطل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك ، فتقدم صاحب الديوان بنقل كل من يوجد له قبر الى مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — ففعلوا ذلك وسكن العوام ، ثم حضر بعض من يدعي أنه علوي وزعم أنه رأى في منامه ما يدل على ظهور قبر بعض أولاد الائمة — عليهم السلام — « بتل الزبيبية » ، فهرع العالم اليه ، فلما كشفوا التراب عنه وجدوا صبياً مقتولاً وعليه قميص وفي جيبه كعاب كان يلعب بها ، فعرفه بعض الناس وقال « هذا ولدي واني فقدته منذ ايام » وذكر فيه علامات ، فلما لمح بان صدقه ، ووجدوا عند رأسه صخرة عليها مكتوب : هذا قبر عمر بن عبدالله ، فلما أخبر صاحب الديوان بذلك عزم على قتل العلوي الذي أخبر به ، فسأله أكابر الناس الصفح عنه ، فأجابهم الى ذلك وافتضح المشار اليه بين العالم وعرفوا قلة دينه وفساد عقله — نعوذ بالله من النفس الأمارة بالسوء — .

وفيها ، أعيد صدر الدين محمد بن شيخ الاسلام الهروي (١) الى

(١) تقدم في حوادث سنة ٦٧٢ أنه نظام الدين محمد الهروي المعروف بشيخ الاسلام .

القضاء بالجانب الغربي من بغداد وتدريس المدرسة البشيرية . فبقي على ذلك مدة شهرين ، وأصبح ميتاً فقال اكثر الناس : ان ابنه خنقه ، وكان قد ولي القضاء قبله والتدريس بالبشيرية ابن يونس الموصلي ، وتوفي بعد ذلك بشهور قليلة ، فقال زين الدين بن الدهان :

اظن قاضي القضاة أيده الا ـه الى كردكوه ينتسب

اذكل قاض يقضي الى الجانب الغر بي يقضي وماله سبب

يا صاحب الملك يا عطا ملك يامن به المكرمات تكتسب

ول الأعادي الاثام بالجانب الغر بي فصل القضا وقد نكبوا

وفيها ، توفي بهاء الدين حسن بن محاسن التاجر العصري ودفن في تربة أعدها لنفسه على شاطئ دجلة تجاه داره ببغداد ، وعمل مجاورها داراً للقرآن المجيد ، ووقف عليها عدة أماكن ، وكان كثير الاحسان والصدقة كريماً جواداً .

وتوفي أيضاً عبدالغني ابن الدرنوس ، ودفن في داره ، وكان في مبدأ امره يعمل في الكلاة مع أرباب تنانير الآجر ، وهو الذي ينقل اللبن الى التنور ثم يحطه بعد طبخه ، ثم ولع بالطيور الحمام فكتب في جملة البراجين بدار الخليفة ثم ترقت حاله الى ان صار

مقرباً عند الخليفة يراسل به الوزير ويشاوره في الأمور ويعمل برأيه (١) ولقب نجم الدين ، ورتب بعد واقعة بغداد خازناً بالديوان ثم نقل خازناً الى الكارخانة، فبقي على ذلك الى ان مات .

سنة ثمان وسبعين وستمائة

في هذه السنة ، فسد الهواء في اكثر بلاد العجم والموصل. وبغداد والحلة . والكوفة . وواسط . والبصرة . وجميع نواحي العراق ، فأصاب الناس السعال وكثر ذلك فيهم حتى صار الطباخون في الأسواق يعملون المزاوير حسب (٢) وغلا الماش والعدس والحمص والسلق ودام ذلك شهوراً .

وفيها ، نسب جماعة من أهل بغداد الى ضرب الدراهم الزيوف فأخذ بعضهم وضرب فأقر على جماعة: منهم نجم الدين (٣) حيدر بن

(١) قال جمال الدين الدستجرداني الآتي ذكره في المستعصم بالله « ان تطلعه لمثل ذلك الأحمق على اعراض الناس واموالهم وادخاله في المملكة حتى كاد ان يولي الوزراء ويعزلهم ، قبيح من المستعصم ودليل على جهله ... »

(٢) قال بهاء الدين الاربلي « وسألت السيد صفي الدين محمد بن محمد بن بشر العلوي الموسوي ونجم الدين حيدر بن الايسر - رح - وكانا من اماثل الناس وسراتهم وذوي الهيئات منهم ... » « كشف الغمة ص ٣٣٢ » .

الايسر ، وكان من أعيان المتصرفين ، وأمر صاحب الديوان بقطع أيدي جماعة: منهم بن الأخضر ، كان ينقش السكة ، وقرر على ابن الايسر مالاً فأداه.

وانقطعت الغيوث في هذه السنة ، وغلت الأسعار وتعذرت الأقوات ، ومات أكثر المواشي.

وفيها ، تمت عمارة منارة (٢) جامع الخليفة وكانت قد سقطت في شهر رمضان سنة سبعين ، وتمت عمارة مسجد الشيخ معروف الكرخي — قدس الله روحه — بالجانب الغربي من بغداد على شاطئ دجلة ، أمر بعمارته شمس الدين محمد بن الجويني صاحب ديوان الممالك ، وكان قد خرب لما غرقت بغداد سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وفيها ، وجد في قبة المؤذن بالمدرسة النظامية رجل قد صلب نفسه.

وفيها ، ابتاع قاضي القضاة عز الدين أحمد بن الزنجاني جارية من رجل يعرف بالشهاب يوسف الطفونجي فخضر بعد مدة ،

(٢) هي منارة سوق الغزل الحالية ذات البناء العجيب والهندسة المدهشة والزيارة الفائقة ، اعظم المنارات في نوعها واعلاها ببغداد ، فتجديدها بعد انقراض العباسيين بـ « ٢٢ » سنة

والتمس استعادتها منه ، فلم يقض الشرع المطهر بذلك ، فمات أسفا عليها بعد أيام وخلف ولدا وأخا يتعلقان ببعض الأمراء ، فمضيا اليه وذكر الولد له ان قاضي القضاة غصب أباه جارية ، فنفذ معهما من يستوضح الحال ، فاستدعي القاضي الى الديوان وسئل عن ذلك ، فأسفرت الحال على ان أدى ألفي دينار ، وكتب له ابرآء من جميع الدعاوى ، وكان قد نسب اليه أنه قتله بالسم .

وفيها ، توفي لمجد الدين محمد بن الأثير ولد من غير مرض لأن أباه رفسه لانقطاعه عن المؤدب ، وقيل : بل انف من ذلك لكونه كان بمحضر من الأعيان فأكل شيئا من الأفيون فمات ، وكان ذكيا حفظ القرآن ومقدمة في النحو والحماسة ، وكتب خطا حسنا ، فرثاه تقي الدين بن المغربي بقصيدة يقول فيها :

ما ينفع العلم يحويه ويجمعه من ليس يدري متى تحويه أكفان
قد كان يكفيه أدنى ما تعلمه ان الزيادة فوق القدر نقصان
من زار قبرك فلينشده شعرك ان هزته مثلي اشواق واحزان
حتام أنت على المشتاق غضبان وفي الفؤاد صبابات واشجان

يا أحسن الناس مالي عنك مصطبر ولا لقلبي وان عذبت سلوان

وفيها ، توفيت شمس الضحى الشاهلني بنت عبدالخالق بن ملكشاه بن أيوب ، زوجة علاء الدين عطا ٠ ملك بن الجويني صاحب الديوان ، ودفنت في التربة التي انشأتها بجوار مدرستها المعروفة بالعصمتية ظاهر بغداد عند مشهد عبيدالله ، وكانت كثيرة الصدقات والأحسان والمبرات ، كانت تحب أهل بغداد وترى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم ، كانت أولاً لأبي العباس أحمد بن الخليفة المستعصم بالله ، وهي والدة ابنته رابعة التي تزوجها خواجه شرف الدين هرون بن الصاحب شمس الدين محمد بن الجويني .

وفيها ، توفي بهاء الدين محمد بن الصاحب شمس الدين المذكور وكان ملكاً باصفهان ، ظالماً سيئ السيرة متفنناً في الظلم ، جدد القتل بالقنارة التي كان وضعها البساسيري في أيامه ، وقد نسيت لطول العهد بها .

وفيها ، خالف سنقر على « الألفي » وكان لما ملك الألفي قبض على الأمراء ، وقتل اكثرهم واستخلفه على الشام ، وسار الى مصر فاستفتى الفقهاء فيما اعتمده الألفي من قتل الامراء ، فافتوا بوجوب

قتاله ، فاستعد لذلك وتلقب بالملك الكامل شمس الدين ، وخطب لنفسه وأحسن السيرة واستمال قلوب العوام فأحبوه ، وكان منه ما نذكره .

وفيها ، توفي كمال الدين علي بن الصلايا العلوي ، كان قد ولي نهر الملك ، فالتقاه جماعة من المغول يوماً ومعه نفر قليل من أصحابه فقتلوهم وكتفوه وألقوه في دجلة ، فسار نحو فرسخ ، فوجده بعض صيادي السمك فاخرجه وبه رمق ، وكان الزمان شتاء ، فدثروه وحملوه الى المدأن فعاش بعد ذلك عدة سنين وظهر عليه دمل فكان سبب وفاته .

وحج في هذه السنة جماعة من العراق وعادوا سالمين .



سنة تسع وسبعين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية أن سنقر الأشقر استعد لحرب الملك المنصور الألفي ، فلما بلغه ذلك جهز اليه ستة آلاف فارس مقدمهم أيبك الحلبي ، فلما قرب من دمشق خرج سنقر الأشقر لقتاله في اثني عشر ألفاً ، فالتقوا واقتتلوا ساعةً ، فانهزم أصحاب الأشقر ومضى الأشقر في خواصه الى عيسى بن مهنا بنواحي الرحبة ، فأقام هناك ، وراسل السلطان أباقاخان فى انفاذ جيش ليملك بهم الشام ومصر ، فجهز اليه خمسين ألف فارس جعل عليهم أخاه منكوتمر فدخل بهم الشام ، وأما الأشقر فانه لما بلغه مسير منكوتمر اليه ندم على ما فرط منه وأخذ عياله وأصحابه ولحق بقلعة صهيون وتحصن بها ، وكان ما نذكره سنة ثمانين .

وفيها ، اتصل مجد الملك اليزدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القزويني ببغداد بعد فتحها ، بعبودية السلطان أباقاخان ، وتحدث في الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين ، فرتبه مشرفاً في جميع الممالك

فعين بها نوابا ، وكانت علامته مشرف الممالك ، وكان ما نذكره .

وفيها ، أمر علاء الدين صاحب الديوان بعمل جسر وحمله الى تستر مكملاً بسلاسله وآلاته فنصب تحت البند عند دروازة دزبول .

وفيها ، صلبت امرأة نفسها في دارها بمحلة الجعفرية (١) ببغداد وكان سبب ذلك ان زوجها قبل عنه : انه وجد مالاً في داره فطالبه الديوان بمالا تمتد يده اليه فخافت ان تؤخذ وتعاقب وتفتضح فقتلت نفسها .

وفيها ، غرقت ببغداد امرأة نسب اليها قتل زوجها ، وكان محبا لها محسنا اليها وقد أوصى اليها في ماله وأولاده ، فأحضرت من قتله ، فلما قررت اعترفت بذلك ، فأخذ القاتل وسمر .

وغرقت جارية نسب اليها قتل زوجها .

ووجد العدل ابن مزروع النيلي الدباس مقتولاً في بيته ، ففحص النائب عن حاله فاذا مملوكه قد استعان بصديق له واجتمعا على قتله ، فسمر المملوك وصلب رفيقه ، ثم حط المملوك بعد ثلاثة ايام وعولج في المارستان فسلم .

(١) تقدم ذكرها ، وفي المراصد « الجعفرية منسوبة : محلة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد » .

وفيها، غلت الأسعار ببغداد واشتد الغلاء وانسلخ العام على ذلك.

وفيها ، دخل تاج الدين عمر الهمذاني كاتب السكارخانة الى علاء الدين صاحب الديوان وبين يديه مسخرة اسمه علي فادعى على المذكور بمال ، فانكر ذلك ، فقال للصاحب « لي عليه بينة ولي فيه علامة وقد كنت طالبته من قبل فجحد فلكمته وكسرت بعض أسنانه فتقدم اليه ان يريني فمه » فلما فتح فاه لطمه المسخرة بدقيق كان في يده فطار في خياشيمه فاختنق في الحال.



سنة ثمانين وستمائة

في هذه السنة ، قدم السلطان أباقاخان الى بغداد ، وكان قد ارسل أخاه منكوتمر وعدة من الجند في آخر السنة الماضية الى الشام حيث كاتبه سنقر الأشقر يسأله انفاذ جيش ليأخذ به الشام ومصر على ما ذكرناه ، فنزل منكوتمر على الرحبة وحصرها مدة اربعين يوماً ، ولم يحضر سنقر الأشقر اليه ، وتحصن بقلعة صهيون ، فلما رأى ذلك بالغ في القتل والنهب والخراب ، ثم سار يريد دمشق فخرج الألفي منها في جيوشه ، ونزل اليه سنقر الأشقر من القلعة وسار معه فالتقوا بالقرب من حمص ، واقتتلوا فانهزمت المغول وقتل منهم خلق كثير ، وعادوا الى بغداد ، ثم انحدروا الى السيب واطراف بلاد واسط فنهبوا من الأعراب المفسدين خلقاً كثيراً ، وعادوا الى بغداد ومعهم الأسرى والاموال ، ونزل في هذه السنة خلق كثير في الدور ببغداد وأخرجوا اهلها منها .

وقبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه

واتباعه ، وسلم الى الصاحب مجدالملك ، فاستوفى منه أموالاً كثيرة وبيع من املاكه واسبابه جملة طائلة ، ودوشخ والقي تحت دار (١) المسناة التي بأعلى بغداد على شاطئ دجلة ، مكتوفاً عليه قميص واحد ، وكان البرد شديداً جداً ، وضرب خواصه وخدمه وأتباعه واستوفيت الأموال منهم ، وكان قد انضم الى مجد الملك في الرفع على الصاحب علاء الدين رجلان نصرانيان أحدهما من بيت الجمل بغدادي اسمه عبد يشوع . والآخر من ماردين اسمه يعقوب ، وقالا فيه قولاً كثيراً ، وكشفا من امواله واموره أشياء .

وأما السلطان فانه توجه الى بلاد الجبل ، فلما وصل همذان مرض فعهد بالملك الى ابنه ارغون ، وكان بخراسان ، واشتد مرضه ، فتوفي في ذي الحجة ، فسارت الايلچية الى ابنه تخبره بذلك ، ثم سارت الايلچية الي أخيه منكوتمر بالخبر ، فصادفوا ايلچية من أصحابه تخبر السلطان أباقا بوفاته ، وهذا من غريب الاتفاق .

وكان عمر السلطان أباقا نحو خمسين سنة ، وملكه ثماني عشرة سنة ، وكان عادلاً حسن السيرة محباً لعمارة البلاد ، لا يرى سفك

(١) أي قصر القلعة الحالي الذي بناه الناصر لدين الله العباسي . وبعض الناس يسميه « الدار المعزية » خطأ فانها كانت فوق قبر الامام أبي حنيفة - رض -

الدماء، عفيفاً عن اموال رعيته، فلما توفي اجتمع الأمراء والصاحب شمس الدين بن الجويني على رفع أرغون عن التخت وتسليمه الى أحمد وهو تكدار بن السلطان هولاكوخان، ثم أطلقوا الصاحب علاء الدين من الاعتقال، واعتقلوا مجد الملك، وأرسلوا الى بغداد ايلچية للقبض على الامير علي جاليان وصفي الدولة بن الجمل كاتب السلة وغيرهما، ثم ساروا الى الطاق ليجلسوا السلطان أحمد على التخت، وكان ما نذكره سنة احدى وثمانين.

وفيها، سير الملك المنصور الألفي صاحب مصر والشام، بعد عود منكوتمر والمغول من قتاله، سبعة آلاف فارس مع بعض امرائه الى قلعة المرقب ليحصروها، فلما بلغهم ذلك خرج منهم جمع كثير وكمنوا في واد قريب من القلعة، فلما وصل العسكر ونزلوا وأحاطوا بالقلعة وهم آمنون خرج الكمين عليهم، فقتلوا اكثرهم، وانهزم الباقون وعادوا الى الألفي وهو سائر الى مصر فعظم عليه ذلك ودبر في المسير اليهم.

وفيها، عمر ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي رباطاً للفقراء في مشهد

سلمان الفارسي – رضي الله عنه – وأسكن فيه جماعة ، وأوقف عليه قرايا بواسط وعدة مواضع ببغداد .

وفيها توفي مجدالدين صالح بن الهذيل بواسط ، وكان عمره نيفاً وستين سنة وكان جواداً كريماً ، ذا معرفة وكفاية ومروءة ، من اكابر المتصرفين بواسط وغيرها ، خدم بها نائباً في ديوانها في زمن الخليفة ، ورتب بعد واقعة بغداد صدراً في نهر الملك ونهر عيسى ثم نقل الى صدرية واسط ولقب بالملك ، ثم اخذ ودوشخ وطولب بأموال واسط واستوفي منه جملة كبيرة وبيعت املاكه وأسبابه، ثم رتب بعد ذلك حاكماً في اربل ، ثم عزل ورتب صدراً في طريق خراسان ، ثم أخذ وخزم أنفه وطيف به ببغداد ، ثم رتب بعد ذلك ناظراً بقوسان ، ثم عزل فرتبه شمس الدين محمد بن البروجردي نائباً عنه في ديوان واسط ، وفوض اليه تدبير الأعمال ، فبقي على ذلك الى ان توفي شمس الدين المذكور وأعيد فخرالدين بن الطراح الى صدرية الأعمال الواسطية ، فرتبه علاء الدين صاحب الديوان مشرفاً عليه فبقي الى ان توفي – رحمه الله –

سنة احدى وثمانين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية مسير الأمراء وشمس الدين محمد بن
الجويني صاحب ديوان الممالك الى الطاق ليجلسوا السلطان أحمد على
التخت ، فوصلوا اليه وأجلسوه على تخت الملك في سادس عشر
المحرم ، فلما استقر في الحكم أمر بتفريق الأموال المدخرة في
في الخزائن على أهل بيته وعلى الأمراء ، وأعاد الصاحبين شمس
الدين وعلاء الدين الى منصبهما ، وسلم مجد الملك الى الصاحب علاء
الدين ، فقتله قتلة شنيعة ، تولى ذلك شرف الدين هرون بن أخيه
وحملت أطرافه الى البلاد وسلخ رأسه وحمل الى بغداد ، وشوى
الخربندية لحمه وأكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه ، ثم
توجه علاء الدين نحو العراق فلما وصل الى أشنى بلغه ان أرغون
سار من خراسان لما بلغه وفاة أبيه السلطان أباقاخان يريد العراق
فأقام في اشنى وأنفذ الكرزدهي والجلال بخشي ونجم الدين الأصغر
ومجد الدين بن الأثير وجماعة من اصحابه ، ومعهم رأس مجد الملك

وكتب معهم مكتوبا صورته :

« من صاحب الديوان أضعف عباد الله — تعالى — أما بعد حمداً لله منقذ العباد من الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ، السلام عليكم يا أهل بغداد أهل الوفاء والوداد أردنا ان نعرفكم حيث نعرف منكم صدق المحبة وحسن الصفاء والاعتقاد ، ونطلعكم على ما يرد من جانبنا من بلوغ المرام والمراد ، ما أسفر الحال عن جلية الأمور فيدخل بها بعد الترح على القلوب والصدور ايراد الفرج والسرور ، فالهمنا الهام الصدق والصواب ، ما قاله أصدق القائلين في محكم الكتاب « يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين » فاغنانا عن الجمل والتفصيل ، وكفانا تعب الاطناب والتطويل ، وستسمعون من الميت والراس مالاريب فيه ولا التباس وتبيان ذلك مما عرضنا بذكره من حال المسكين المنبوز بمجد الملك الذي أورده سوء نيته وفساد سريرته مورد الهلاك ، فرحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره ، ووفقنا لله — تعالى — للقيام بشكر آلائه الصمدانية الأحدية ، ودعاء الدولة القاهرة الايلخانية

الاحمدية التي نشرت ألوية الشريعة المحمدية وبسطت يد العدل في الارضين وكفت عن البلاد والعباد أكف أمثاله من الظالمين وحمداً لله رب العالمين ، وقد نفذ ملك الأمراء والنواب جلال الدين والصدر فخر الدين الكرزدهي والنوكرية ليشاهدوا كم شاهدوا من نعم الله — تعالى — التي تدور علينا من قديم كثرة وسهاوالانعام الصادر عن الحضرة الشريفة الايلخانية التي طلعت من أفق الميامن شموسها — أعز الله سلطانها وأعلى في الخافقين شانها — » وكان وصولهم بغداد في رجب ، وقرئ هذا الخط في جامع الخليفة ، قرأه جلال الدين بن عكبر الواعظ ، وطيف برأس مجد الملك في بغداد وشوارعها ، ثم دخلوا دار مجد الملك ونهبوا ما كان بها ، وقبضوا على صفي الدولة بن الجمل كاتب السلة وأصحابه ونهبوا داره ، وطلبوا الأمير على جليبان فلم يوجد ، وكان قد اتصل به الخبر فانهزم ، وكان قد وصل مع الجماعة فخر الدين عبد العزيز بن النيار وفي حلقه طوق من حديد فوكلوا به في داره ، وكان معهم أيضاً صبي منقل بعتلة من اهل اربل ، كان يخدم دلالاً في العقار يعرف بعلوش ، كان قد أدخل نفسه في الشنقصة وآذى الناس ، وعبد يشوع ويعقوب

النصرانيان اللذان تقدم ذكرهما ، كانا قد خدما مع مجد الملك وتجردا للقول في صاحب الديوان ، وا كثرا من ذلك فطيف بهم في بغداد عراة والعوام يصفعونهم ويضربونهم بالآجر ثم قتلوا بقية اليوم وجر العوام جثثهم وأحرقوهم بباب قلاية النصارى ، ثم وصل الأمير منصور بن الصاحب علاء الدين وأخوه ظفر الدين ونجم الدين الأصغر ومعهم رأس النجم الدلال المعروف بالكيباية، وقد سبق ذكر ما وقع منه من القول في الصاحب ، ففرح اهل بغداد بوصولهم ، وعلق رأس الكيباية بباب النوبي ، وكان قتله في اربل حكي عنه . أنه لما قدم ليقتل قال «لي عند خالي ابن الرخشي خمسمائة دينار » فاحضر المذكور وسئل عن ذلك ، فأنكر فصدق، وعرف كذب الكيباية عليه كما كذب على غيره من قبل ، ثم ان الأمير منصوراً أخرج فخر الدين بن النيار من السجن ليلاً وقتله في « اليوقلية (؟) » ظاهر بغداد، فأصبح الناس ووجدوه مقتولاً ، وكان شاباً مليح الصورة اتصل بمجد الملك وخدمه ، وقال في صاحب الديوان اشياء كثيرة ، وكان قبل ذلك قد أخذه الصاحب وضربه ضرباً عظيماً، وسبب ذلك ما بلغه عنه من الزيادة في الكلام والغيبة

له وأنه كان في جماعة منهم رجل من أهل الحلة يعرف بابن الدربي وجرى بينهم حديث نجم الدين بن الدرنوس وحكمه في زمن الخليفة وأن نجم الدين الأصفر قد استولى في هذه الدولة كما استولى هو ، فأنشد ابن الدربي أبياتاً لنفسه وهي :

نجمان كل منهما في بلدة ... لا ناصح فيها ولا مأمون

وكلاهما سامر العراق فذاك قد ... كان الخراب به وذا سيكون

ان كان تأثير الكواكب هكذا ... هذا جنون والجنون فنون

فأمر الصاحب بتحصيل الجماعة فاختفوا اياماً ، وأمسك الصاحب عنهم ، واستمر حكم نواب الصاحب علاء الدين في بغداد شهوراً من السنة ، ثم اختلت الأحوال واضطربت الأمور ، وتوفي نجم الدين الأصفر نائبه ببغداد في شعبان ، وتوفي بعده الصاحب في أران في ذي الحجة ، وحمل الى تبريز فدفن بها ، وكان مولده في عاشر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ولي العراق احدى وعشرين سنة وشهوراً ، وكان عادلاً حسن السيرة ، أديباً فاضلاً جمع تاريخاً المغول سماه « جهان كشاي » (١) وله رسائل جيدة

(١) كتبه بالفارسية ، ذكره في الفخري ص ٣٨ وكشف الظنون .

وأشعار حسنة .

واما السلطان أرغون فانه لما بلغه وفاة أبيه السلطان أباقاخان أقبل من خراسان ، فاتصل به جلوس السلطان أحمد على التخت فتمم المسير اليه ، وحضر عنده ، ثم رحل وتوجه الى بغداد فدخلها في شعبان والأمير علي جليبان بين يديه ، واستنقذ صفي الدولة بن الجمل كاتب السلة من أصحاب علاء الدين صاحب الديوان وخلصهما مما كانا فيه من الصداع ، ثم أمر بعمل حساب العراق ، فعمل وتخاف على الضمناء شيء كثير فطولبوا به وضويقوا عليه ، وألزم أهل بغداد بالمساعدة وأحضر قاضي القضاة عز الدين بن الزنجاني وقرر عليه وعلى المعدول عشرة آلاف دينار ، واستوفي ذلك بالعسف وكان كل من اختفى من الناس نهبت داره وبيع ما فيها ، وألزم نواب الأعمال الحلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك ، ثم طولب أهل بغداد بأجرة املاكهم عن ثلاثة شهور ، فاستوفي من اكثرهم ، ثم تقدم باعفاء الناس كافة ، ثم عاد الى خراسان في الربيع .

ثم ان السلطان أحمد أرسل القاضي قطب الدين الشيرازي الى الملك المنصور الألفي برسالة خلاصتها « ان الله — تعالى — حبانا

بالايلخانية وأمرنا بالعدل وحقن الدماء. فان اردت الموادعة فنحن نكف عسكرنا عن قصد بلادك ونفسح للتجار في السفر كيف شاؤوا آمنين فان فعلت ذلك وإلا فبين للقتال موضعاً ، واعلم ان الله يطالبك بما يسفك بيننا من الدماء » (١) فسار قطب الدين ، فلما وصل البيرة سير الى مصر ولم يدخل الشام ، وأدخل الى الألفي ليلاً ، فوقف بين يديه وأدى الرسالة ، فقال الترجمان له « نحن نجيب الى ذلك » وأمر في الحال بانشاء الكتب الى سائر البلاد ليتمكن التجار من السفر ، ثم اذن لقطب الدين في العود وأمر له بمال واعيد الى البيرة .

وفيها ، توجه من بغداد جماعة كثيرة الى مكة – شرفها الله تعالى – فوصلوا الى الناشبية فلم يمكنوا من المسير وحبسوا أياماً وأخذوا منهم عن كل حمل اثني عشر ديناراً بالضرب والقهر فعادوا .

وفيها ، سقط بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية من غرفة الى

(١) وردت هذه الرسالة مفصلة في مختصر الدول « ص ٥٠٦ - ٥١٠ » والجزء الثامن من صبح الاعشى للقلقشندي .

صحن المدرسة فمات في يومه .

وفيها ، فقد الشيخ الظهير أحمد ابن عبدالقادر الجيلي الحنبلي من مدرسة جده ، ولم يعلم حقيقة حاله واتهم به أولاد « كديدا » فوجد في سنة « ست وثمانين » في بئر داره التي في مدرسة جده ، وعرف بخاتم كان في يده ، حكى بعض أصحابه : أنه رآه في المنام بعد فقده بثلاثة أيام ، فسأله عن حاله فقال له « يضرب المثل بمن يده تحت الرحا فكيف بمن قد حصل كله تحت الرحا » .

وفيها ، — أعني سنة احدى وثمانين — توفي جمال .. . النحوي وكان قد رتب مدرساً للنحو بالمستنصرية ... الشيخ سماد؟ وكان سراباز (؟) فاضلاً ... الرواية ، ينقل كثيراً من النحو غير ... في ما ينقله تصرف وله تصانيف .

وفيها ، توفي الشيخ جلال الدين عبدالجبار بن عكبر الواعظ مدرس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية ، ودفن في المسجد المجاور لداره ، وكان عالماً فاضلاً ورعاً زاهداً ، جلس للوعظ بباب بدر في زمن الخليفة ، وبقي على ذلك الى واقعة بغداد ، ثم جلس في جامع الخليفة ، واستمر الى أن مات ، وكان له قبول عند العالم .

ثم توفي الشيخ الصالح الفقير أسد الدين محمد بن برس شيخ رباط القصر ، حج مراراً ، وكان منقطعاً يعبد الله — تعالى — قيل انه ولد هو والشيـخ جلال الدين بن عكبر في يوم واحد وماتا في يوم واحد .

وفيها ، توفي الأصيل محمد الدزفولي الشافعي ، كان رجلاً صالحاً يتصدر في المجالس ويأخذ على كل من يقول شيئاً ويعارضه ويلقي الأكابر والعلماء بالكلام الخشن ولا يخجل من ذلك ، وكان لهم فيه اعتقاد ويواصلونه دائماً ، حج عن الخليفة المستنصر بالله في سبيل أم المستعصم ، وسكن الرباط المستجد في زمن الخليفة ، وابتلي في آخر عمره بالقمل فكانت ثيابه مملوءة منـه ، قال « رأيت الخليفة المستعصم بالله في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : الحمد لله الذي من اعتذر اليه قبله » .



سنة اثنتين وثمانين وستمائة

في رجب ، وصل شرف الدين هرون بن الصاحب شمس الدين محمد الجويني صاحب ديوان الممالك ، الى بغداد وقد فوض اليه تدبيرها وجعل صاحب ديوانها على قاعدة عمه علاء الدين ، فاستبشر الناس بقدومه وحضر الشعراء بين يديه وأنشدوه المديح فمما قاله جمال الدين ياقوت المستعصمي الكاتب :

الحمد لله الذي قد مضى الترح — وقد أتانا السرور والفرح
وجاء صرف الزمان معتذراً — فكل ذنب جناه مطرح
لا تعتبوا الدهر بعدها فبنو الد — هر وأحداثه قد اصطلحوا
لئن عراهم من صرفه محن — لقد تلتها الهبات والمنح
وقد أتاهم بكل ما طلبوا — منهم ووافاهم بما اقترحوا
فهمهم بعد ضعف همته — يبدو عليه النشاط والمرح
ان الذين اصطلحوا لدولتكم — نيران بغي زنادها قدحوا
دارت رحاكم على رؤوسهم — فطحنوا حسنةً بما نطحوا

وكل حزب يسر حزبكم بر ... بح في سعيه الذي ربحوا

ان ينج من بطشكم بجثته ... جان فلم ينج قلبه الفرح

او يتخلف من العدى شبح ... فسوف ينزاح ذلك الشبح

يا شرف الدين والذي شرفت ... بمدحه المادحون والمدح

ما غلق الله من عطا ملك ... بابا لملك عليك ينفتح

آنست بغداد بعد وحشتها ... فصدرها باللقاء منشرح

قد حليت بعد طول عطلتها ... وزينتها القباب والملح

فدم لأهل العراق ملتجأ ... تأسو بجدوى يديك ما جرحوا

وابق مدى الدهر ما بدا قمر ... وما دنا بالاياب منتزح

وعين شمس الدين زرديان نائبا عنه ، وخلع على القاضي بدر الدين علي بن محمد بن ملاق الرقي ، وفوض اليه أمر القضاء بالجانب الغربي اضافة الى ما كان يتولاه من الحسبة بجانبي بغداد ، والتدريس بمدرسة سعادة ، وعين الشيخ نصير الدين عبدالله بن عمر الفاروثي مدرس الشافعية بالمدرسة المستنصرية ، وسلك طريقة عمه في تدبير العراق .

ووصل بعده نظام الدين عبدالله ابن قاضي البندنيجين ، وقد

رتب كاتب السلة بالديوان ، وأحضر مجدالدين محمد بن الأثير وطالبه بما وصل اليه من أموال الديوان ، ودوشخ ووكل به اياماً كثيرة واستوفي منه مقدار خمسين ألف دينار ، ثم وصل في المحرم سنة ثلاث وثمانين من طلبه الى الاردو المعظم ، وأعيد عليه كل ما أخذ منه ، ثم ندب الى النيابة عن خواجه شرف الدين هرون فأجاب الى ذلك ، وعاد الى الحكم في الديوان على ماكان عليه فبقي على ذلك مدة شهرين ، ثم أخذوطوق بالحديد وضويق وطواب بمال كثير واستوفي منه مبلغ مائة الف دينار ، وحمل الى الأردو المعظم .

وفيها ، ألزم التجار ببغداد بالقرض والمساعدة ، وضويقوا على ذلك ، والزم الناس بأجرة مساكنهم عن ثلاثة شهور ، وطواب أرباب الأموال بأقامة عسكر ، وقرر عليهم على قدر أحوالهم واستوفي ذلك بالقهر والقسر .

وفيها ، أبطلت الفلوس النحاس ، وضرب عوضاً عنها فلوس فضة ، وجعلت كل اثني عشر فلساً بدرهم ، وسميت « دنا كش » ثم أبطلت في سنة ثلاث وثمانين ، وأعيدت الفلوس المس وتعامل

الناس بها كل ثلاثين فلساً بدرهم .

وفيها ، أرسل السلطان أحمد الشيخ عبدالرحمن الى الشام لتقرير ما كان التمسه من الملك المنصور قلاوون لما أرسل اليه قطب الدين الشيرازي في السنة الماضية ، فلما وصل الى دمشق حبس بها ، وكان آخر العهد به ، ونودي في الشام : أن لا يذكره أحد ، وهذا الشيخ عبدالرحمن كان أبوه مملوكاً رومياً للخليفة المستعصم بالله ، فلما نشأ عبدالرحمن جعل من جملة فراشي السدة ، وأسر في واقعة بغداد وقد ظفر باشياء نفيسة من الجواهر وغيرها ، فجعل من جملة فراشي الأردو ، فأظهر الزهد والناموس ، حتى صار يعرف بالشيخ فدفن ما كان معه في قلعة « تلا » ، ثم تنقلت به الأحوال حتى صار الى الموصل واتصل بعزالدين أيبك دز دار العمادية ، وكان مولعاً بصناعة الكيمياء مهوساً بها فخرق عبدالرحمن عليه بشيء من ذلك ، فحظي عنده وقربه ، ثم سار عزالدين الى السلطان أباقاخان وعبدالرحمن صحبته ، فقال للسلطان « اني رأيت في المنام أن في موضع من قلعة « تلا » دفناً فيه جواهر ومال كثير » فسيره الى هناك ومعه جماعة فجعل يمسح الأرض ويتردد من موضع الى آخر

ثم قال : احفروا ههنا ، فحفروا فظهر ذلك المال ، فمادوا به الى السلطان ، فلما رأى السلطان صدقه قربه وحسن ظنه فيه ، فجعل يخرق عليه بشيء من أحوال الجن وما أشبه ذلك من أمور الشعبذة حتى انه عمل خاتمين على صورة واحدة ، أعطى منهما خاتماً للسلطان وجعل الآخر عنده ، ثم قال له بعد أيام كثيرة وهو جالس على بحيرة بسيا كوه لا قرار لها : « ان القيت هذا الخاتم في هذه البحيرة فاني استخرجه منها » فالقاه فيها فحضر من الغد ، وقد صنع سمكة مجوفة وثقلها بالملح وجعل الخاتم في فمها والقاها في البحيرة ، من غير أن يشعر به أحد ، ثم جلس يقرأ ويوهم ، فلما ذاب الملح طافت السمكة والخاتم في فمها ، والسلطان يشاهدها فأخذه عبد الرحمن ثم جعل فيها رصاصة بخفة والقاها فغاصت ، فعجب السلطان بذلك وزاد اعتقاده فيه ، ثم اتصل بالسلطان أحمد وحسن له الاسلام فاسلم وتسمى بأحمد ؛ ووعده بانتقال الملك اليه ، فلما ملك خدمه الأمراء والوزراء ، وعظمت منزلته عندهم ، فلما ارسل الآن الى سلطان الشام عرف حاله فأمر بحبسه من غير ان يجتمع به :

وإذا استوت للنمل اجنحة ... حتى تطير فقد دنى عطبه

وفيها ، أعيد تتارقيا الى شحنكية بغداد ، وعزل سعد الدولة بن صفي الدولة عن نظر وقف البارستان العضدي ، وسلم الى العميد زين الدين ضامن تمغات بغداد ، فقام فيه أحسن قيام وأجرى أموره على أحسن القواعد .

وفيها ، توفي عماد الدين زكريا بن محمود القزويني قاضي واسط بها وحمل الى بغداد ، ودفن في الشونيزي ، وكان عالماً فاضلاً ، صنف كتاباً سماه عجائب (١) المخلوقات ، وكان يكتب خطاً جيداً ، تولى القضاء بالحلة في سنة خمسين ، ثم نقل الى القضاء بواسط سنة اثنتين وخمسين ، وأضيف اليه التدريس بمدرسة الشرابي ، فلم يزل على ذلك الى ان مات ، وكان حسن السيرة عفيفاً .

وفيها ، توفي الحكيم أبو منصور بن الصباغ الطبيب ، وعمره زيادة عن مائة سنة ، وكان ملازم الكتابة والنسخ ، يكتب خطاً حسناً ، ولم يتغير عليه شيء من أعضائه الى ان مات ، وكان طبيباً حاذقاً عالماً .

---

(١) وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد ، جرى فيه على تقسيم الاخير الى أقاليم وكلاهما مطبوع في ديار الافرنج .

وفيها ، توفي الشيخ أحمد بن الأش شيخ رباط جبير ورباط الشيخ علي بن ادريس بيعقوبا ، ودفن تحت أقدام الشيخ علي بن ادريس وأوصي بعده في مشيخة الرباطين الى الشيخ عفيف الدين عبدالرحمن بن النجح الباجسري ، وكان زاهداً ورعاً ، له كرامات مشهورة .

وفيها ، نقل مجدالدين علي بن جعفر من التدريس بالمدرسة النظامية الى المدرسة البشيرية ، ورتب في المدرسة النظامية نور الدين أبو التيان الحلبي .



سنة ثلاث وثمانين وستمائة

في هذه السنة، قبض أرغون على وجيه الدين زنكي بن عز الدين طاهر والي خراسان، واستصفى امواله، ثم أخذ من أعيان اهل خراسان اموالاً كثيرة، فلما بلغ ذلك السلطان أحمد جهز اليه جماعة مع «علي ناق» فالتقوا بظاهر قزوين، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى بين الفريقين، وحجز الليل بينهما، فانهزم علي ناق وأصحابه وعاد أرغون الى خراسان، فلما وصل علي ناق الى السلطان أحمد عظم ذلك عليه وسار بعساكره الى خراسان، فمال اكثر من كان مع أرغون اليه، والتحقوا به، فعند ذلك راسله السلطان أحمد يدعوه الى طاعته، وترددت الرسل بينهما، فجمع أرغون أهله وخواصه وسار الى قلعة «كلات» وهو جبل فسيح قريب من طوس ليس له طريق الا من جهة واحدة ولا سور عليه فسار في أثره الأمير بوقا وأحاط به، فاستسلم حينئذ ونزل، فحمله بوقا الي السلطان أحمد فسلمه الى علي ناق، فجعل معه جماعة يحفظونه

وقتل أصحابه وكل من كان معه من الأمراء ، ثم رحل السلطان يريد أذربيجان ، وتخلف بعده الأمير بوقا وعلي ناق أياماً فخلا الأمير بوقا بجماعة من الأمراء وأجمعوا رأيهم على تسليم الملك الى أرغون ، فلما اتفقوا على ذلك مضى بوقا الى أرغون ليلاً ، وركب معه جماعة من الأمراء، وقبضوا على أصحاب علي ناق ، واستخلصوا أرغون منهم ، وعرفوه ما اتفقوا عليه ، فركب أرغون في جماعة من العسكر وقصد علي ناق ، وكبس عليه وقتله وقتل جماعة من أصحابه ، فاضطربت العساكر ، فلما أسفر الصبح صعد الأمير بوقا تلاً ، وأمر فنودي في الجيوش : هذا أرغون هو السلطان ، وعلي ناق فقد قتل وهذا رأسه ، فلما رأوا الرأس سكنوا ، ثم أجلسوا أرغون على التخت وأرسلوا من يقبض السلطان أحمد ، فلما بلغه ذلك ، ركب يريد أن يقصد بركه خان ، فلم يتمكن من ذلك وعاجلوه وأحاطوا به وقبضوا عليه ، وأرسلوا الى السلطان أرغون يعرفونه ذلك ، فأمر بتسليمه الى أولاد « قنقورتاي » فسلم اليهم فقصفوا ظهره فمات ، ثم ان السلطان أرغون اختص الأمير بوقا وسماه « جنكستان » ومعناه أمير الأمراء وجعل اليه تدبير ممالكه

وولى أخاه أروق العراق وديار بكر، فعين على « بدر الدين خاص »
حاجب صاحب ديوان بغداد ، ورتب سعد الدين مظفر بن المستوفي
القزويني مشرفا عليه ، فسار اليها ومعه الأمير « تمسكاي » شحنة
ومجد الدين بن الأثير مشاركاً في الحكم ، فأرسلوا بعض مماليك
مجد الدين بن الأثير وجماعة من المغول الى بغداد ، فوصلوها في عاشر
جمادى الأولى ، وأخبروا الأمير تتارقيا بصورة الحال ، وقبضوا
على خواجه هرون صاحب الديوان وشمس الدين زرديان نائبه
وعز الدين جلال المشارك في كتابة السلة ونظام الدين عبد الله ابن
قاضي البندنيجين وطلبوا مجد الدين اسماعيل بن الياس نائب خواجه
هرون في خاصته فلم يجدوه فأخذوا هؤلاء ووكلوا بهم ودوشخوا
وطوق خواجه هرون وحملوا جميعهم الى العصمتية المجاورة لمشهد
عبيد الله وحبسوا هناك ، ثم أخرج نظام الدين بن قاضي البندنيجين
من الغد في دوشاخة وقد سود وجهه واركب على بهيم وشهر في
بغداد ، والعوام يطرقون بين يديه استهزاءاً به ، ثم أعيد الى موضعه
وقبض على شرف الدين محمد بن بصلا وكيل الديوان ودوشخ ايضاً
وضرب وطولب بمال كثير ، وكان زوج أخت النظام المذكور

وكل ما كان يفعله النظام من الحيف والظلم كان باشارته لأنه كان داهية خبيثاً ذا شر غير محمود السيرة في تصرفاته ، ووصل تقدم من مجدالدين بن الاثير الى مهذب الدولة نصر بن المشميري اليهودي بأن ينوب عنه في الديوان ، فصار هو المشار اليه وتولي الأمور ، فقال يوماً للأمير تتارقيا وقد أحضر النظام وابن بصلا بين يديه « هذا ابن بصلا مع النظام مثل الوزغة مع الأفعي » قال له : ما معنى هذا ؟ قال « أن الوزغة تسقي الأفعي السم طول الليل فاذا كان النهار القت الأفعى ذلك السم على الناس » فضحك تتارقيا وأمر بضربهما فضربا ضرباً كثيراً فأدى الف دينار في عدة دفعات وعزل من الوكالة ورتب عوضه نجم الدين حيدر بن الأيسر ، وأما النظام فانه أدي مالاً كثيراً وعوقب معاقبة عظيمة وقصفت رقبته بدوشاخة فمات ، وأما خواجه هرون فانه لم يزل موكلاً به الى ان وصل الأمير أروق الى العراق فحمل اليه وهو بطريق خراسان والطوق في حلقه فأمر بازالته وسلم اليه ما أخذ منه من الدواب وغيرها وعاد الى داره على اختياره ، وظهر اصحابه الذين اختفوا ومجد الدين اسمعيل بن الياس وكيله ، واما شمس الدين صاحب ديوان

الممالك فانه لما بلغه جلوس السلطان أرغون على التخت فارق السلطان أحمد ولحق باتابك يوسف شاه بلرستان واستقر عنده ، ثم عرف انه لا ينجيه ذلك ولا يعصمه فحضر بين يديه وتنصل مما فرط منه واعتذر بما امكنه وضمن القيام بأمر الدولة وعمارة الممالك ، فهم باستبقائه ورق له ، فأشير عليه بقتله ، فأمر بتسليمه الى من يحفظه واستيفاء الأموال منه ، فضرب وعوقب ، فقال « ضرب مثلي غير لائق ومهما طلب مني من الأموال قمت به » فعرضوا ذلك على السلطان ، فأمر بالتخفيف عنه ، فأخذ في جمع الأموال والقرض من التجار وغيرهم ، فأشار اعداؤه بقتله علماً بما في تأخر ذلك من الضرر ، فأمر بقتله ، فلما احضر ليقتل سأل المهلة ساعة يوصي بها فأمهل ، فكتب بخطه وصية بالفارسية قال في آخرها « فأن وجد الناظر فيها خللاً فلا غرو فاني سطرتها وانا عريان والسيف مشهور » فلما فرغ من ذلك قتل ، وحملت جثته الى تبريز ودفن الى جانب أخيه علاء الدين ، وجعل السلطان أرغون ابنه « غازان » في خراسان وولاه ذلك الثغر .

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهر في سواد الحلة رجل

يعرف بأبي صالح أدعى انه نائب صاحب الزمان ، وقد أرسل اليه: أن يعلم الناس انه قد قرب ظهوره، واستغوى الجهال بذلك وانضم اليه خلق كثير من الناس ، فقصد بلاد واسط ونزل في موضع يسمى « بلد الدجلة » من معاملاتها ، وأخذ من اموال الناس شيئاً كثيراً ، وسار الى قرية قريبة من واسط تعرف بالأرحاء وراسل صدر واسط فخر الدين بن الطراح بان يخرج اليه ، فقال لرسوله « قل له : يرحل عن موضعه ويحفظ نفسه ومتى تأخر أنفذت العسكر لقتاله » فرحل وقصد الحلة ، فأرسل الى صدرها « ابن محاسن » يستدعيه اليه ، فأخرج ولده في جماعة من العسكر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل ابن محاسن وجماعة من اصحابه وانهزم الباقون، فكاتب والده الحكام ببغداد يعرفهم ذلك، فركب شحنة العراق وسار اليه ، وأما ابو صالح فانه قصد قبة الشيخ ابن البقلي بناحية النجمية من قوسان فقتل كل من بها من الفقراء والصالحين ونهب أموال اهل الناحية ، فوصل شحنة العراق بعساكره اليه وأحاط به وبأصحابه ووضع السيف فيهم فلم ينج منهم الا نفر يسير ، وحمل راس ابي صالح واصحابه الى بغداد وعلق بها

وكفى الله شره ، ولما رحل ابو صالح من واسط ظهر في قرية من قراها تعرف بقرية الشيخ ، رجل اسمه « شامي » ادعى ما ادعاه ابو صالح وامر الناس بالمعروف ونهاهم عن المنكر فمال الناس اليه وتاب خلق كثير على يده واعترف قوم بالقتل وغيره وسألوا ان يقتص منهم ، واعترف آخرون أنهم ... مال فلان وفلان يوم كذا فكثر جمعه ، فأرسل فخر الدين بن الطراح صدر واسط اليه ينهاه عن فعله ويتهدده بالقتل ، فلما اتصل به ما جرى لأبي صالح هرب والتجأ الى العرب وتفرق جمعه .

وفيها ، اشتهر ببغداد أن عز الدولة بن كمونة اليهودي صنف كتاباً سماه « الأبحاث عن الملل الثلاث » تعرض فيه بذكر النبوات وقال ما نعوذ بالله من ذكره ، فثار العوام وهاجوا واجتمعوا لكبس داره وقتله ، فركب الأمير تمسكاي شحنة العراق ومجد الدين بن الاثير وجماعة الحكام الى المدرسة المستنصرية واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين لتحقيق هذه ، وطلبوا ابن كمونة فاختفى واتفق ذلك اليوم يوم جمعة فركب قاضي القضاة للصلاة

فمنعه العوام فعاد الى المستنصرية ، فخرج ابن الاثير ليسكن العوام فأسمعوه قبيح الكلام ونسبوه الى التعصب لابن كرونة والذب عنه ، فأمر الشحنة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد الى ظاهر السور لاحراق ابن كرونة ، فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر ، واما ابن كرونة فانه وضع في صندوق مجلد وحمل الى الحلة وكان ولده كاتباً بها فأقام أياماً وتوفي هناك .

وفيها ، زادت دجلة زيادة عظيمة وغرقت في الجانب الغربي من بغداد عدة نواح ووصل الى قباب دير الثعالب والجنيبة ومعروف وتهدمت حيطان البساتين ودار الرقيق (١) وهلكت الأشجار وظهر بعد ذلك جراد دباب أتلف اشياء كثيرة من الزروع والغلات والكرم وغير ذلك .

وفيها ، اجتمع الفقهاء بالمستنصرية على جمال الدين الدستجردي صدر الوقوف ونالوا منه واسمعوه قبيح الكلام ، (٢) فخماء منهم

(١) في المراصد « دار الرقيق : محلة ببغداد متصلة بالحريم الطاهري من الجانب الغربي قلت : وهي الآن شارع المحلة وبها السوق » انتهى : والظاهر أنها الاراضي التي فيها اليوم حوض ماء الجانب الغربي ببغداد فوق المنطقة .

(٢) لأنهم كانوا قد قيل لهم « من يرض بالخبز وحده والا فما عندنا غيره » راجع فوات الوفيات « ٢ : ٥٤ » .

الشيخ ظهير الدين البخاري المدرس وخلصه من ايديهم ، فاتصل ذلك بالحكام فعزلوه ، ورتبوا رضي الدين بن سعيد فلم ينهض بأمور الوقف وصحت (؟) الحال بين يديه، فأعيد جمال الدين الدستجردي ووصل بعد ذلك فخر الدين أحمد بن خواجه نصير الدين الطوسي وقد أعيد أمر الوقوف بالممالك جميعها اليه ، وحذفت الحصة الديوانية في الوقوف ووفرت على اربابها ، فعين علي مجد الدين اسمعيل بن الياس صدراً بالوقوف عوضاً عن جمال الدين الدستجردي ، فعين علي عز الدين محمد بن شمام نائباً عنه فيها .

وفيها ، تلد قاضي القضاة عز الدين بن الزنجاني ، جمال الدين عبدالله بن العاقولي القضاء نيابة عنه ، وجعله مقدماً على كل النواب منفرداً بالشباك واضاف اليه الحسبة عوضاً عن القاضي بدر الدين الرقي وأقر بدر الدين على القضاء بالجانب الغربي .

وفيها ، توفي شهاب الدين علي بن عبدالله وكيل الديوان ، وكان سبب موته أنه أحيل عليه بعض المغول فاختفى منه ليحصل له ما أحيل به ، فكبس داره ، فارتقى الى سطحها فسقط من الكنبثة فمات وعمره ، اربع وسبعون سنة ، وكان من أكابر المتصرفين ، خدم

في عدة خدمات في زمن الخلفاء ، وما زال محترماً مقدماً ذا رأي سديد وتدبير جيد .

وفيها ، رتب نور الدين أحمد بن الصياد التاجر ، صدر الأعمال الواسطية عوضاً عن فخر الدين مظفر بن الطراح ، فأنفذ خادماً اسمه اقبال اينوب عنه ، فأصعد فخر الدين الى بغداد ، وتحدث في ضمان أعمال واسط فعقد ضمانها عليه ، فانحدر اليها ، وكانت مدة ولاية ابن الصياد شهراً واحداً .

وفيها ، توفي الشيخ ركن الدين عبد الله بن حبيب الكاتب كتب على طريقة ابن البواب ، وكان عالماً فاضلاً ، رتب شيخ الصوفية برباط الأصحاب سنة سبع وخمسين وأضيف اليه مشيخة رباط مجد الدين بن الأثير سنة اثنتين وسبعين ، وكان عمره ستاً وسبعين سنة .

وتوفي نور الدين علي بن تغلب الساعاتي ، كان يتولى تدبير الساعات التي تجاه المستنصرية ، كان مولده سنة احدى وستمائة .

وفي رابع رمضان توفي مجد الدين حسين بن الدوامي وكان مولده في شعبان سنة عشرين وستمائة ، وهو من البيت الاثيل المشهور ، خدم والده

وجده الخلفاء وكانوا مقربين عندهم ، وكان تاج الدين والده حاجب الباب يحضر دائماً عند الخليفة في الخلوات ، ولما ملك السلطان هولاكو خان بغداد حضر عنده وأمره أن يتولى تدبير الأعمال الفراتية فلم تطل أيامه ، وتوفي قبل عود السلطان الى بلاد الجبل فأمر ان يكون مجد الدين يتولاه ، فبقي على ذلك مدة ونقل الى اشراف الحلة وغير ذلك من الخدم الجليلة ، وكان أديباً فاضلاً عفيفاً يقول شعراً جيداً .

وفيها توفي مجد الدين عبد الله بن بلدحي الموصلي مدرس مشهد أبي حنيفة ، وعمره ثلاث وثمانون سنة ودفن بالمشهد المذكور ، وكان فاضلاً مبرعاً في العلوم الدينية .

وفيها ، توفي شمس الدين الصباغ الطبيب المشهور ، وعمره مئة وست سنين ، وكان مبرعاً في علم الطب .



سنة اربع وثمانين وستمائة

في المحرم ، وصل الأمير تاج الدين علي جليبان الى بغداد، وقد عين مشرفاً بالعراق عوضاً عن سعد الدين مظفر بن المستوفي القزويني وعين المذكور كاتب سلة بغداد ، وأبطلت الدراهم وتعطلت أمور العالم لذلك وبطلت معايشهم ، وضرب دراهم غيرها وقرر سعرها ثمانية مثاقيل بدينار ، واختلفت قيمة الدراهم الأولى فكان منها عشرة مثاقيل بدينار ومنها اثنا عشر مثقالاً بدينار ، فذهب من الناس شيء كثير ، ثم ضرب في بقية السنة دراهم مثل الدراهم الأبغانية وتقدم ان يتعامل الناس بها عدداً كما تعاملوا بالأبغانية ثم غلت الأسعار ، فبلغ الكر من الحنطة مائة وثمانين ديناراً وكر الشعير مائة دينار ، وبيع الخبز ثلاثة أرطال بدرهم ، ووصل من الموصل دقيق وخبز مرقق بيع في الحجر ، خبز ولا جاب الى بغداد الا بعد الواقعة ، (١) فان اهل الحلة أمنهم السلطان على نفوسهم

(١) كذا وردت وسياقها يقتضي « وما جاب خبز الى بغداد الا بعد الواقعة » أي واقعة هولاكو خان بها .

وامو الهم كما ذكرناه ، فكانوا يحملون الغلة والخبز والتمر والسمك وغير ذلك ، وباع القوم الضعفاء اولادهم ، والقت امرأة نفسها الى دجلة ، قيل انها كانت على الجسر تطلب فلم يعطها أحد شيئاً فآثرت اتلاف نفسها ، وأكل الناس ورق الجزر والسلجم والبصل ونبات الأرض كعروق القصب والبردي والحلفاء وغيرها ، وانقضت السنة والناس على ذلك ، ولقوا شدة عظيمة من الغلاء وكسر الدوام.

وفيها ، أغارت طائفة من عسكر الشام على ديار بكر والموصل واربل وقتلوا ونهبوا وسبوا وأخذوا أموال التجار من قيسارية الموصل ، وقتلوا كثيراً من النصارى في اربل ، ونهبت الاكراد بلد البوازيج وباصفرا وقتلوا جماعة من النصارى ونهبوا الأموال وهرب شحنة البوازيج منهم وقصد بغداد .

وفيها، توفي موفق الدين أبو الفتح بن أبي فراس المدايني أخو قاضي القضاة ، وكان رجلاً صالحاً، خطب بجامع الخليفة الى أن أضر فاستناب ولده مكانه.

وتوفي تقي الدين علي بن عبد العزيز المغربي الأصل البغدادي المنشئ ، كان شاباً اديباً فاضلاً شاعراً وله ديوان مشهور .

وتوفي نجم الدين محمد بن هلال المنجم ، وكان حاذقاً في علم النجوم

فقيها شافيا .

وفيها ، أعيد تدريس البشيرية الى جمال الدين عبد الله بن العاقولي وعزل عنها صدر الدين محمد بن شيخ الاسلام ورتب مدرسا بمدرسة الأصحاب.

سنة خمس وثمانين وستمائة

في المحرم ، فوض الأمير أروق أمر العراق الى عزيز الدين الاربلي ومجد الدين اسمعيل بن الياس ، وخلع عليهما ، وعزل مجد الدين بن الاثير والأمير تاج الدين علي جليبان المشرف وسعد الدين القزويني الكاتب ، وسلموا الى عز الدين ومجد الدين وأمرا بمحاسبتهم ومطالبتهم بما تمدوه من المال ، فطولبوا وضويقوا ثم حملوا الى الأردو المعظم فأمر بقتلهم ، فقتلوا وحملت جثة ابن الأثير الى بغداد ، ودفن في تربة له في مدرسته ، وحملت جثة الأمير علي جليبان الى بغداد أيضا ، ودفن في تربة له مجاورة داره ، وجثة سعد الدين حملت الى بلده ، ووصل الملك ناصر الدين قتلغ شاه مملوك الصاحب علاء الدين بعد ذلك وقد رتب مشرفا بالعراق

وعزل فخر الدين مظفر بن الطراح عن الأعمال الواسطية، ورتب بها نور الدين بن الصياد، ثم رتب فخر الدين صدر الأعمال الحلية .

وكانت الأسعار في هذه السنة على ما كانت عليه في السنة الخالية والضعفاء في ويل عظيم من تعذر القوت ، وكثرت الأمراض ببغداد والموت ، ولطف الله بخلقه فتراخت الأسعار في جمادى الاولى ورخصت الاشياء في آخر السنة ، وزاد الفرات زيادة عظيمة غرقت أعمال الكوفة والحلة ونهر الملك ونهر عيسى والأنبار وهيت ، وذهب من اموال التناة شيءٌ كثير .

وفيها ، أستناب قاضي القضاة عز الدين بن الزنجاني في القضاء ببلاد الحلة العدل الفقيه تاج الدين محمد بن محفوظ بن وشاح الحلي ورتب نجم الدين محمد بن أبي العز البصري الشافعي مدرسا بالمستنصرية .

وتوفيت رابعة ابنة أبي العباس أحمد بن الخليفة المستعصم بالله زوجة خواجه هرون بن الصاحب شمس الدين محمد بن الجويني ببغداد ودفنت في تربة والدتها التي بمشهد عبيد الله .

وورد الخبر بعد ذلك أن السلطان أمر بقتل خواجه هرون في حدود الروم ، قيل كان قتله بعد وفاتها بسبعة ايام .

وتوفي نجم الدين حيدر بن الأيسر ، وكان من أكابر المتصرفين ببغداد ، خدم في آخر وقته وكيل الديوان ببغداد ، وكان حسن السيرة مشكوراً في تصرفاته ، بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة .

سنة ست وثمانين وستمائة

ذكرنا في السنة الماضية : أن الأمير أروق قتل جماعة الحكام بالعراق ، وفي هذه السنة جعل عوضهم الملك ناصر الدين قتلغ شاه بن سنجر مملوك علاء الدين صاحب الديوان ، فسأل ابعاد سعد الدولة بن الصفي الحكيم اليهودي عنه وأن يكف يده عن الحكم معه فأجيب الى ذلك ، فأقام سعد الدولة في الأردو المعظم على قاعدة الاطباء هناك ، فاتفق له القرب من حضرة السلطان أرغون والخلوة وحصل له ما لم يخطر بباله ، فكشف له أمور العراق وعرفه جميع الأحوال ، ثم أخذ في الطعن على الأمير بوقا وأخيه الأمير أروق

وبين له وجوه ارتفاقهما من الممالك فتغير قلبه عليهما .

ولما وصل قتلغ شاه الى بغداد قسط على الناس أموالاً على سبيل القرض وثقل عليهم في استيفائها فنفرت نفوس الناس منه فبينما هو على ذلك وردت الأخبار بوصول الأمير أردوقيا وسعد الدولة لتصفح أحوال العراق ، ثم انهما وصلا واجتمعا بالأمير أروق فكان أول ما اعتمداه اسقاط ما قرر على الناس من القرض ثم أصلحا حال العراق واسترفعا حسابه وجمعا المال من وجهه وتوجهوا جميعاً الى حضرة السلطان فانهى اليه سعد الدولة ما فعل أروق وقتلغ شاه بالرعية وما صار اليهما من الأموال ، فأمر باستخراج ذلك من قتلغ شاه ، فعاد سعد الدولة الى بغداد واستصحبه معه ، وكان ما نذكره سنة سبع وثمانين .

وفيها ، طواب نجم الدين كاتب الجريد بالحساب ودوشخ على بقايا وجبت عليه فلما عرف من نفسه العجز عما يطلب منه وخشي من العقاب قتل نفسه ، وكان شاباً حسن الصورة .

وفيها ، دخلت العرب في يوم جمعة الى الجامع بالمحول فأخذوا ثياب كل من كان فيه ثم قصدوا ناحية الحارثية وكبسوها ليلاً

واخذوا ما قدروا عليه وقتلوا جماعة من أهلها ، فلم يزل شحنة العراق يفحص عنهم حتى ظفر با كثرهم وضرب اعناقهم وبني رؤوسهم في قبة الجسر وجعل وجوههم ظاهرة ليعتبر بها كل مفسد .

وفيها ، تزوج رجل من نهر الملك يعرف بابن البيضاوي امرأة مغنية ببغداد ، ونقلها الى قريته وأسكنها مجاور دار زوجته وكانت ابنة عمه ، فدخلت اليها وضربتها بدبوس فقتلتها ، وخرج عمه أبو زوجته اليه فضربه بنشابة فمات من ساعته ، فعلم ولده بذلك فضرب عم أبيه بسيف فقتله ، ومضى الثلاثة في هوى النفس الأمارة بالسوء — نعوذ بالله من شر الشيطان وبلائه —

وفيها ، قصد بعض اولاد التجار خان الصخر المجاور لخان السلسلة ليلاً فدخل وقتل الخاني وفتح بيتاً لأبيه وأخذ منه مالاً ، فادركه أبوه ليأخذ المال منه فقتله ، فمضى الخاني الى نائب باب النوبي وعرفه ذلك فطلبوا ولده فلم يحصل .

وفيها ، تزوج شهاب الدين سليمان بن علي أخو الشيخ نظام الدين محمود شيخ المشايخ بيلقيس ابنة شرف الدين علي بن علجة فقال بعض الشعراء في اتفاق الاسمين :

هذا سليمان قد تمت محاسنه فراقبوا الله لا تطغوه بل قيسوا

لو لم يكن كسليمان النبي لما زفت اليه ولا جاءته بلقيس

وفيها ، كثر اهتمام عوام بغداد بقتل السباع وجرى بينهم فتن كثيرة وحروب بين أهل المحال ، فأنكر الديوان ذلك ، وتقدم بحرق السباع لاطفاء الفتنة ومنعوا من الخروج بعد ذلك لقتل السباع .

ووقع بنيسان، برد كثير أتلف الزروع في أعمال بغداد ، قال الشيخ ظهير الدين الكازروني في تاريخه « حكى لي قاضي طريق خراسان أن جماعة شهدوا عنده أنهم رأوا في ناحية الخوزية(؟) من اعمال براز الروز (١) برداً كباراً فيه بردة طويلة عظيمة كالرجل النائم — والله اعلم — .

وفيها ، حج الناس وعادوا طيبين وأخبروا بأمن الطريق ورخص الاشياء في مكة والمدينة .

وفيها ، عقد ضمان الاعمال الحلية على مجد الدين اسمعيل بن الياس اضافة الى نيابة الديوان والحكم في بغداد ، وكان ذلك سبباً لذهاب

(١) هي ناحية بلد روز الحالية، تبعد عن بعقوبا بزيادة على ثلاثين ميلا على نهر بلد روز المتفرع من ديالى .

امواله واملاكه .

سنة سبع وثمانين وستمائة

في المحرم ، وصل الامير أردوقيا وسعد الدولة بن الصفي اليهودي الى بغداد ، وحضر عند الامير أروق وعرضا عليه ما معهما من الفرامين ، فأمر بان ينادى في بغداد : أن يحضر الى الديوان كل من معه فرمان و بايزه ، فلما حضروا أخذوا ذلك منهم ، وعزل ناصر الدين قتلغ شاه عن الحكم ببغداد ، وأعيد أمر الاشراف بالعراق الى سعد الدولة ، وتقدم باعادة ما أخذ من الرعية في السنة الخالية من القرض ، ثم طولب ولاة الاعمال والضعفاء بما عليهم من البقايا وضويقوا على ذلك ، فأدوا أموالاً كثيرة .

وضرب عز الدين عبد العزيز الاربلي ناظر الكوفة فباع املاكه فلم يقم بما عليه ، وكان مريضاً فمات من تواتر الضرب والعقاب وضرب الزين الحظائري عميد بغداد ودوشخ ، فأدى مالاً كثيراً وباع املاكه واسبابه وقام بما تخلف عليه من ضمان الحلة ، فلما تكملت

الأموال في الخزانة توجه ، الأمير أردوقيا بها الى السلطان واستصحب سعد الدولة معه ، فعين شرف الدين محمد بن أحمد السمناني صاحب ديوان العراق ، ورتب سعد الدولة مشرفاً عليه ، فوصلا بغداد وصحبتهما ناصر الدين قتلغ شاه يطالب بما عليه من الأموال ورتب فخر الدين مظفر بن الطراح صدراً في الحلة عوضاً عن مجد الدين اسمعيل بن الياس .

وفي صفر ، وصل الى بغداد جماعة من اليهود من أهل تفليس وقد رتبوا ولاة على تركات المسلمين ، فأجروا الأمر على أن لا يورثوا ذوي الأرحام ، فانكر الامير أروق ذلك وأمر أن يعمل بمذهب الشافعي — رضي الله عنه — كما كان يعمل قديماً ، فاتفق وفاة بعض العوام وخلف ابن عم له ، فانكر النواب نسبه وختموا على تركته فاستغاث واستنصر بالعوام ، فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة أوجبت خوف النواب من القتل ، فاختفوا وتحصنوا في بيوتهم فنهب العوام دكاكين اليهود من المخلطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك ، فخرج النواب من بغداد متوجهين الى بلادهم فصادفهم الاكراد في الجبل فقتلوهم .

وفيها ، تزوج مبارك شاه بن الشيخ نظام الدين محمود شيخ المشايخ بابنة فخر الدين بن خواجه نصير الدين الطوسي على صداق عشرة آلاف دينار ، وحضر العقد قاضي القضاة عز الدين بن الزنجاني .

وفيها ، رتب نجم الدين محمد بن أبي العز مدرساً بالنظامية حيث توفي مدرسها نور الدين عبد الغني المعروف بابي البيان (١) الحلبي اضافة الى القضاء وخلع سعد الدولة عليه فلما ألقي الدرس قال « هذه بضاعتنا ردت الينا » .

وفيها ، كفت يد صدر الدين وأخوته أولاد خواجه نصير الدين الطوسي من النظر في وقوف العراق ، وأعيد الأمر فيها الى حكام بغداد ، ثم عاد الأمر اليهم في سنة ثمان وثمانين ، وحج من العراق في هذه السنة خلق كثير ، وأخبروا بتعذر الأقوات وعدم الأشياء هناك .

(١) تقدم في آخر حوادث السنة « ٦٨٢ » بصورة « أبي التبان » .



سنة ثمان وثمانين وستمائة

فيها ، تقدم الملك شرف الدين السمناني صاحب ديوان العراق باعادة الزين عميد بغداد الى التمغات بعد أن استوفى ما عليه من بقايا الضمان بالضرب والعذاب ، ثم عزم الملك على التوجه الى الأردو المعظم ، فقصد سعد الدولة المشرف عليه مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — وزار ضريحه الشريف وأخذ المصحف متفائلاً به فخرج له « يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى » فاستبشر بذلك وأطلق للعلويين والقوام مائة دينار ، فلما وصلوا الى حضرة السلطان عزل الملك شرف الدين ، ورتب سعد الدولة صاحب ديوان الممالك وأمر السلطان بقتل الأمير بغانوين (١) فقتل هو وأولاده وأصحابه وكان الأمير أرق أخوه في ديار بكر فأنفذ اليه من قبض عليه ثم قتله ، وكان ذلك لتغير نياتهم في طاعته

(١) تقدم غير مرة بصورة « بوقا » .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، ثم ان سعد الدولة رتب في العراق أخاه فخر الدولة ومهذب الدولة نصر بن الماشميري ورتب معهما جمال الدين الدستجرداني كاتبا ، فوصلوا الى بغداد وقرروا قواعد أعمالها ، ثم وصل تقدم سعد الدولة بالقبض على الزين الحظائري ضامن التمغات ومجد الدين اسمعيل بن الياس واستيفاء ماعليهما من الأموال ثم قتلهما بعد ذلك فقبض عليهما ووكل بهما وعوقبا بالضرب وغيره وأخذ مالهما من مال وملك ، ثم قتل زين الدين ظاهر سور بغداد في العشرين من جمادى الآخرة ، وقتل مجد الدين في يوم الأربعاء ثاني عشرين الشهر تحت الدار الشاطئية وسلمت جثته الى أولاده ، وكان قتله آخر النهار وهو صائم ، فطلب ماء فلما أتي به نظر الى الشمس وقد قرب غروبها فلم يشربه وقال للسياف « اضرب ضربة واحدة » فقال له : نعم ، وكان — رحمه الله — من محاسن الزمان عالما فاضلاً اديباً جواداً سخياً كريماً يكتب خطاً جيداً ويقول الشعر . فمما قاله في المعادن ووزنها :

اذا استوت الحجوم لفلزات فوزن الكل معتبر بنسبه

فدرزيقم اصح حصح مص　　وجف قرع نخذوزناورتوه (؟)

فهذا سر ما أخفاه قوم　　قدماً قد كشفنا عنه حجبه

وقتل الملك ناصر الدين قتلغ شاه الصاحبي في تبريز وحملت جثته الى بغداد، فدفنت في رباط كان قد عمره مجاور قبر سلمان الفارسي وجعل فيه جماعة من الفقراء ووقف عليه عدة نواح بواسط وغيرها وكان يحب الفقراء ويواصلهم، وبنى في البصرة لما كان واليا فيها رباطاً وحماماً ووقف الحمام وغيره عليه وبنى في المأمن الذي عمله الصاحب علاء الدين في أعمال واسط مدرسة، ثم قتل منصور بن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد في رجب ودفن في تربة والدته.

وفيها، عزل نور الدين بن الصياد من واسط ورتب عوضه الملك «نور الدين عبد الرحمن بن تاشان»

وفيها، قتل الكمال حسن بن يحيى الفراش البغدادي بدمشق قتله رجل من أهلها ثم قعد عنده، فلما عرف الوالي بذلك أحضره فاعترف بانه قتله وقال: «عرفت انكم تسألوني عنه واني قتلته غيرة على النبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه أساء ذكره وتعرض بالصحابة وقال أشياء يستحق عليها القتل وقد بذلت نفسي لله

— تعالى — فطلبوا منه من يشهد أنه سمع منه ذلك ، فأحضر جماعة من أهل دمشق شهدوا بصحة ما قال فخلي سبيله ، وهـذا الصبي كان يعتقد مذهب الفلاسفة ويتظاهر به ، وكان أبوه يدعي أنه أخو علاء الدين عطاء ملك الجويني صاحب الديوان لأنه كان قد حضر عنده لما أخذه علي بهادر شحنة بغداد ووكل به فقال له : قد رأيت مناماً يدل على أنك تخلص عن قريب وتحكم في العراق ، فلما خلص قربه وأحسن اليه وكان يخاطبه بالأخ ، ثم وقع منه ما أوجب أنه امر بأخذه وضربه، ثم أركب حماراً وطيف به في أسواق بغداد ثم ضرب حتى هلك .

وفيها ، وجد في الخزانة المحمولة من بغـداد الى الأردو المعظم كيس فيه فلوس فتقدم بالفحص عن ذلك ، فظهر أن بعض فراشي الديوان فعل ذلك فأمر بصلبه فصلب .

وفيها ، صلب شهاب الدين عمر بن أخت صفي الدين عبد المؤمن نفسه في داره ولم يكن فقيراً ولا عليه دين ، ولم يعلم السبب الموجب لذلك وكان شاباً حسناً .

وفيها ، توفي عز الدين علي بن عصحة(؟) ودفن تحت أقدام سلطان

الفارسي وكان من أكابر المتصرفين ببغداد .

وفيها ، توفي بهاء الدين عبد الوهاب بن قاضي دقوقا ودفن في مدرسة (١) بناها على شاطئ دجلة بباب الأزج ، وكان ذا مال وجاه من اكبر القضاة بالعراق ، وتوفي صفي الدولة سليمان بن الجمل النصراني كاتب السلة ببغداد ، وفيها غلت الأسعار ببغداد وحج منها خلق كثير .

سنة تسع وثمانين وستمائة

فيها ، سطر ببغداد محضر كتب فيه أعيان الناس يتضمن الطعن على سعد الدولة ويتضمن آيات من القرآن وأخباراً نبوية أن اليهود طائفة أذلهم الله - تعالى - ومن حاول اعزازهم أذله الله - عز وجل - فعرف سعد الدولة بذلك ، فلما وصل المنفذ به أخذه منه وعرضه على السلطان أرغون ، فحكمه في كل من كتب

(١) واليوم على دجلة بهذا الموضع قبر منسوب الى ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن ، مع أن المؤرخين ذكروا أن ابن الجوزي دفن في مقبرة باب حرب من الجانب الغربي « الوفيات ١ : ٣٠١ »

فيه ، فتأنى في مؤاخذتهم واستعمل الحزم وعاقبة (؟) العجلة ، لكنه تقدم بصلب جمال الدين بن الحلاوي ضامن تمغات بغداد ، فصلب بباب النوبي وثيابه عليه ، وسلم الى أهله بقية النهار .

وفيها ، سئل السلطان عمن تخلف من أولاد شمس الدين محمد بن الجويني صاحب الديوان فأخبر بهم فأمر بقتلهم ، وكان في تبريز منهم مسعود وفرج الله فقتلا ودفنا في تربة ابيهما ، أما مسعود فانه كان قد اعرس منذ ليالٍ ، واما فرج الله فانه كان صبياً في المكتب فلما أخرج ليقتل توهم أنهم يريدون تأديبه لئلا ينقطع عن المكتب فجعل يقول بالفارسية « والله مابقيت انقطع عن المكتب » فرقت الناس له ، وكان أخوهما نوروز في الروم فسارت الأياجية اليه فقتل هناك .

وفيها ، عزل نجم الدين بن أبي العز البصري ونجم الدين عبدالله القوساني وعفيف الدين ربيع الكوفي من القضاء ببغداد ،

وحج من العراق هذه السنة خلق كثير وعادوا من بعض الطريق وقد نهبهم العرب .

وفيها ، اتفقت بنت لبعض الأعيان بشيراز مع مملوك لأبيها

على فاحشة ، فلما رأت أنه افتضها خافت فهربت ، فلما عرف ابوها الحال قتل المملوك ثم تطلبها الى أن وجدت بعد أيام فحكم شحنة شيراز يومئذ بقتلها فحملت الى رأس جبل بظاهر شيراز فيه جب كبير بعيد القعر تلقى فيه النساء المستوجبات للقتل ، فألقيت الجارية فيه فلم تهلك ولم يهن منها عضو ، فعجب الحاضرون وسألوا الافراج عنها فقال الشحنة المذكور : ما معنى قول الشاعر :

من لم يمت يومه يموت غداً ... أو لم يمت في غد فبعد غد؟

فأرسل اليه شمس الدين بن المنتجب عامل فارس في أمرها فأخرجت وزوجت وذلك في ذي الحجة منها .



سنة تسعين وستمائة

في هذه السنة ، انحدر مهذب الدولة بن الماشعيري الى واسط وقبض على ملكها نور الدين عبد الرحمن بن تاشان ، وطوقه بالحديد ونفذه الى بغداد على أن يقتل بها ويحمل رأسه اليه ، وسبب ذلك أنه تحدث على السكر : أن سعد الدولة قد قتل ، فلما وصل الى بغداد وكل به في دار النيابة ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الثالث وصلت الايلچية من أردو « بايدو » ودخلوا بغداد ليلاً وحضروا عند جمال الدين الدستجرداني كاتب العراق ، وعرفوه أن السلطان أرغون توفي ، وأن الامراء قتلوا سعد الدولة قبل وفاة السلطان وأنه قد فوض أمر العراق اليه ، وأمر بالقبض على فخر الدولة أخي سعد الدولة . فاتفق مع الأيلچية والأمير (١) .... شحنة بغداد وقبضوا على فخر الدولة ليلة السبت ... ربيع الآخر وأحضروا الملك نور الدين عبد الرحمن من السجن ، وتقدموا اليه

---

(١) لعله « أردوقيا » المتقدم الذكر .

بالانحدار الى واسط والقبض على مهذب الدولة وحمله الى بغداد
ولما قبض فخر الدولة نهب الكلجية وعوام بغداد داره وادؤر اليهود
كافة وأخذوا أموالهم ودام ذلك ثلاثة أيام فركب جمال الدين في
جماعة من الجند والكلجية ومنعوا العوام عن ذلك وحبسوا جماعة
منهم وقتلوا نفرين فسكنت الفتنة ، ولما وصل مهذب الدولة الى
بغداد حبس في دار النيابة فسأل من جمال الدين أن ينقل الى حجر
النبر ، فنقل ثم أحضر بعد أيام الى الديوان وسئل عن الأموال فقال
« أما مال الديوان ففي الخزانة وأما ما يخصني فانت تعلم أني لم اجمع
مالاً » فأمر بضربه فضرب ، ثم اقعد وسئل فلم يعترف بشيء غير
الظاهر فأمروا بقتله فضرب بالسكاكين والسيوف وكان بالاتفاق
في الديوان نجار قد جاء متفرجاً ومعه فأس فضربه عدة ضربات
ثم قطع اربا اربا، وتناهبه العوام فتمم نفاط بعصرانه وطافوا به في
شوارع بغداد ودروبها ، ثم احرق بباب جامع الخليفة ماعدا رأسه
فسلخ وحشي تبناً وطيف به في جانبي بغداد وحمل الى واسط فعلق
على جسرها ، وقتل من اليهود شاب يعرف بابن فلالة وقطعت

اعضاؤه وشد العوام في ارجله حبلاً وطافوا به سحباً في دروب بغداد ، ثم احرق بباب جامع الخليفة أيضاً ، فلما سكنت الفتنة وخرج اليهود على عادتهم في معايشهم أشاع طائفة من العوام أن الحكام قد فسحوا في نهبهم فسارع الأشرار والسفل والشطار في ذلك ، ونهبوا دورهم ودكاكينهم ، فركب جمال الدين في جمع من الكاچية وكفهم عن ذلك ، ولم يبق بلد من بلاد العراق الا وجرى فيه على اليهود من النهب مثل ما جرى في بغداد حتى أسلم منهم جماعة ، ثم عادوا بعد ذلك ، وأرسل بايدوا الى الموصل من قبض على أمير الدولة أخي سعد الدولة ، وكان حاكماً بها ، واعتمد معه مثل ما اعتمد مع أخيه فخر الدولة .

حكي أن فخر الدين مظفر ابن الطراح حرض جمال الدين الدستجرداني على قتل مهذب الدولة ، وقال « أن تركك لا يؤمن » وخوفه من عاقبة الحال حتى قال له :

جمال دين العلى ياملك من يأملك عجل بقتل المهذب قبل أن يقتلك
. . . . والنظر الى صاحب الديوان وجد الملك

وكان ملك السلطان أرغون نحو ثماني سنين وكان عادلاً محمود

السيرة رؤوفاً بالرعية ، وأرسل الأمراء الى كيغاتو وكان بالروم يعرفونه وفاة أخيه، فسار اليهم وجلس على التخت .

وفيها ، توفي الملك المنصور قلاوون الألفي بالقاهرة ، وعمره ثمانون سنة ودفن في مدرسة بناها سماها المنصورية ، وكان قد برز ليسير الى عكة فمرض وعاد، وعهد الى ابنه صلاح الدين خليل ولقبه الملك الأشرف واستحلف له الأمراء والقواد وكان عادلاً حسن السيرة ذا رأي سديد وضبط للملك والسياسة ، فلما ولي الملك الأشرف عطف على من يخافه من الأمراء قتلاً وتفريقاً وخنقاً وتسميراً وغير ذلك ، فممن قتل ترنطاي وسنقر الأشقر وعمد الى لاچين وهو من أكابر مماليك والده فخنقه بوترقوس حتى ظن أنه مات ، ثم أمر أن يلقى على قارعة الطريق فألقي فأفاق ومضى الى بيته فانهي ذلك الى الأشرف فقال « أن الله لم يأذن في هلاكه » واعرض عنه فكان هلاك الأشرف على يده وسنذكره ، وكان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس يفضله بالشجاعة وهو يفضل الملك الظاهر بالدهاء .

وفي هذه السنة، احتبست الغيوث حتى انقضاء بعض شباط فاجتمع

الناس عند قاضي القضاة عز الدين بن الزنجاني ثم خرجوا الى مقبرة معروف — رحمه الله — يوم الخميس سابع عشرين صفر واجتمعوا في باب المدرسة البشيرية ونصب هناك كرسي خطب عليه العدل شمس الدين بن الهنايسى خطيب جامع الخليفة ، ثم تضرع الناس وسألوا الله — عز وجل — أن يعمهم برحمته، وا كثروا من البكاء والاستغفار وعادوا (١) ثم خرجوا يوم الجمعة الى ظاهر سور بغداد يتقدمهم شيخ المشايخ نظام الدين محمود راجلاً ، مستكيناً و كذلك قاضي القضاة واجتمعوا وراء جامع السلطان وخطب الخطيب المذكور ثم تلاه الشيخ شهاب الدين عبد المحمود السهروردي فأرخت السماء عزاليها وتواترت الغيوث فدخلوا بغداد وقد توحلت الطرق ودام نزول الغيث ثلاثة أيام ثم سكن ، وزادت دجلة بعد ذلك وانتفع العالم بما عمهم من لطف الله ورحمته .

وفيها ، وصل مظفر الدين علي بن علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب الديوان الى بغداد، حيث اتصل به قتل سعد الدولة وكان قد هرب لما قتل أخوه المنصور والتجأ الى بعض مشايخ العرب

(١) في هامش الأصل « فصام اليهود ببغداد ثلاثة ايام متواليات وا كثروا فيها من الدعاء والصلاة وخرجوا في اليوم الثالث وهم صيام واستسقوا فلم يسقوا » .

بالسيف ثم توجه الى تبريز وتزوج ينكي ابنة أرغون آغا التي كانت زوجة عمه شمس الدين ثم جاء الى بغداد وهي صحبته وقد استخلصت له بعض املاك أبيه وصار بسببها ذا جاه، ثم قتل بعد ذلك على ما نذكره .

سنة احدى وتسعين وستمائة

في هذه السنة ، أمر السلطان كيغاتو بانفاذ أميرين هما ساطي وبكتمر الى العراق لتصفح الأعمال وعمل الحساب، فقدما بغداد فقام جمال الدين الدستجرداني بين أيديهما ، فأقاما شهوراً واعتمدا ما أمرا به ، ثم عادا فمات ساطي وولده ونساؤه جميعاً في أيام قلائل وجمع جمال الدين مال العراق ثم وجهه ، وحصل سلاحاً كثيراً وتوجه الى حضرة السلطان ، فأنعم عليه وأقره على ولاية العراق ورتب معه رفيقين هما أثير الدين التستري ابن اخت مجد الدين محمد بن الأثير. وتاج الدين علي تاشان ، وسيرهم جميعاً مع أمير اسمه

تيطاق، فكانوا بالعراق الى آخر السنة، ولما توجه جمال الدين استخلف على بغداد سعد الدين أسد بن الأمير علي جكيبان (١) فناب عنه الى حين عوده :

وفيها، سار الملك الأشرف صاحب مصر والشام في جيوشه الى عكة، ونازلها وحصرها براً وبحراً وتابع الزحف والقتال ونصب عليها المناجيق والأبراج الخشب، وقاتل من بها مدة أربعين يوماً حتى فتحها عنوةً، وقتل في أهلها قتلاً عظيماً وسبى ذراريهم ونهب أموالهم، ثم أمر بهدمها فهدمت حتى عفى آثارها وألحقها بالأرض ثم عاد الى دمشق فأقام بها شهراً ومدحه الشعراء. فمما قاله بعضهم (٢) قصيدة يوازن بها قصيدة أبي تمام الطائي عند فتح عمورية التي اولها: السيف اصدق انباءً من الكتب :

ولكن بينهما فرق عظيم. أول القصيدة :

الحمد لله ذلت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الآمال لو طلبت رؤياه في النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكة اذ هدت قواعدها في البحر للشرك عند البر من أرب

(١) ورد كثيراً بالكاف او اللام. وما نعرف صحته .

(٢) هو شهاب محمود القاضي ، راجع فوات الوفيات « ١ : ١٥٢ » فهي فيه كاملة .

عقيلة ذهبت أيدي الخطوب بها … دهراً وشدت عليها كف مغتصب

لم يبق من بعدها للكفر اذ خربت … في البر والبحر ما ينجي سوى الهرب

كانت تخيلها آمالنا فنرى … ان التفكر فيها أعجب العجب

أم الحروب فكم قد أنشأت فتنا … شاب الوليد بها هولاً ولم تشب

كأنما كل برج حوله فلك … من المجانيق ترمى الأرض بالشهب

فجاءتها جنود الله يقدمها … غضبان لله لا للملك والنشب

ليث أبى أن يرد الوجه عن أمم … يدعون رب العلى سبحانه بأب

كم رامها ورماها قبله ملك … جم الجيوش فلم يظفر ولم يصب

لم يلهه ملكه بل في أوائله … نال الذي لم ينله الناس في الحقب

لم ترض همته الا التي قعدت … للعجز عنها ملوك العجم والعرب

فأصبحت وهي في بحرين مائلة … ما بين مضطرم ناراً ومضطرب

جيش من الترك ترك الحرب عندهم … عار وراحتهم ضرب من الوصب

خاضوا اليها الردى بالبحر فاشتبه الأ … مران واختلفا في الحال والنسب

تسنموها فلم يترك ثباتهم … في ذلك الأفق برجاً غير منقلب

تسلموها فلم تخل الرقاب بها … من فتك منتقم او كف منتهب

يا يوم عكة قد انسيت ما سبقت … به الفتوح وما قد خط في الكتب

لم يبلغ النطق بعد الشكر فيك فما   عسى يقوم به ذو الشعر والخطب

كانت تمني بك الأيام عن امم   والحمد لله شاهدناك عن كثب

وأطلع الله جيش النصر فابتدرت   طوالع الفتح بين السمر والقضب

وأشرف المصطفى الهادي البشير على

ما أسلف الاشرف السلطان عن قرب

وقر عينا بهذا الفتح وابتهجت   ببشره الكعبة الغراء في الحجب

وسار في الأرض مسر الريح سمعته   فالبر في طرب والبحر في حرب

وخاضت البيض في بحر الدماء فما   أبدت من البيض الاساق مختضب

وغاص زرق القنا في زرق اعينهم   كأنها شطن تهوي الى قلب

كم أبرزت بطلاً كالطود قد بطلت   حواسه فغدا كالمنزل الخرب

كأنه وسنان الرمح يطلبه   برج هوى ووراه كوكب الذنب

أغضبت عباد عيسى اذ أبدتهم   لله أي رضا في ذلك الغضب

بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت   بك الممالك واستعلت على الرتب

ما بعد عكة اذ لانت عريكتها   لديك شيء يلاقيه على نصب

فانهض الى الأرض فالدنيا باجمعها   مدت اليك نواصيها بلا تعب

ادركت شأن صلاح الدين اذغضبت   منه لسر طواه الله في اللقب

وجئتها بجيوش كالسيول على   امثالها بين اجسام من القصب

وحطتهـا بالمجانيق التي رفعت | امام سوارهـا في جحفل لجب
مرفوعة نصبوا أضعافها فنبت | للجزم والكسر منها كل منتصب
وجالت النار في أرجائها وعلت | فاطفأت ما بصدر الدين من كرب
أضحت أبالهب تلك البروج وقد | كانت بتعليقهـا حمـالة الحطب
وتمت النعمة العظمى وقد ملكت | بفتح صور بلا حصر ولا نصب
أختان في أن كلاً منهما جمعت | صليبة الكفر لا أختان في النسب
لمارأت أختها بالأمس قد خربت | كان الخراب بها أعدى من الجرب
فالله اعطاك ملك البر فابتدأت | بك السعادة ملك البحر فارتقب
من كان عكة مبدأه وصور معاً | فالصين أدنى الى كفيه من حلب
سما بك الملك حتى أن قبتـه | على الثريا عدت ممدودة الطنب
فلا برحت عزيز النصر مبتهجاً | بكل فتح قريب النجح مرتقب

ثم ان الأشرف سير قائداً يعرف بالشجاعي في عشرين الف فارس الى صيدا وصور ، فنازل صيدا وفتحها وقتل من بها وأخربها ثم رحل الى صور فتلقاه أهلها بالطاعة ، فدخلها وأغلق أبوابها ووضع السيف فيهم وقتل الرجال وسبي النساء وأخربها وعاد الى الاشرف

وهو بدمشق ، ولم يبق للفرنج في ساحل البحر حجر على حجر، ثم ان الأشرف عاد الى مصر وأخذ يتجهز للغزاة وكان ما نذكره .

سنة اثنتين وتسعين وستمائة

فيها ، سار الملك الأشرف صاحب مصر الى قلعة الروم ، فأقام عليها شهرين يتابع الزحف والقتال حتى فتحها وملكها فقتل من بها وسبى الذراري ونهب الأموال ثم هدمها وعاد الى مصر ، وحدث نفسه بالمسير الى العراق وتجهز وعمل سلاسل ومروساً من القنب لأجل الجسر ، ثم برز من القاهرة الى الصالحية في آخر السنة فقتل في سنة ثلاث وتسعين على ما نذكره .

وفيها ، ولي السلطان كيخاتو صدر الدين أحمد بن عبدالرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك وفوض اليه تدبير ملكه .

وفيها ، ظهر بالحجاز نار أذابت الصخور كما ظهرت في سنة اربع وخمسين وستمائة الا أن هذه كانت تترافى الى عنان السماء ثم تهبط ويسمع لها دوي هائل ، واذا ألقي فيها الخشب وكل ما تأكله النار

لا تحرقه ، ودامت على ذلك ثلاثة أيام .

وفيها ، توفي الملك المظفر قرا أرسلان صاحب ماردين وعمره نحو ثمانين سنة ، فقام بعده ابنه شمس الدين داود ولقب بالملك السعيد (١) .

سنة ثلاث وتسعين وستمائة

فيها ، أمر السلطان كيخاتو شمس الدين محمد التركستاني المعروف بالسكورجي بالمسير الى العراق واليا عليه مزيلاً عن الرعية ما جدد عليهم من الأثقال ، فلما دخل بغداد أظهر العدل والاحسان وحسن النظر في أحوال الناس وأجراهم على أجمل القواعد ونظر في أمور الوقوف وأجرى اربابها على شروط الواقفين وأدر عليهم الأخباز والمشاهرات ، ووعد الناس بأشياء يخاطب فيها السلطان

---

(١) في هامش الأصل « وفيها - أعني سنة اثنتين وتسعين وستمائة - وثب باطني على نقاجو أمير المسلحة بالعراق على رأس الجسر العضدي ببغداد وضربه بخجر عدة ضربات قتله بها وشد هاربا فعد له رجل اصفهاني رجلاً على الجسر فسقط فقبض ، فجعل يقول « فداء الملك الأشرف فداء الملك الاشرف » فسلم الى ابن نقاجا المغولي فمثل به وقطع اطرافه وهو حي ومد ... ظهره سرا ولم يحس (؟) ولم يتأوه ، ثم قال لقاتله « يا مخنث انك لم تصنع شيئاً الا وهو دون ما كان في نفسي فاصنع ما بدالك » فقتله والقاه في المكان الذي قتل فيه اباه وكان .... »

ويعتمدها معهم فلم تطل أيامه وقتل عام ما نذكره .

واتصل بالسلطان أن في بلاد واسط وسوادها جماعة من الأعراب الباغية المفسدين ، فأمر بايدو بالمسير الى هناك وقتلهم ونهبهم ، فسار من سياه كوه الى بغداد وانحدر الى واسط حتى وصل الى آخر أعمالها ولم يتعرض بأحد ولا ثقل على الرعية ، فلما عاد شرع في نهب القرايا وأخذ الأموال والجواميس والبقر والغنم ، وأسر الذراري وسبى النساء ، كل ذلك من الرعية ، وأما الباغية فانهم اعتصموا بالبطائح فلم يقدر عليهم ، وصادف عسكره سفن التجار الواصلين من البحر فنهبوا بعض ما فيها من القماش ، وخرجت الأعراب من البطائح فنهبوا الباقي وأحرقوا بعض السفن ، فأصبح التجار عراة حفاةً لا يقدرون على شيء ، ثم أنفذ بايدو جماعة من العسكر الى عين التمر والكنيسات فنهبوا الرعية وسبوا وأسروا وعملوا كل منكر وعادوا الى بايدو وقد وصل بغداد ، فتكمل معهم زيادة على ثلاثين الف أسير ، ثم رحل من بغداد راجعاً الى سياه كوه فتوجه شمس الدين محمد السكورجي الى السلطان وأخبره بما فعل بايدو بالرعية ، فانكر عليه ذلك وأمر بحبسه فحبس في خركاه ثلاثة

أيام ، ثم كلم فيه فأطلقه، واستخلص من العسكر بعض الأسرى وسلموا الى شمس الدين محمد السكورجي فكساهم ، وعاد الى بغداد وهم صحبته ، فأطلقهم فتوجهوا الى اهليهم .

وفيها ، وضع صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز « الچاو » وهو كاغد عليه تمغـة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وأمر الناس أن يتعاملوا به وكان من عشرة دنانير الى دون ذلك حتى ينتهي الى درهم ونصف وربع ، فتعامل به أهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر ، فاضطربت أحوالهم اضطراباً أضربهم وبغيرهم حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء وانقطعت المواد من كل نوع ، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت « الچاو » ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما ، ويأخذ حاجته ، خوفاً من اعوان السلطان ثم حمل منه عدة أحمال الى بغداد صحبة الأمير لكزي ابن أرغون آقا ، فلما بلغ ذلك أهلها استعدوا بالأقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى في تبريز ، فلما أنهي ذلك الى السلطان كيخاتو امر بابطاله فأبطل قبل وصول لكزي الى بغداد وكفى الله العالم شره .

وفيها ، وصل الى بغداد الملك امام (١) الدين يحيي القزويني البكري وفخر الدين الرازي العلوي وقد فوض السلطـان اليهما أمر العراق فأقاما الى آخر السنة ، ثم توجها الى السلطان واستخلفا جمال الدين الدستجرداني على بغداد .

وفيها ، وصل الى بغـداد زين الدين محمد الخالدى على أنه قاضي القضاة متولي الوقوف والوكالة والتركات والمقاطعات والجوالي ، فلم يعض شمس الدين محمد السكورجي له من ذلك غير القضاء والحسبة فحكم الى آخر السنـة وعاد الى الأردو واستخلف احـد اصحابه على منصبه .

وفيها ، قتل الملك الأشرف بن الألفي صاحب مصر والشام وسبب ذلك أنه كان قد استوزر رجلاً يعرف بابن السعلوس ، فكان لا يلتفت الى الأمراء ويتوقف في أمورهم ، حتى رد يومـاً على الأمير بيدرا بن كتبغا أمراً أشـار به ، فأحضره وكشف رأسه وأهانه ، فعاد الى الأشرف على حالتـه ، فأحضر الاشرف بيدرا وضربه وقيده أياماً ثم أفرج عنـه ، فشرع يفسد الأمراء سراً

(١) هو الذي بنى لعلي بن ابي القاسم القزويني الشافعي مدرسة بدرب فراشا من بغداد الغربية « نكت الهميان ص ٢٠٤ » .

ويدعوهم الى الفتك بالأشرف ويحذرهم منه ، فأجابوه الى ذلك وحلفوا له على الوفاء به ، منهم : لاجين وكتبغا ، فلما تجهز لقصد العراق كما ذكرناه في السنة الخالية وبرز الى الصالحية ، ركب يوماً متصيداً بنفر قليل فانتهز الأمراء الفرصة وقتلوه ، فانهزم أصحابه وكان عمره نحو ثلاثين سنة ، فاضطرب العسكر ، فسكنهم بيدرا وسار بهم يريد القاهرة ليسبق خبره ويملكها ، وكان الأشرف قد استخلف عليها سنقر الشجاعي بعض مماليك أبيه ، فوضع لاجين من قال لمماليك الأشرف وخواصه « هذا بيدرا هو الذي قتل الأشرف فما يمنعكم منه ؟ » فحملوا عليه وقتلوه وولوا كتبغا عليهم فأقبل بالعسكر على ظاهر القاهرة وبات هناك ، فشاع الخبر فحدث الشجاعي نفسه بالملك واستعد للقتال وأخرج الفرنج من السجن لمساعدته وتلقب بالملك القاهر وخطب له في القاهرة بالسلطنة ، فلما رأي لاجين ذلك استتر عند كتبغا ، ودام الشجاعي على ذلك أربعين يوماً ، فأشار لاجين على كتبغا سراً أن يراسل والدة الأشرف ، وكانت بالقاهرة ، ويشير عليها بقتل الشجاعي حتى يسلطن ابنها الأصغر محمداً ، فما كنت له أربعة نفر واستدعته

المشورة ، فلما دخل عليها قتلوه ، وأرسلت رأسه الى كتبغا وفتحت له الأبواب ، فدخل القاهرة وسلطن ابنها ولقبه الملك الناصر وكان عمره اثنتي عشرة سنة ، وكان أعرج ، وصار كتبغا أمير الجيوش وسير لاچين الى نواحي الصعيد ، ثم أخذ له من الطفل وأمه أمانا ، فلما حضروا وضع في عنقه منديلاً ودخل على الطفل فعفا عنه ، واستمرت الحال على ذلك مدة شهرين ، فأشار لاچين كتبغا بخلع الصبي فخلعه ، وتفرد بالملك ، وخطب له في الديار المصرية وأنزله وأمه من القلعة وصعد اليها ، وجعل لاچين أمير الجيوش .

وفيها ، توفي شرف الدين علي بن أميران كاتب الانشاء ببغداد وكان عالماً فاضلاً يكتب خطاً حسناً ، وتوفي النقيب غياث الدين عبد الكريم ابن طاووس في مشهد موسى بن جعفر ، وحمل الى جده أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب — عليه السلام — .

وتوفي بهاء الدين علي بن أبي الفتح الفخر عيسى الأربلي ببغداد .

وتوفي صفي الدين (١) عبد المؤمن ابن يوسف بن فاخر وعمره نحو ثمانين سنة .

---

(١) قال الشريف صفي الدين بن الطقطقي « مات صفي الدين عبد المؤمن محبوسا على دين لمجد الدين غلام ابن الصباغ مبلغه ثلثمائة دينار ، وكانت وفاته ثامن عشر صفر » الفوات ٢ : ١٩ .

وتوفي شمس الدولة ابن مخلد النصراني كاتب السلة ببغداد .

وفيها ، أيضاً مات أبو منصور الطبيب النصراني المعروف بكتيفات وكان حاذقاً في علم الطب محمود العلاج وكأن الشاعر عناه :

كأنه من اللطف اذ كان يجول بين الحمرة والدم

ان غضبت جسم على روحها ألف بين الروح والدم (١)

سنة اربع وتسعين وستمائة

في هذه السنة ، تغيرت نيات الأمراء في طاعة السلطان كيخاتو وراسلوا بايدو ، وكان في دقوقا ، يعرفونه : أنهم قد اتفقوا على طاعته وتمليكه ، فأعاد الجواب بقبول ذلك وعدم بالأجابة الى ملتمساتهم فقبضوا على السلطان كيخاتو وقتلوه ، وكان عمره نحو ثلاثين سنة وأرسلوا الى بايدو يعرفونه ذلك ، فأرسل الأمير جارغتاي الى بغداد وأمره بالقبض على محمد السكورجي وحمله اليه وولاية جمال الدين الدستجرداني العراق ، فوصل بغداد يوم السبت ثامن عشر

(١) كذا وردت وراجع أصلها في « ١ : ١٠٨ » من الوفيات .

ربيع الأول ، وقبض على محمد السكورجي وأبيه وأخيه وعمه وجميع أهل بيته وأصحابه ، ونهب أموالهم وكل ما في دورهم ، وحمل محمد الى بايدو ، وهو في نواحي البت ، (١) فأمر بقتله ، فقتل وقطعت أعضاؤه وحمل رأسه الى بغداد ويداه وعلق الجميع على الجسر ، وكان جمال الدين الدستجرداني معتقلاً لا يضاح بقايا العراق مع أصحاب محمد السكورجي ، فأحضره الأمير جارغتاي اليه وولاه أمر العراق ، فركب وسكن الناس ، وكانوا قد اضطربوا وانزعجوا لما قبض على محمد السكورجي ، ثم جلس في الديوان وطلب فخر الدين مظفر بن الطراح صدر الحلة ، وكان موكلاً به مع أصحاب محمد السكورجي على بقايا الحلة ، فولاه قوسان وواسط والبصرة ، عوضاً عن نور الدين عبد الرحمن بن تاشان ، وولي الأمير دولة شاه بن سنجر الصاحبي الحلة ، ورتب شمس الدين محمد زردبان مشرفاً بواسط ، ورتب عز الدين محمد بن شمام ناظراً النهري عيسى والملك ، وعين النواب في سائر الأعمال ، ثم أخذ في جمع الأموال الديوانية ، وكان أرباب الأموال من أهل بغداد والتجار والقضاة

---

(١) تقدم ذكرها وفي المراصد « بتا : بالفتح وتشديد الثاني مقصور وقد يكتب بالياء أيضا من قرى النهروان . قلت : وهي قرية تحت بعقوبا بينها وبين بوهرز » .

وغيرهم شيئاً على وجه المساعدة ، وحمل ذلك الى بايدو أولاً أولاً ثم توجه الى بايدو وعين في العراق نورالدين عبد الرحمن بن تاشان وشرف الدين بديماً ، فلما وصل الى بايدو والأموال صحبته ولاه صاحب ديوان الممالك وفوض اليه تدبير الملك ، ولما بلغ غازان ما جرى على السلطان كيخاتو وكان في خراسان عظم عليه ، وأقبل بعساكره ومعه الأمير نوروز وقصد بايدو وهو بآذربيجان ، فلما قرب منه أرسل اليه نوروز ينكر عليه قتل عمه ، فاعتذر بالأمراء وركب الحجة عليهم في ذلك وطلب من نوروز أن يصلح الحال بينهما ، فعاد الى غازان وعرفه ذلك ، فترددت الرسل بينهما ومال اكثر الأمراء الى غازان ، فهرب بايدو بنفر من أصحابه فأدركوه وحملوه الى غازان ، فأمر بتسليمه الى أصحاب كيخاتو ، فسلم اليهم فقتلوه ، وكان ذلك في شوال ، وكان عمره نحو أربعين سنة وملكه سبعة أشهر ، وجلس السلطان غازان على التخت في ذي الحجة ودخل تبريز وصلى في جامعها وأمر بالزام أهل الذمة الغيار ، فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم ، فداموا على ذلك شهوراً ثم أزيل بمجرد تسلط العوام عليهم

وطمع الجهال فيهم ، وتقدم السلطان بأخذ دار علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بايديهم من حيث ملكت بغداد، وأزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك ، وكان قد جعله النصارى مدفناً لأكابرهم فازيلت القبور منه ، وصار مجلساً للوعظ جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن عكبر وكان يجتمع عنده خلق كثير ، ثم ولي الأمير نوغولدار شحنة ببغداد ، ورتب شرف الدين السمناني صاحب الديوان بها ، ورتب جمال الدين عبد الجبار البصري قاضي قضاة بغداد نقلاً من قضاء البصرة وعزل عز الدين أحمد بن الزنجاني عن قضاء القضاة حيث كف بصره ، ثم ان جمال الدين الدستجرداني تقدم الى نور الدين عبد الرحمن نائبه ببغداد بأخذ فخر الدين مظفر بن الطراح صدر واسط والبصرة وقتله ، فانحدر الى واسط وقبض عليه وعلى أصحابه ، ثم دوشخ وطوق وأسمع كل قبيح وأخذ خطه بأنه وصل اليه شيء كثير من الأموال ، وأشهد عليه بذلك القاضي والعدول ، ثم حمله الى بغداد ووكل به أياماً ثم ضرب وعوقب وقتل ، وحمل رأسه الى واسط وعلق على الجسر بعد أن

طيف به في شوارعها وسوقها ، وكان جواداً سخياً كريماً ذا ناموس عظيم وسياسة يخافه الأعراب وسائر الرعايا ، خدم في أعمال العراق كلها ، ناب في صباه عن نجم الدين بن المعين في الحلة ، ثم ولي ناظر طريق خراسان ، وناب عن الملك فخر الدين منوجهر بن ملك همذان في واسط ، فلما سافر الى بلاده استقل بالحكم فيها وأضيف اليه قوسان والبصرة ، ثم عزل ورتب صدراً بالحلة والسيب ثم عزل وأعيد الى واسط مرة أخرى ، ثم عزل وأعيد الى الحلة والسيب ، ثم نقل في هذه السنة الى صدرية واسط وقوسان والبصرة وآلت حاله الى القتل ، ودفنت جثته في مشهد موسى بن جعفر — عليه السلام — وكان قد تجاوز في العمر ستين سنة ، وكان يقول الشعر الجيد . وله أشعار كثيرة، مدح بها الصاحب علاء الدين بن الجويني وأخاه شمس الدين، وآخر ما قاله وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل أن يقتل بأيام ووجدت بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هدر		فدعه واصبر لما يأتي به القدر

واستشعر الصبر ان نابتك نائبة		فالصبر اجمل ما حلي به البشر

ولا ترعك من الأيام منقصة		فشيمة الدهر في ابنائه الغير

فالشمس كم كسفت بعد البهاء وكم | أمسى حليف خسوف مثلها القمر
وبعد أن كسفا والله مقتدر | عادا ونورهما يعشو له البصر
فلا تضق خلقاً من نعمة سلبت | فالمال يرجع والرزاق مقتدر
فكم مددت يداً بالعرف باسطة | وكم تقضي لي في بذل اللهى وطر
ومثلما زال ذاك البشر وانقبضت | كف السرور يزول الهم والفكر
وان أرا الآن بعد النطق ذا حصر | فسوف يذهب عني العي والحصر
وان تصبني سهام الخطب نافذة | فلم تزل أسهم الأيام تعتذر
وكل حادثة في الدهر هينة | اذا غدا سالماً في طيها العمر
قل للعتاة من الغايات ويحكم | طيبوا فقد فقد الرئبالة الذمر
وقل لبيض السيوف المرهفات لدى | الاغماد قري فقد أودي به القدر
مضى المظفر ليث الغاب عن كثب | فليهن أعداءه من بعده الظفر

وتوفي ، نور الدين عبد الرحمن بعد قتله بعدة شهرين ، وكان يسلك نور الدين في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في التمثيل وشناعة القتل ، وأحدث القنارة بواسطها أحدثها بهاء الدين في اصفهان وكانت قد نسيت من عهد البساسيري ، ولما قبض على فخر الدين بن الطراح رجم بعض أصحابه قيل انه زني بامرأة وصلب

امرأة بادية العورة قيل عنها انها استودعت رجلاً لبعض أصحاب ابن الطراح .

وفي هذه السنة ، سار كتبغا صاحب مصر من القاهرة الى الشام واستصحب قائد جيوشه حسام الدين لاچين خوفاً من أن يخلفه اذا انفرد بنفسه ، فأقام في دمشق شهوراً ، فشرع لاچين في محادثة الأمراء والقواد في خلعه ووعدهم الاحسان والزيادة فوافقوه على ذلك ، فلما عزم كتبغا على العود الى مصر أشار عليه لاچين باستصحاب مافي خزائن الشام من الأموال والسلاح والذخائر ، ففعل ذلك فلما كانوا في بعض الطريق وضع لاچين الجيوش على الشغب ، ففعلوا ، فأشار على كتبغا بترك الالتفات اليهم سراً ، ثم انه ركب يوماً والجيوش معه وأحاط بفسطاط كتبغا فلما رأى ذلك علم انه لا يتمكن من الهرب فاقبل نحو لاچين وسلم عليه بالسلطنة وسأله الأمان فأمنه ، وقال له : انج بنفسك ، فركب فرسه ومعه مملوك واحد وقصد دمشق وفيها نائبه ملك الأمراء فانزله القلعة ، وقام بين يديه ، فأمره كتبغا بجمع الأموال فشرع في ذلك واستوفاها من وجهها ومن غير وجهها وكان في حلب أمير

اسمه « كجك » فلما بلغه ذلك سار الى دمشق فحصرها يومين ، ثم دخل القلعة وقبض على كتبغا ، وكتب بذلك الى لاجين ، فأمره بحمله الى صرخد ، فحمله اليها وحبسه بها موسعاً عليه ، وحمل لاجين اليه نساءه وأولاده من القاهرة ، وأما لاجين فانه دخل مصر ورفع البيسري « الجتر » على رأسه ولقب الملك المنصور وخطب له بالديار المصرية ، فأحسن الى الناس وأظهر العدل وحسن السياسة.

وفيها ، قتل ببغداد رجل أعجمي يعرف بتاج الدين بن الدامغاني بدرب حبيب واتهم بقتله جماعة من مجاوريه فأخذوا وحبسوا ، فحصل الحماة بقية النهار قاتله وهو صبي أمرد من الدرب فاعترف بقتله من غير أن يضرب وقال « ان ابن اخي المقتول أعطاه ولآخر معه مائة دينار على ان يقتلا عمه وأدخلهما داراً كان يخلو عمه فيها فلما دخل وسط النهار على عادته نزلا اليه وقتلاه ، فأحضر ابن اخيه فاعترف بذلك فصلب ، وأما القاتل فضرب في يديه مسامير الى لوح وراء ظهره وطيف به بجانبي بغداد ، ثم سمر بباب السور وعمل عليه بقية الشمس ليطول عذابه فبقي اياماً لا يظهر عليه جزع بل يطلب من النظارة انواع المآكل والفواكه وغيرها ، ويحادثهم

ويتطارف عليهم ويطلب من الناس شيئاً لأجل من يرش الماء حول خشبته ويقول « في عزمنا نقيم هذه السنة ههنا » ثم قتل بعد ذلك على خشبته وهو قري الجنان قال للذي يريد ان يقتله « اضرب ضربة جيدة في مكان كذا » ففعل .

وفيها ، ولى السلطان اطفاجار الروم وسيره الى هناك .

ثم ولى نوروز خراسان وجعله في خدمة أخيه خدابنده بن أرغون على قاعدته .

وفيها ، توفي السلطان الملك السعيد داود وقام بالملك مقامه اخوه السلطان الملك المنصور نجم الدين ايلغازي .

وفيها ، توفي سعدي الشاعر المشهور بالفارسية بشيراز .

وفيها ، توفي شمس آل الكبشي بها (١) .

---

(١) تقدم في ص ٣٥٨ اسم « شمس الدين محمد بن الكبشي » .



سنة خمس وتسعين وستمائة

فيها ، رتب جمال الدين الدستجرداني أخاه عماد الدين نائباً عنه بيغداد ، حيث توفي نورالدين عبدالرحمن بن تاشان وكان قليل المعرفة بأحوال العراق فاعتمد علي عزالدين محمد بن شمام في ذلك فكان هو الحاكم وعماد الدين صورة ، وعزل شرف الدين السمناني صاحب ديوان الممالك ورتب عوضه جمال الدين الدستجرداني فلم تطل، أيامه ، وقتل في سنة ست وتسعين .

وتوفي اثير الدين التستري (؟) مشرف العراق وهو ابن عم مجدالدين ابن الأثير .

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين عبدالجبار البصري بالبصرة ، انحدر اليها فرض بهاومات ، وولي بعده ولده عمادالدين قضاء القضاة ببغداد .

وفي رجب منها، سير القان غازان الي بغداد أميراً اسمه توختا لتصفح أعمال العراق وسير معه سعد الدين اسد بن علي مشرفاً على العراق ، فقدما بغداد وقبضا على شرف الدين بديع ، وكان مشرفاً

به فهرب من الموكلين عليه بعد شهر ، ولحق بنوروز بخراسان وأما توختا وسعدالدين فانهما جمعا جراية وافرة من السلاح وبرزا بها الى الكشك بظاهر باب الحلبة في شوال منها ، ففي بعض تلك الأيام ركب سعدالدين عامل توختا يريد داره ببغداد ، وذلك وقت العتمة في نفر يسير من أصحابه غير مستظهر بسلاح ولا عدة فلما جاز باب الظفرية تواثب عليه رجالة ملثمون من رجالة الحلة وضربوه بالسيوف والخناجر فجرحوه في رأسه ويده اليسرى وكادوا يقتلونه ، فهرب أصحابه عدا غلامه « ختاي » فجعل يضرب قطاة بغلته ويحثها ، وجعل سعدالدين يدافع عن نفسه بالمقرعة فنجا ولم يكدر ، وكانت نجاته من العجب الذي هو فرج بعد شدة ، وكان ذلك بوضع جمال الدين الدستجرداني ، وكان المدبر لهذه القضية حسن بن مجهر وكان من بطانته .



سنة ست وتسعين وستمائة

في المحرم ، سار السلطان غازان يريد العراق ، فلما وصل همذان بلغه أن نوروز قد تغيرت طاعته في نيته وفسدت سريرته، وأن جمال الدين الدستجرداني صاحب الديوان عين له يخبره بالأحوال فأمر بقتل الدستجرداني ، فقتل توسيطاورتب صدرالدين الخالدي عوضه ، ثم توجه الى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والاحسان، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بماجرت به العادة من رعي الزروع وغير ذلك ، ثم انه دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها ، كان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ ، وكان المدرسون والفقهاء قد جلسوا على عادتهم والربعات الشريفة في أيديهم ، فلما عاينوه قاموا وخدموه ، فأمر رشيد الدين أن يقول له « انتم مشغولون بقراءة كتاب الله – عز وجل – كيف جاز لكم تركه والاشتغال بغيره ؟ » فقال أحد المدرسين : « السلطان ظل الله في أرضه وطاعته وتعظيمه والانقياد

له واجب في الشرع » (١) فدخل خزانة الكتب ولمحها ، ثم عاد الى الدار المذكورة فبات بها ، ونزل من الغد في شبارة وقصد الحول وأقام بدار الخليفة أياماً ، فتألم الناس من إلزامهم بالخراج ذهباً أحمر ، وكان جمال الدين الدستجرداني قد استوفاه في السنة الماضية كذلك وقال « قد كانوا في زمن الخلفاء يؤدونه ذهباً » فأضر بالناس ذلك ، فأمر السلطان باجرائهم على عادتهم منذ فتحت بغداد فتوفر عليهم شيء كثير ، ثم توجه الى الحلة وقصد مشهد علي — عليه السلام — فزار ضريحه الشريف وأمر للعلويين بشيء كثير ثم قصد مشهد الحسين — عليه السلام — وفعل مثل ذلك ، وعاد الى أعمال الحلة وقوسان متصيداً ، وزار قبر سلمان الفارسي — رضي الله عنه — وأمر للفقراء المقيمين هناك بمال ، وتوجه الى بغداد وأقام الى أيام الربيع ، ثم سار الى بلاد الجبل وقد تأكد عنده ما بلغه من حال نوروز ، ولما وصل الى خانقين أمر بقتل اخوة نوروز وأهله وأصحابه فقتلوا وكان من جملتهم كمال الدين كوجك وكان ببغداد

---

(١) وردت هذه الحادثة في ص ٢٢ من الفخري من حوادث سنة « ٦٩٨ » وفي نكت الهميان ص ٢٠٦ من سنة « ٦٩٥ » والصحيح ما في كتاب الحوادث الجامعة هذا ، فقد كان المؤلف اذ ذاك قيم خزانة الكتب بالمستنصرية وتلمح هذه النكتة من قوله « فدخل خزانة الكتب ولمحها » .

فاحضر وقتل ، ثم أمر الأمير قتلغ شاه بالمسير الى خراسان والقبض على نوروز وقتله ، فسار وأوقع بيبوته وقتل كثيراً من أهله حتى أدركه بنواحي هراة ، فاعتصم بها وقاتل أهل البلد عنه أياماً ، فارسل الأمير قتلغ شاه اليهم يتهددهم ويخوفهم عاقبة الأمر فقبض وأخرج راجلاً وسلم الى قتلغ شاه ، فقتله وأنفذ رأسه الى السلطان فطيف به في تلك البلاد ونفذ الى بغداد ، ثم أمر بقتل مظفر الدين علي بن علاء الدين صاحب الديوان ، فنفذ الى بغداد من قبض عليه واعتقله أياماً ، ثم قتل ودفن في دار المسناة التي بأعلى بغداد ، وعملت الدار رباطاً ، ثم نقل منها ودفن عند والدته في الرباط المجاور للمستنصرية .

وفيها ، عقد ضمان العراق على الشيخ جمال الدين ابراهيم بن السواملي والملك امام الدين يحيي البكري القزويني ورتب زين الدين محمد الخالدي قاضي القضاة ببغداد علي القاعدة التي تقدم ذكرها في سنة ثلاث وتسعين ، فوصل الى بغداد وجرى بينه وبين قاضي القضاة عماد الدين البصري من المنافسة على المنصب والحكم أشياء لا يليق ذكرها فاستظهر زين الدين عليه بمساعدة أخيه صدر الدين

صاحب ديوان الممالك وطولب عماد الدين بحقوق ديوانية كان قد سومح بها ابوه في البصرة ، وسلم الى من يستوفي ذلك منه، فأدى بعضه ببغداد ثم احدر الى البصرة لاستيفاء الباقي فهرب واعتصم بالبطائح ، فلما قتل صدر الدين سنة سبع وتسعين ظهر من البطيحة وتوجه الى الأردو المعظم فأعيد الى القضاء على ما نذكره .

سنة سبع وتسعين وستمائة

فيها ، أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك لما ظهر من سوء حركاته ، وكان غير محمود السيرة ظالماً أظهر «الجاو» وقصر الناس على المعاملة به فأضر بهم وبطلت معايشهم وتعطلت أمورهم الى ان لطف الله تعالى وألهم السلطان ابطاله ، ثم ضاعف الخراج كما فعل جمال الدين الدستجرداني وبالغ في المصادرات والتثقيلات ، فلما قتل أمر بقتل أخيه قطب الدين فقتل وطلب أخوه زين الدين الذي كان قاضي القضاة ببغداد فهرب ولحق بصاحب جيلان ، فسأل من السلطان العفو عنه

فأجاب سؤاله فسأل أن يعاد الى القضاء بالعراق ، فأُخذ وحبس بتبريز فهرب من الحبس فأدرك واعيد اليه ثم قتل .

وفيها ، عزل الأمير تاولدار (١) شحنة بغداد وسبب ذلك أن نائبه رستم اساء السيرة وتعدى الحد في الشنقصة وأنواع التأويلات واعتمد ما اوجب قتله وعزل تاولدار ورتب عوضه الأمير اذينار(؟) فمهد العراق بحسن سيرته وعظم سطوته وشدة وزعته ولا يأخذه في المفسدين لومة لائم ، فالناس في أيامه آمنون على نفوسهم واموالهم في البلاد والنواحي والطرق .

وفيها ، قتل بجامع الخليفة ببغداد في يوم الجمعة رجل علوي كان متغير العقل نسب العوام اليه أنه قال مالا يجوز ، فاجتمعوا عليه وضربوه ورفسوه حتى مات ، ثم أخرجوه الى باب الجامع ، فانكر الديوان ذلك ولم يعرف قاتله .

وفي يوم عرفة ، حضر الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن الزياتين في الجامع وصلى العصر ، وقد اجتمع الناس للتعريف ، فمات فجأة فحمله أصحابه الى زاويته ، وكان على قاعدة جميلة من الزهد والانقطاع

---

(١) تقدم بصورة « نوغلدار » .

والانعكاف على عبادة الله – تعالى – .

وفيها ، توفي الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني ببغداد وكان عالماً فاضلاً خدم الديوان في الأشغال الجليلة ، وجمع تاريخاً وعمل كتاباً في الاختيارات سلك فيه طريقة ابن حراز في الاختيارات التي عملها لشرف الدين اقبال الشرابي ، وكتب خطاً جيداً وتجاوز في العمر ثمانين سنة .

سنة ثمان وتسعين وستمائة

فيها ، سار السلطان غازان الى العراق وجعل طريقه على جوخا وسير بعض العسكر الى بطائح واسط ، فحصروا الأعراب واكثروا القتل فيهم والنهب والسبي وغنموا أموالهم ، وعين جماعة لملازمة أعمال واسط ومنع من تخلف من العرب عن الفساد ، ثم توجه الى الحلة وقصد زيارة المشاهد الشريفة وأمر للعلويين والمقيمين بها بمال كثير ، ثم أمر بحفر نهر بأعلى الحلة فحفر وسمي النهر الغازاني تولي ذلك شمس الدين صواب (؟) الخادم السكورجي وغرس الدولة

ابن... ، ثم سار الى بغداد ، وأمر بالاحسان الى الرعية وزاد في العدل والرأفة بهم ، وأمر ان يصفى الذهب والفضة من الغش ويبالغ في ذلك ، وتضرب الدراهم متساوية الوزن ليتعامل بها الناس عدداً ، يكون وزن الدرهم نصف مثقال ، وعملت دراهم وزن الدرهم منها ثلاثة مثاقيل ، ومثقال يخرج بنسبة ذلك ، ويكون كل مثقال من الذهب بأربعة وعشرين درهماً ، وضرب من الذهب أشياء مختلفة الوزن خمسة مثاقيل ، وثلاثة مثاقيل ، ومثقالان ومثقال ، ونصف مثقال ، وربع مثقال ، وأمر ان يعمل ذلك في جميع الممالك فعمل وانتفع الناس به ، ثم عاد في زمن الربيع الى بلاد الجبل .

ووصل من بلاد الشام أمير اسمه قبجاق هاربا من سلطان مصر ملتجئاً الى ظل السلطان غازان ، فأنعم عليه وأمر له ولأصحابه بمال وثياب وخيل وجمال ، وسار في جملة الأمراء الى بلاد الجبل .

وعقد ضمان العراق على الملك امام الدين يحيي القزويني البكري واستقل بالحكم فيه وكفت يد الشيخ جمال الدين ابراهيم ابن السواملي .

وفيها ، أعيد عماد الدين البصري الى قضاء القضاة ببغداد وقد تقدم ذكر ما جرى له واعتصامه ببطائح واسط ، فلما قتل صاحب الديوان صدر الدين ظهر وقصد الأردو المعظم وعرض حاله على الوزراء ، فاعادوه على القضاء ، فوصل بغداد في صفر .

وفيها ، وثب الأمراء بمصر على حسام الدين لاچين سلطان مصر والشام فقتلوه ، وسبب ذلك : أنه أساء السيرة فيهم وقتل كثيراً منهم ليتوطد ملكه ، ثم اتفقوا على اعادة الصبي الملقب بالملك الناصر وهو أخو الأشرف الذي خلعه كتبغا — كما تقدم ذكره — فامتنعت والدته من ذلك وامتنع هو أيضاً ، فلم يلتفتوا اليهم وأجلسوه على التخت صورة ، وتولوا تدبير الملك ، وكان قد هرب من الأمراء قبجاق خوفاً على نفسه من لاچين وقصد السلطان غازان وكان ببغداد فأنعم عليه وأكرمه ، وكان انهزامه قبل ان يقتل لاچين ، فلما عرف الأمراء انهزامه أرسلوا اليه يعرفونه ذلك وكتبوا اليه بعلائم كانت بينهم ، فلم يثق بصحة قولهم ولا رجع اليهم .

وفيها ، بلغ نجم الدين ايلغازي صاحب ماردين : أن وزيره

المعروف بابن المرأة قد عمل في هلاكه واقامة بعض اخوته ، فأمر بقتله فقتل .

وفيها ، كان في بلاد فارس قحط ووباء ، مات فيه خلق كثير خصوصاً بشيراز .

وفيها ، أغارت طائفة من عسكر الشام على ماردين فنهبوا ريفها وعادوا بقية يومهم .

وتوفي ، ببغداد جمال الدين ياقوت المستعصمي الكاتب ، كان أديباً عالماً فاضلاً شاعراً ، بلغ من الخط غاية كما بلغها ابن البواب ، كان قد اشتراه الخليفة المستعصم صغيراً وربي بدار الخلافة ، واعتنى بتعليمه الخط صفي الدين عبد المؤمن ، ثم كتب على الشيخ ابن حبيب وكتب عليه أبناء الأكابر ببغداد ، وحظي عند علاء الدين بن الجويني صاحب الديوان وكتب عليه أولاده وابن أخيه شرف الدين هرون وله الاشعار المستحسنة الرائقة التي جمعت من الأوصاف ما تفرق في جميع الأشعار وذلك قوله :

بدا بوجه مخجل شمس النهار المشرقه

في أذنه لؤلؤة كأنها والحلقة

قد اخذت في وردة ٍ بالياسمين ملحقه

وله يهنئه بعيد :

همك اسعاف واسعاد فدمت تزدان وتزداد

ما العيد في عصرك مستظرفا جميع أيامك أعياد

وله :

صدقتم في الوشاة وقد حظى في حبكم غيري ولي تكذيبها(١)

وزعمتم أني مللت حديثكم من ذا يمل من الحياة وطيبها

وله :

لقد قدمت بقدمك الأماني قدمت لا مليك مدى الزمان

تمول مملقاً وتريش عار ٍ وتؤمن خائفاً وتفك عان ٍ

ويجنى من جنابك كل عان ٍ وتعفو عن جناية كل جان ٍ

وله :

أتعتقدون أن الملك يبقى وأن العيش في الدنيا يدوم

ولا يجري الزوال لكم ببال كأن الموت ليس له هجوم

فهبكم نلتم ما نال كسرى وقيصر والتبابعة القروم

ومتعتم بذلك عمر نوح وحفتكم بأسعدها النجوم

(١) وجدنا في هذه الأبيات تصحيفاً كثيراً فصيرناها الى ما ترى .

أليس مصير ذاك الى زوالٍ لعمر أبي لقد هفت الحلوم

وله :

اراك فأغضي الطرف عنك مخافة عليك وعندي منك داء مخامر

يزيد على مر الجديدين جدة ً وليس ببال يوم تبلى السرائر

سنة تسع وتسعين وستمائة

فيها ، سار السلطان غازان الى بلاد الشام ، حيث بلغه ما فعلوا بأهل ماردين في السنة الماضية من النهب ، وكان قبجاق أحد أمراء الشام الذي اتصل بعبوديته عنده ، فحسن له ذلك وعرفه ضعفهم عن لقائه ، فلما قرب من حلب راسل واليها ودعاه الى طاعته ، فأجاب الى ذلك وسأل ان يمهل الى أن يملك الشام ، فتركه وسار الى حمص فلما قاربها لقيته الجيوش المصرية فاقتتلوا ساعة ً فلم يثبت المصريون وانهزموا راجعين فغنم عسكر السلطان سوادهم وسار السلطان الى دمشق ، فنزل بظاهرها وتصدق بحقن دماء أهلها وأمنهم على اموالهم ، فلم يعرض أحد من العسكر للرعية بنهب ولا غيره

واحتوى على ما في القلعة من الأموال والذخائر ، ورتب في دمشق الأمير قبجاق المذكور وجعل عنده الأمير مولاي في عشرين ألف فارس ، وعاد السلطان الى الموصل يريد مقر ملكه ، فلما عرف قبجاق أن السلطان قد بعد عن الشام أرسل الى مولاي يقول له « اني أكلت من نعمة القان وشملني احسانه وانعامه ورحمته ولا يجوز لي الغدر باصحابه ، وقد وصلت عساكر سلطان مصر وأعرف ان لا طاقة لك بهم والرأي أن ترحل الى العراق » فرحل ولم يلبث خلت البلاد لقبجاق فكاتب الأمراء بمصر يعرفهم ذلك فسيروا اليه جيشاً خوفاً من عود مولاي أو غيره ، فلما بلغ السلطان غازان ما اعتمده قبجاق تجهز للمسير الى الشام في سنة سبعمائة .

وفيها ، توفي عز الدين دولة شاه الصاحبي الدلاني بالمرستان ، وكان مستتراً هناك بسبب بقايا تخلفت عليه من ضمان الحلة ، فلما توفي حمل الى تربة أخيه الملك ناصر الدين قتلغ شاه بمشهد سلمان الفارسي — رضي الله عنه —

سنة سبعمائة

في المحرم ، سار السلطان غازان الى بلاد الشام في جيوش تملأ

الفضاء لا تحصى كثرة فرقهم في طرق شتى ، وسار هو على الموصل وعبر الفرات فلقيت مقدمته طائفة من عسكر الشام ، فقاتلوهم فانهزم الشاميون وغنم المغول سوادهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً واسروا ، فاتفق تواتر الغيوث وشدة البرد ودوام ذلك حتى امتنعوا من الحركة وتلفت خيولهم وقلت الميرة عليهم فجعل السلطان على الجيوش الأمير قتلغ شاه وتوجه الى سنجار ، فأقام قتلغ شاه الى رجب فلم يخرج اليه أحد من عسكر الشام ومصر ، فانهى ذلك الى السلطان فأذن له في العود ورحل السلطان من سنجار عائداً الى بلاده .

وفيها ، توفي الملك امام الدين يحيي البكري القزويني صاحب ديوان بغداد بالحلة وحمل الى بغداد ودفن في تربة عملها في مدرسته بدرب « فراشا » واقيم ابنه افتخار الدين في العراق مقامه .

(انتهت حوادث الكتاب)

(بتصحيح وتعليق ومقابلة الراجي خدمة العلم والأدب (مصطفى بن جواد) في المحرم من سنة احدى وخمسين وثلثمائة وألف للهجرة ببغداد ، والكمال لله وحده .

فهرست مختصر

الصفحة السنة

(١) عنوان تعيين الوزير في هذه الصفحة « ١٩٦ » وتفصيله في ص ٢٧٩ وهو من الحوادث المنقولة من موضعها .

(٢) ليس له عنوان في الأصل ولكن الخبر خبر عزله والقبض عليه .

﴿ تم ﴾

